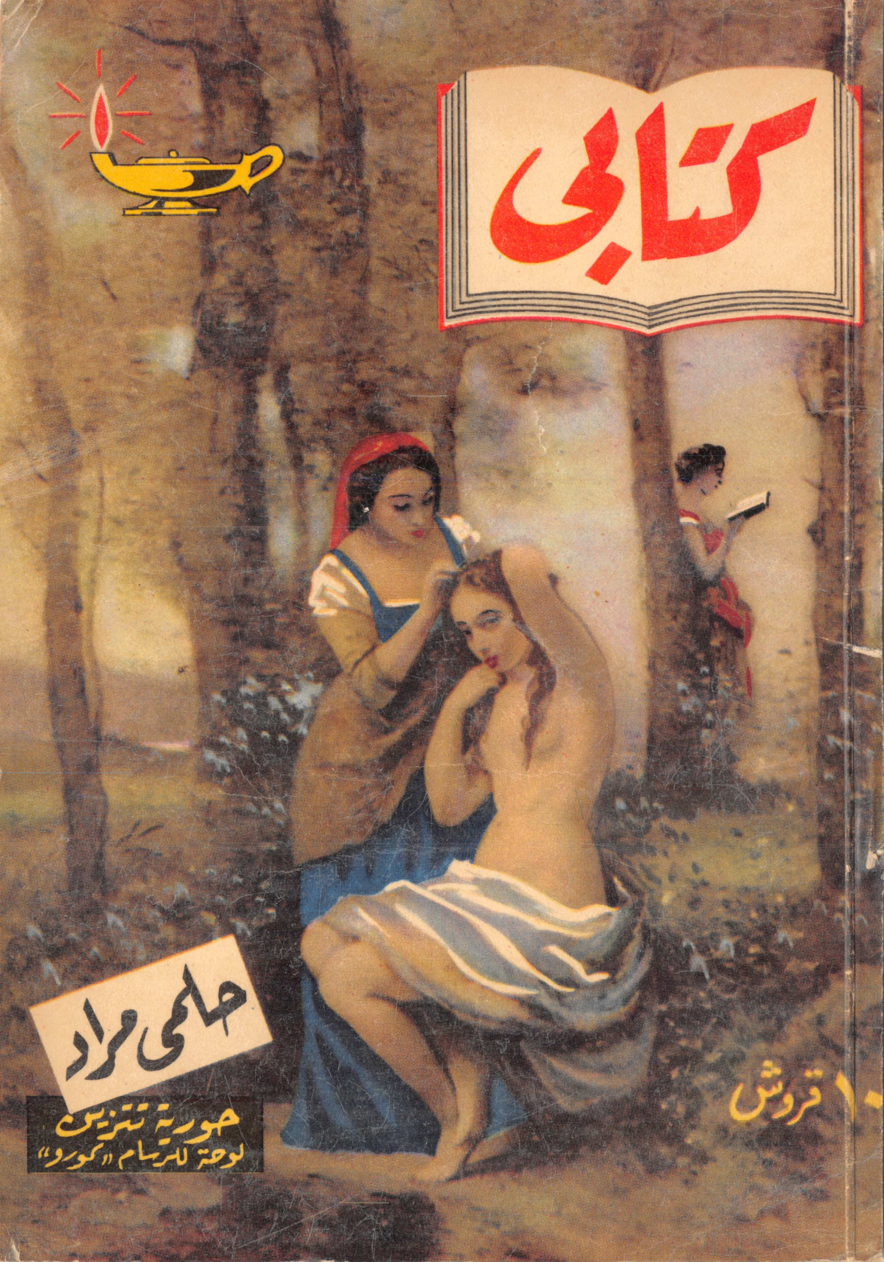
كتابي

حلمي مراد



حورية تتزين
لوحة للرسام «كورو»

١٠ قروش



رؤوس الملائكة

لوحة للفنان الانجليزى « رينولدز » ، بمتحف لندن الاهلى



راقصة « الباليه »

لوحة فوتوغرافية فازت بجائزة عالمية ، للفنان « س . انكلمان » ، تظهر مبلغ « ترويض » راقصات الباليه لاجسامهن (لاحظ خصر الراقصة ، وتصلب رقبتها وقدميها)

كتابى

كتاب شهرى لتلخيص الكتب العالمية

يصدر أول كل شهر

صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

شعار الكتـــاب

مصباح الفكر عند الاغريق

الكتاب الرابع والأربعون (السنة الرابعة) : نوفمبر ١٩٥٥

الاشتراكات ومجموعة الاعداد السابقة : اقرأ التفصيلات بالداخل

الادارة : عمارة الجندول - ١٤ شارع ٢٦ يوليو - بالقاهرة

تليفون : ٥٩٥٥٦

كتابى يأخذ على عاتقه أضخم مشروع

لتعميم الثقافة

عزيزى القارىء ..

• عندما أصدرت ، من أجلك ، العدد الأول من « كتابى » ، ليسد فراغا كان شاغرا فى عالم المطبوعات العربية ، فيقدم لك « تلخيصا » أمينا لثمانية من الكتب العالمية فى كل عدد .. كان يراود أحلامى فى الوقت نفسه - وأحلامك أنت أيضا فيما أعتقد - مشروع آخر : هو أن أقدم لك النص «الكامل» لشوامخ الكتب العالمية ، القصصية وغير القصصية ، التى لا مكان فى المجتمع الثقافى فى العصر الحديث ، لشخص لم يقرأها !.. كنت كلما مررت بواجهات مكتبات القاهرة ، فشاهدت فيها الطبعات الانجليزية ، والفرنسية ، والايطالية ، والألمانية ، لمؤلفات تولستوى، وروسو، ودستويفسكى، وفلوبير، وجيته، ودانتى، وهوميروس ، وديكنز ، وهوجو ، وفولتير ، وأوسكار وايلد .. ومئات غيرهم .. تنتابنى حسرة موجعة ، مبعثها ان مكتبات القاهرة - أو غيرها من العواصم العربية - التى تتيح لك نسخا من تلك الشوامخ الخالدة بجميع اللغات الأوربية ، تعجز عن أن تمدك بنسخة عربية من هذه الكتب ، مترجمة ترجمة كاملة ، أمينة ومعتمدة ..

وقد كانت هذه الحقيقة تحمل فى طياتها أحد معنيين، أو كليهما :

المعنى الأول ان لغتنا العربية عاجزة عن ان تصاغ بها تلك الروائع العالمية التى ترجمت منذ مئات السنين الى جميع اللغات الأوربية !

والمعنى الثانى ان القارىء العربى لا يستحق عناء ترجمة هذه الروائع واصدارها من أجله !

وكلما حز فى نفسى هذان المعنيان الأليمان .. أو كلما

استمتعت بقراءة النص الكامل لكتاب من تلك الكتب ، في احدى الطبعات الفرنسية أو الانجليزية، كنت أسائل نفسي حالما : متى أستطيع ان أيسر للقارىء العربي كل هذه الكنوز ؟ . . وكيف ؟

. . فلما أصدرت « كتابى » ، فحققت به الشطر الأول من حلمي القديم ، وتوثقت الصلة بيني وبينك ، عاد التفكير في الشطر الثاني من هذا الحلم يلح على خاطرى ، ويزداد الحاحا كل يوم ! . . حتى أجبرني على ان أخرج الفكرة الى حيز التنفيذ منذ عامين ، ولكن في حذر ، فرأيت ان أبدأ المغامرة بتجربة مأمونة العواقب الى حد ما ، هي اصدار قصتين كانتا مقررتين على طلبة المدارس في العام الأسبق ، وأعنى بهما : قصة مدينتين ، وذات الثوب الأبيض

وكم آلمني يومئذ ، اضطراري - خضوعا لذلك الاعتبار - الى نشر تينك القصتين ، لا بنصهما الكامل ، بل في القالب «الموجز» الأعرج الذى كان مقررا على الطلبة في ذلك العام . . القالب الذى لا هو بالتلخيص القصير المعترف بأنه تلخيص ، ولا هو بالنص الكامل الأمين !

فلما ظفرت القصتان باقبالك واقبال الطلاب في وقت واحد، تقدمت بالمشروع خطوة أخرى ، فالتزمت في الكتاب الثالث - « الخالدون » - نصه الكامل كما كتبه المؤلف . . وخرجت به في الوقت نفسه - وعلى سبيل التجربة - عن دائرة القصة ، الى دائرة السير والتراجم لحياة العظماء . . ثم كررت التجربة في الكتاب الرابع - الخاطئة - الذى قدمت لك فيه النص الكامل لقصة ، لا لسيرة . . وقد ظفر الكتابان منك بنجاح جاء مصداقا لظني فيك ، ودليلا جديدا على انني أسير في الطريق الذى تنشده . .

على أن مشكلة كبرى كانت لاتفتأ تنغص على أحلامي وتضطرني الى ارجاء مشروعي : تلك هي أن أكثر الروائع الكلاسيكية الخالدة تزيد صفحاتها ، بنصها الكامل ، على حيز عدد واحد من

«مطبوعات كتابى» ، بل ان الكثير منها تبلغ صفحاته الخمسمائة صفحة ، وبعضها يصل الى الألف !

وساءلت نفسى حائرا : ماذا أفعل ؟ هل أصدرالكتاب الطويل الذى من هذا القبيل فى جزء واحد ضخم ، يصل الى ضعف أو ضعفى الجزء الواحد الذى اعتدته ، وبضعف أو ضعفى ثمنه المألوف ؟ .. أم أصدره فى أكثر من جزء ، فى فترات متقاربة ، كى يسهل عليك اقتناؤه ، بل وتسهل عليك قراءته أيضا ؟

وآثرت الحل الثانى .. وعلى ضوء هذا الاعتبار أصدرت لك قصة « حياة امرأة » ، فى مايو الماضى ، فى جزئين .. فوجدت منك تقبلا حسنا للفكرة وتأييدا لها

وازاء ذلك ، ومنذ ذلك التاريخ ، عكفت على اتمام العدة لانجاز المشروع الذى طالما نازعتنى نفسى اليه : مشروع اصدار سلسلة دورية منتظمة من هذه المطبوعات ، متضمنة الترجمة الكاملة الأمينة لشوامخ الكتب العالمية ، القصصية وغير القصصية ، لأشهر المؤلفين ، من جميع اللغات ..

ولما كان تنفيذ هذا المشروع ، على هـذه الصورة المنتظمة المتلاحقة ، يتطلب حشد جهود عدد كبير من أكفأ المترجمين ، كى يتفرغ كل منهم «لدراسة» العمل الادبى الضخم المنوطة ترجمته به ، ثم يشرع فى هذه الترجمة على مهل ، وفى اناة ودقة كاملتين ، الأمر الذى قد تستغرق معه ترجمة الكتاب الواحد عدة شهور .. لذلك كان على أن أشرك معى فى هذا المجهود كل من يقبل التعاون معى على تأدية هذه الرسالة ، من الأدباء والمترجمين الاكفاء .. وقد رحب بهذه المهمة ، حتى كتابة هذه السطور ، السادة :

الدكتور محمد مندور

الدكتورة سهير القلماوى

الدكتور لويس عوض

الاستاذ محمد بدر الدين خليل

الاستاذ فرج جبران
الاستاذ سعد مكاوى
الاستاذ كليم أبو سيف

أما الكتب التى اخترتها كى تحملها اليك «مطبوعات كتابى» فى الاشهر القادمة باذن الله ، فهى مجموعة ضخمة منتقاة ، تكفل لك تكوين أكمل مكتبة عربية رفيعة الأسلوب ، أنيقة الطبع ، زهيدة الثمن .. واليك القائمة الاولى من هذه الكتب (ويسرنى أن أضمنها – بين وقت وآخر – بعض روائع المسرحيات العالمية أيضا ، القديمة والحديثة) :

جين اير ...... شارلوت برونتى
مرتفعات وذرنج .. اميلى برونتى
هيلويز الجديدة : جان جاك روسو
اعترافات جان جاك روسو
الحرب والسلم ...... تولستوى
سلطان الظلام .... تولستوى
ذهب مع الريح : مرجريت ميتشل
عنبر الى الابد .... كاثلين ونسور
عشيق الليدى تشاترلى: د.هـ.لورنس
أبناء وعشاق .... د.هـ.لورنس
مدام بوفارى ....جوستاف فلوبير
دافيد كوبرفيلد .. تشارلس ديكنز
الملك أوديب .... سوفوكل
ديكاميرون .... بوكاشيو
ايفانهو ...... سير ولتر سكوت
حد الموسى ...... سومرست موم
صورة دوريان جراى : أوسكار وايلد
مروحة الليدى وندرمير: أوسكار وايلد
بيجماليون .... برنارد شو
هرنانى .... فيكتور هوجو
أحدب نوتردام .... فيكتور هوجو
كوخ العم توم.. هارييت بيتشرستو

◆ الفندق الكبير ...... فيكى باوم
◆ وليم تل ...... فردريك شيللر
◆ نساء طروادة .... يوريبيدس
◆ الجريمة والعقاب .... دستويفسكى
◆ اخوة كارامازوف .... دستويفسكى
◆ الأم .... مكسيم جوركى
◆ الالياذة .... هوميروس
◆ الاوديسة .... هوميروس
◆ كارمن .... بروسبر ميريميه
◆ الأحمر والأسود ...... ستندال
◆ كانديد .... فولتير
◆ غانية روما ...... ألبرتو مورافيا
◆ مارى ستيوارت .... ستيفان زفايج
◆ ٢٤ ساعة فى حياة امرأة .. زفايج
◆ دون كيشوت .... سرفانتس
◆ أشجان فرتر .... جيته
◆ فاوست .... جيته
◆ بيت الدمية ...... هنريك ابسن
◆ البخيل .... موليير
◆ تيريز راكان .... اميل زولا
◆ مأساة أمريكية .... تيودور درايزر
◆ الوصمة الحمراء .. ناثانييل هوثورن

الأب جوريو ٠٠ أونوريه دى بلزاك ◆ سافو ٠٠٠٠٠٠٠٠٠ الفونس دوديه
أوجينى جروندية : أونوريه دى بلزاك ◆ سيرانو دى برجراك : ادمون روستان

أما العدد الاول من هذه المجموعة ، الذى يصدر قبيل منتصف نوفمبر الحالى بعون الله ، فقد اخترت له قصتين كاملتين ـ معا ـ لأديب ايطاليا المعاصر « ألبرتو مورافيا »

وبعد ٠٠ فانها مغامرة ، ومقامرة ، ضخمة كما ترى ٠٠ لكنى أقدم عليها مسلحا بنفس الأسلحة التى دخلت بها الميدان حين أصدرت العدد الأول من «كتابى» : مسلحا بالفكرة ٠٠ والعزيمة ٠٠ والايمان !

الايمان بالله ٠٠ وبالأدب ٠٠ وبك !

والله ولى التوفيق

حلمى مراد

« كتابى » يشترى الأعداد الخمسة الأولى من القراء

نظرا لالحاح الكثيرين من القراء فى طلب الاعداد الخمسة الاولى من « كتابى » ، ولتعذر اعادة طبعها فى الوقت الحاضر ، ولما كان لا يبعد أن يكون لدى البعض أكثر من نسخة من الاعداد المذكورة ٠٠ **فقد رأت ادارة « كتابى » أن تعلن عن استعدادها لشراء أى عدد من نسخ الاعداد الخمسة الأولى ، تمهيدا لتمكين من تنقصه الاعداد المذكورة من اقتنائها بعد ذلك من الادارة ، فالرجا الاتصال بالمجلة فى هذا الشأن ، على أن يكون تسليم النسخ اليها حضوريا أو بالبريد المسجل ٠**

الاشتراك فى « كتابى »

◆ **ترسل** جميع الاعداد الى المشتركين : بالبريد المسجل ، وقيمة الاشتراك فى مصر والسودان : عن سنة (١٢ عددا) : ١٢٠ قرشا ، وعن نصف سنة (٦ أعداد) ٦٥ قرشا ـ فى الخارج (العراق وسوريا ولبنان والاردن الخ ٠٠) ترسل القيمة بشيك أو بحوالة بريدية نقدية Money Order عن طريق مكاتب البريد وتحتسب القيمة بما يوازى ١٣٠ قرشا (عن سنة) و ٧٠ قرشا (عن نصف سنة) ٠ وفى الحجاز والكويت وعدن وحضرموت واليمن وقبرص وانجلترا وأمريكا وفرنسا واستراليا قيمة الاشتراك ١٦٠ قرشا (عن سنة) خالصة أجر البريد ، وفى ألمانيا ١٦٠ قرشا (عن سنة) بخلاف أجر البريد الجوى

كتابى

أعداد نفدت

الكتب الستة الأولى ، والادارة مستعدة لشرائها .

كتابى السابع « **عشيقة نابليون** » ، والثامن « **مذكرات كيوبيد** » ، والتاسع « **صنم تحطم** » ، والعاشر « **حديقة الله** » ، والحادى عشر « **عندما تحقد المرأة** » ، والثانى عشر « **لعبة الحب والموت** » ، والثالث عشر « **توبة خاطئة** » ، والرابع عشر « **أيهـا الربيع ترفق** » ، والخامس عشر « **الشيطان على الأرض** » ، والسادس عشر « **ليدى هاملتون** » ، والسابع عشر « **الارملة المرحة** » ، والثامن عشر « **حياة جورج صاند** » ، والتاسع عشر « **حياة سارة برنار** » ، والعشرون « **رباعيات عمر الخيام** » ، والحـادى والعشرون « **حياة بتهـوفن** » ، والثانى والعشرون « **حياة موسولينى** » ، والثالث والعشرون « **كوخ العم توم** » ، والرابع والعشرون « **الزوج والعشيق** » ، والخامس والعشرون « **البوهيمية** » ، والسادس والعشرون « **فتاة لها ماض** » ، والسابع والعشرون « **ترويض النمرة** » ، والثامن والعشرون « **فن الحب** » ، والتاسع والعشرون « **الجريمة والعقاب** » ، والثلاثون « **المنافق** » (**طرطوف**) ، والحادى والثلاثون « **أميرة مصر** » ، والثانى والثلاثون « **الامطار** » ، والثالث والثلاثون « **أفروديت** » ، والرابع والثلاثون « **أقنعة الحب السبعة** » ، والخامس والثلاثون « **سالومى** » والسادس والثلاثون ، والسابع والثلاثون ، والثامن والثلاثون ، والتاسع والثلاثون ، والأربعون ، والحادى والاربعون ، والثانى والاربعون ، والثالث والاربعون .

◆ **وتطلب** من ادارة كتابى : ١٤ شارع ٢٦ يوليو بالقاهرة (عمارة الجندول) ، وثمن كل عدد (من العدد ٧ الى ٢٤) ١٠ قروش خالصا أجرة البريد (المسجل ما عدا الاعداد ١٣ ، ١٦ ، وثمن كل منهما ١٢ قرشا ، والعدد العاشر ، والعدد العشرون ، وثمن كل منهما عشرون قرشا .. وابتداء من العدد ٢٥ ثمن كل نسخة بالبريد المسجل ١٢ قرشا

◆ **ملاحظة : ترسل القيمة فى مصر والسودان باذن بريد عادى ، وفى الخارج بشيك على أحد بنوك القاهرة ، ولا تقبل العملة الاجنبية أو أذون البريد الخارجية. وتحرر الاذون والشيكات باسم صاحب المجلة شخصيا**

مطبوعات كتابى

صدر منها حتى الآن :

١ ـ قصة مدينتين	**٢ ـ ذات الثوب الابيض**
٣ ـ الخـالدون	**٤ ـ الخاطئـة**
٥ ـ حياة امرأة (الجزء الأول)	**٦ ـ حياة امرأة (الجزء الثانى)**

وثمن كل من الاول والرابع ، عشرون قرشا خالصـا أجرة البريد المسجل (نظرا لوشك نفادهما) ، والثانى ١٢ قرشا ، والثالث ١٠ قروش ، والخامس والسادس ثمانية قروش



نافذة «كتابي» تطل على العالم :

رأيت وسمعت لك في أوربا

للمحرر

باريس فى ٢٠ قرنا !

◆ أجملت لك فى الفصل السابق تاريخ (باريس) خلال الالفى عام الماضية ، منذ ظهرت الى الوجود نواتها الأولى ـ حوالى عام ٥٣ قبل الميلاد ـ فى صورة جزيرة صغيرة باسم (لوتيتشيا) تتوسط ضفتى السين ، فى المكان الذى يعرف الآن باسم حى « الجزيرة » ، والذى صار واحدا من ٢٦ حيا تتألف منها باريس اليوم !

ثم رأينا كيف وصلت جحافل الرومان الى تلك البقعة ، فى عهد « يوليوس قيصر » ، فازدهرت (لوتيتشيا) على أيديهم واتسعت رقعتها ، ثم استبدلوا باسمها اسم (باريس) ، نسبة الى قبيلة « باريزى » التى كانت تقطنها فى الأصل .

وفى القرن الرابع غزت قبيلة « الفرانك » الجرمانية الاقاليم المحيطة ، وكانت تعرف باسم بلاد « الغال » ، فأطلقت عليها اسم فرنسا ـ نسبة الى اسم القبيلة ـ واتخذت باريس عاصمة لها . وفى القرن ذاته تعرضت البلاد لغزو آخر من جانب قبائل البرابرة « الهاون » ، بقيادة زعيمهم « أتيللا » .. فكادت باريس تدمر وتمحى من الوجود ، لولا شجاعة راعية غنم تدعى « جنيفييف » ، قامت بنفس الدور الذى قامت به ـ بعد قرون ـ خليفتها « جان دارك » ، فأنقذت باريس من غزو البرابرة ، وعرفت منذ ذلك التاريخ باسم « القديسة جنيفييف ، حامية باريس » !

وفى بداية القرن الثالث عشر ، فى عهد الملك « فيليب أغسطس » ، أحيطت المدينة بسور من التحصينات تتخلله عشرون بوابة ، كما شيد الملك لنفسه قصر « اللوفر » ، وكان عدد شوارع باريس يومئذ ٢٢٠ شارعا .. ثم استمرت المدينة تنمو وتتسع ، حتى بلغ عدد سكانها فى القرن التالى ١٥٠ ألف نسمة.. وأحيطت فى عهد « شارل الخامس » بسور جديد تتوسطه قلعة « الباستيل » المنيعة ..

ثم تتابعت على باريس الاحداث العنيفة خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر : فاحتلها الانجليز زمنا ، حتى طردوا منها بفضل بطولة « جان دارك » .. ثم نشبت فيها حرب دينية بين الكاثوليك والبروتستنت ، انتهت بانتصار الطائفة الأولى وتتويج قائدها « هنرى نافار » ملكا على فرنسا ..

وفى عهد لويس الثالث عشر ، ضمت الى العاصمة الفرنسية أحياء جديدة من ناحية الغرب ، وبلغ تعداد سكانها (فى عام ١٧٣٠) ٥٦٠ ألف نسمة .. وفى

تلك الآونة بدأت توضع فى الشوارع لوحات بأسمائها ، واستبدلت المصابيح القوية ب « فوانيس » الاضاءة الضئيلة ، وجعلت للمبانى أرقام ٠٠ ثم استمرت حركة العمران تنشط وتتسع فى عهد الملكين لويس الخامس عشر ولويس السادس عشر ، حتى شبت الثورة ، فدمرت من مبانى باريس أكثر مما شيدت ! لكن عجلة الاصلاح والتعمير استأنفت دورانها فى عهد نابليون وبعد عودة الملكية ، فأنشئت فى باريس أول خطوط للأتوبيس ، كما حفرت شبكة مجاريها الضخمة التى امتدت مسافة ٢٤ ميلا ٠ وكان تعداد سكانها يومئذ ٩٥٠ ألفا ٠



لوحة فى «البانثيون» تمثل «القديسة جنيفييف ، ساهرة على حماية باريس !»

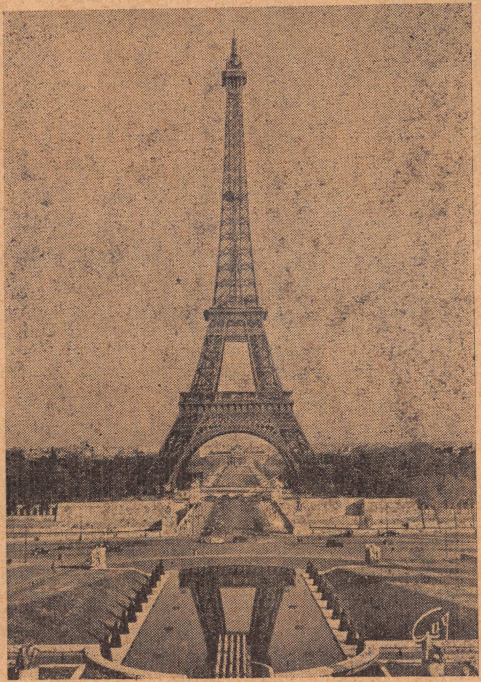
« بغدادى » باريس !

◆ وفى عهد نابليون الثالث شهدت باريس نهضة ضخمة فى تخطيطها وتجميلها ـ شبيهة بالتى تشهدها القاهرة اليوم على يد المصلح الثائر عبد اللطيف البغدادى ـ وقد تزعم تلك الحركة يومئذ مدير البوليس البارون «هوسمان» الذى تغلب على معارضة أنصار المحافظة على الطابع التاريخى التقليدى ، فقضى على أحياء المدينة القديمة بالاعدام ، وبدأ مرحلة خلق باريس العصرية التى سبقت غيرها من العواصم الى توفير أسباب الراحة والتقدم الجديرين بالعصر الحديث ٠٠ وكان من أبرز أعمال التعمير فى تلك المرحلة اخلاء حى الجزيرة من نحو ٢٥ ألفا من سكانه ، وهدم مساكنهم العتيقة ، ثم انشاء مجموعة من المبانى الضخمة المشرفة التى غيرت معالم الحى ! ٠٠ كما شقت شوارع جديدة بلغ عرضها عشرة أضعاف ما كان ! واستغرق تجديد « قصر العدالة » الشامخ نحو ٧٤ عاما ، لم يكد يبقى بعدها حجر من أحجاره فى موضعه ! ٠٠ ثم أنشئت لباريس « رئتان » من الحدائق والغابات هما غابة « بولونيا » وغابة « فانسين » ٠٠ كما زرعت الاشجار الباسقة على جانبى جميع الشوارع الفسيحة ، وأنشئت شبكة

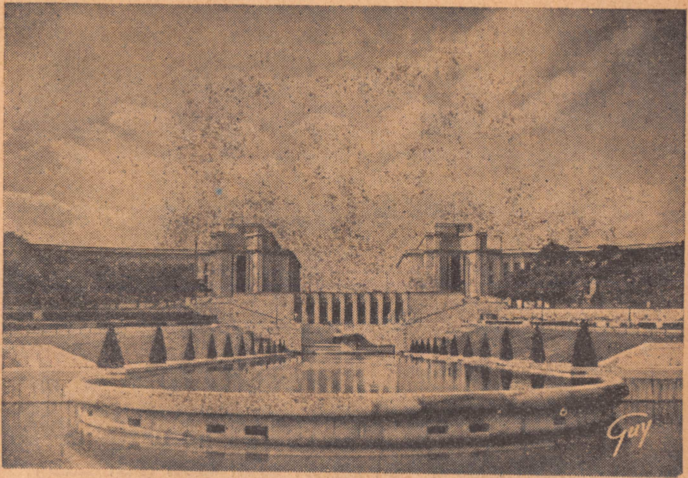
ضخمة من الطرق التى تربط باريس بجميع أنحاء فرنسا ، بل أوربا كلها ٠٠ ومدت شبكة المجارى تحت الارض حتى بلغ طولها ٤٧٠ ميلا ٠٠ وكان عدد سكان باريس قد وصل يومئذ - عام ١٨٦٦ - الى مليون وثمانمائة ألف نسمة !

برج ايفل ٠٠ والمترو تحت الأرض !

◆ ثم شهد عام ١٨٧٠ حصار الالمان لباريس خلال الحرب السبعينية ، وفى



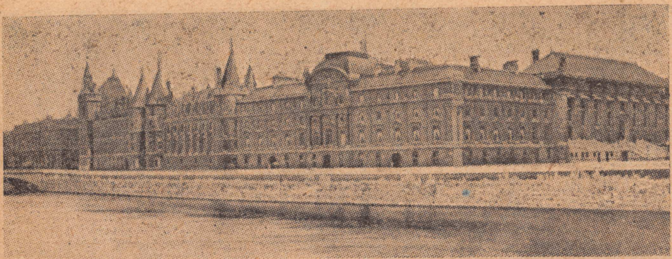
برج ايفل المشهور كما يرى من شرفة قصر « شايو » ، وتترامى أمامه حدائق القصر الجميلة



قصر «شايو» الذى أقيم فيه معرض باريس الدولى سنة ١٩٣٧ ، ودورة هيئة الامم المتحدة سنة ١٩٥١ .. وتحيط به بحيرة صناعية جميلة وحدائق فسيحة

العام التالى نشبت الحرب الاهلية .. ثم جاءت الجمهورية الثالثة فاحتضنت ونفذت ما بقى من برنامج « هوسمان » الاصلاحى ، فلما حل عام ١٩٠٠ كانت حركة المرور قد فاقت كل احتمالات الماضى وتقديراته ، فأنشىء مشروع «المترو» الجبار الذى يسير تحت الارض مئات الاميال فى كل اتجاه ، (والذى يتألف من عشرات الخطوط التى تسير فى عدة طوابق بعضها فوق بعض ! وهو معجـزة سأحدثك عنها بالتفصيل فى فصل تال) .. وفى سنة ١٩٠٠ أنشىء برج ايفل ، لمناسبة اقامة معرض باريس الدولى ، كما شيد عدد من القصور الفاخرة التى تستخدم فيما لا حصر له من المعارض العامة ، المحلية والدولية ، فى شتى المناسبات ..

وعاقت الحرب العالمية الاولى عجلة التقدم ، لكن عودة السلام أخلت الطريق أمام سلسلة جديدة من الاصلاحات ، كان من أبرزها انشاء المدينة الجامعية ، لايواء طلبة كل دولة فى جناح أنيق خاص بهم ، داخل أسوارها .. وفى عام



قصر العدالة وسجن « الكونسيرجيرى » ، وقد انعكست ظلال قبابهما على مياه السين

١٩٣٧ أعيد بناء قصر « التروكاديرو » وسمى باسم قصر « شايو » ، لمناسبة معرض باريس الدولى التالى (وقد أضيفت أجنحة جديدة اليه فى عام ١٩٥١ ، قبيل عقد دورة هيئة الامم المتحدة فيه) .

ونشبت الحرب العالمية الثانية ،بغاراتها الجوية المروعة ، واحتلال الالمان لباريس أثناءها نحو أربعة أعوام ، ثم قتالهم مع أبنائها فى الشوارع خلال حركة التحرير فأصيبت المدينة ببعض الاضرار ، لكنها كانت ضئيلة لا تذكر ، فبقى لباريس جمالها وتراثها ، لحسن الحظ !

.. وهكذا ، خلال أكثر من عشرين قرنا ، وبرغم الحروب والثورات وسفك الدماء ، التى تعاقبت على فرنسا أثناءها ، فان القدر ظل يبتسم لباريس ، مبقيا عليها كمدينة من أجمل مدن العالم ، بل لعلها أجملها على الاطلاق !

ليالى باريس ..

• **والآن** ، أحسبك قد تعبت من « التـاريخ » والماضى .. فهل تود أن نعيش قليلا فى الحـاضر ، فى باريس العـامرة بالحياة ، والحركة ، والمرح ، والصخب .. فى باريس التى لا تنام ؟ .. **اذن تعال نقضى ليلتنا الاولى من « ليـالى باريس » متسكعين بين ثلاثة من أماكن اللهو الرئيسية فى العاصـمة الفرنسية : بين مسرح « الفولى برجير » ذى الشهرة العالمية ،**

وأحد ملاهى ميدان « بيجال » الماجنة ، ثم نختم الليلة بسهرة « وجودية » فى أحد « كهوف » حى (سان جرمان دى برى) !

.. فاذا أرضينا فضولنا الطبيعى الى أخذ « فكرة » عن هذه « العينات » المشهورة من سهرات باريس ، بدأنا فى الغد سياحتنا بين المعالم « النهارية » لمدينة النور

وأول ما يستحق الزيارة من ملاهى باريس فى نظرى ، وأجدرها بالاعجاب الحق ، و « الاحترام » ، هو ملهى « الفولى برجير » الذى اقترن اسمه زمنا طويلا باسم المغنى الفرنسى الظريف « موريس شيفالييه » ، نجمه الأول فى سنوات ما قبل الحرب ..

ويقع الملهى فى حى « مونمارتر » البوهيمى المشهور ، وفى شارع ضيق متواضع لا يتناسب مع شهرة الملهى بحال ! .. بل ان واجهة المسرح تصدمك لأول وهلة ، اذ لا تزيد فى مظهرها عن واجهة أية دار من دور سينما الدرجة الثانية ، فى أحد أحياء القاهرة الوطنية ! .. على أنك لا تكاد تعبر الباب الى الردهة الداخلية للمسرح ، ثم الى صالة التمثيل ذاتها ، حتى تجد نفسك فى جو انيق يشعرك بأنك فى أحد مسارح الدرجة الاولى .

ثم تقودك العاملة الى مقعدك ، وتقف لحظة فى انتظار « البقشيش » شبه « الاجبارى » الذى لابد لك من دفعه فى جميع مسارح باريس بلا استثناء ، والذى يتراوح عادة بين ٢٠ و ٥٠ فرنك ، (أى قرشين وخمسة قروش بالعملة المصرية) . فاذا كنت تجهل هذا التقليد فلم تمد يدك بالاتاوة المنتظرة ، حدجتك العاملة بنظرة احتقار وقحة !

سوق الجمال والفتنة !

◆ **وترفع** الستار وتعزف الموسيقى ، فاذا أنت قد انتقلت فجأة الى عالم سحرى عجيب من المناظر الاستعراضية التى لن أستطيع أن

أصفها لك ، مهما أطلت وأطنبت ! ‥ مئات من أجمل راقصات العالم ، فى أجمل أزياء السهرة الهفهافة ، ذات الالوان الخلابة ، والذيول ، والاكمام ، والمراوح العريضة ، والقبعات الجميلة المصنوعة من الريش ‥ وبعد أن يرقصن ويتبخترن ، ويلتئمن فى تشكيلات هندسية رائعة مختلفة ثم يتفرقن ‥ تهبط الستار ٠ وقبل أن تلتقط أنفاسك ، ترفع من جديد ، فاذا خشبة المسرح قد دارت حول نفسها فى ثوان فقدمت لك الآن منظرا ثانيا استغرق اعداده طوال الفترة التى كانت تعرض فيها « النمرة » الاولى ‥ وهذا المنظر الثانى قد يكون سلاملك ضخم فاخر لأحد القصور ، تتهادى عليه فرقة راقصات من نوع آخر ، فى أزياء أخرى مغايرة كل المغايرة ‥ **أو قد يكون غابة كثيفة الشجر تمرق خلالها جنيات الليل ، حتى يجتمع شملهن فيرقصن تحت ضوء القمر الحالم ، على أنغام موسيقى سماوية تنقلك الى عالم آخر كله دعة وعذوبة ، وتخدر ‥ أو قد يكون المنظر لبحيرة فى حديقة قصر ، تسبح فيها حوريات فاتنات‥ويدهشك أن ترى خشبة المسرح وقد انبثقت فى جزء منها بالفعل بحيرة امتلأت بمياه حقيقية يكاد يصيبك رشاشها !**

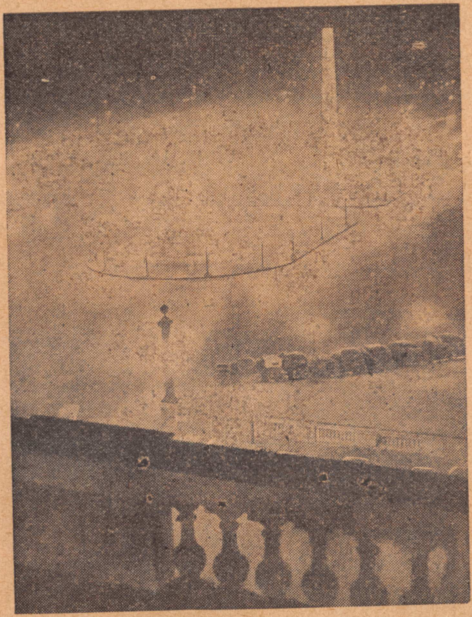
ثم يتغير المنظر ، فى مثل لمح البصر ، ويعقبه منظر آخر لعاشق ينتظر معشوقته فى بستان يانع الخضرة ، قد رشقت فى أنحائه أحواض الزهر ‥ وفجأة تسمع صوتا ملائكيا يرتفع بأغنية شجية أروع من شدو البلابل ، وتتلفت باحثا عن مصدر الصوت ‥ لكنك لا تهتدى اليه ، الا حين تسلط الاضواء على سقف المسرح الشاهق ، فاذا « بالكروانة » المختفية تجلس فى قفص ذهبى كبير قد انشق عنه السقف ، وأخذ فى الهبوط تدريجا وهى تغنى ، والموسيقى تصاحب غناءها ، حتى يستقر بها بعد فترة طويلة فى الممر الاوسط الذى يتخلل مقاعد المتفرجين !

.. وعلى هذا النمط تقضى نحو ثلاث ساعات فى جو من المناظر الخلابة ، والاستعراضات الفنية الرائعة ، والموسيقى والغناء الساحرين ، والجمال البشرى والجمال المصنوع .. حتى تحس ان بصرك وسمعك وحواسك جميعا قد أصيبت ب « تخمة » من السحر الحلال !

فاذا غادرنا مسرح « الفولى برجير » ، كان أمامنا نحو ساعة قبل أن تفتح ملاهى ميدان « بيجال » أبوابها للساهرين .. فتعال نتناول شيئا من الطعام فى أحد « بوفيهات » الطريق ثم لنستقل سيارة تطوف بنا بعض ميادين باريس الهامة التى تضاء ليلا بالأنوار الكاشفة ، فتبدو فى أبهى حلة . وأهم هذه الميادين ، ميدان «الاتوال» الذى يتوسطه «قوس النصر» ، ثم ميدان « الكونكورد » المترامى الأطراف ، الذى تتوسطه المسلة المصرية السامقة ، والنافورة الخلابة التى تعد من أجمل نافورات العالم ! .. ومهما أسهب فى الوصف ، لن يتسنى لى أن أصور لك روعة هذين الميدانين فى الليل ، عشر معشار ما تصور لك



منظر رائع لقوس النصر كما يبدو ليلا ، وقد سلطت عليه الأضواء الساطعة



ميدان الكونكورد كما يبدو ليلا ، بمسلته المصرية ونافوراته المضاءة .. ويعتبر من أجمل ميادين العالم

هذه الروعة الصور الثلاث المنشورة لهما مع هذا الكلام

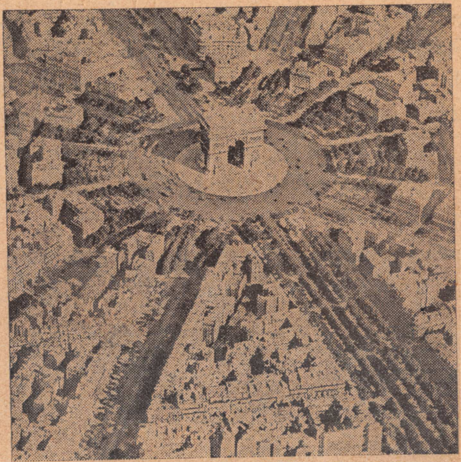
استعراضات العراة فى ميدان « بيجال »

◆ **فاذا** انتهينا من جولتنا السريعة الى كاباريه « حواء » مثلا ، فى ميدان (بيجال) ـ وفى الميدان المذكور ثلاثة أو أربعة كباريهات متشابهة البرامج ـ ألفينا أنفسنا فى جو آخر

مغاير للجو السابق تماما .. جو « علبة » من « علب الليل » ـ كما يطلقون عليها فى باريس ـ ذات قاعة صغيرة نسبيا ، تناثرت فيها المناضد . وفى مؤخرة المكان « بار » جلست اليه بعض « أرتيستات » الملهى مع نفر من رواده .. وفى الطرف الامامى من القاعة حلبة الاستعراض التى تقوم مقام خشبة المسرح ـ وان كانت منخفضة ، لا تكاد تعلو عن مستوى



صورة ليلية خلابة للمسلة المصرية الشامخة التى تتوسط أعظم ميادين باريس ، وبجوارها نافورة لا مثيل لجمالها



منظر من الجو لقوس النصر فى ميدان «الاتوال» - النجمة - وقد تفرع عنه ١٢ شارعا عريضا ، أوسعها شارع الشانزليزيه

المتفرجين ، كى يتسنى للراقصات مداعبة الجالسين حول المناضد الامامية !

فاذا جلست الى احدى المناضد ، أقبل الساقى على الفور يحمل اليك زجاجة شمبانيا - ثمنها خمسة آلاف فرنك (أى خمسة جنيهات مصرية !) - ثم فتحها وصب لك منها فى كأسك ، دون أن تطلبها ! .. لذلك يلجأ أكثر زائرى الملهى من ذوى الدخل المحدود الى الذهاب اليه جماعات ، من نحو خمسة أو ستة أشخاص ، كى يكون نصيب كل شخص من «ضريبة» الشمبانيا ، محتملا ! .. **على ان لسقاة الملهى سلاحا مضادا لهذا « التكتل » الدفاعى ، فان الساقى منهم يظل يرقب**

كؤوس الجالسين حول المناضد ، فلا تكاد تفرغ حتى يسارع الى ملئها ، المرة تلو المرة ٠٠ حتى اذا فرغت الزجاجة ذاتها أحضر من تلقاء نفسه زجاجة أخرى ، بخمسة جنيهات أخرى ٠٠ وهكذا !٠٠ ومن طريف ما حدث ونحن نتأهب لزيارة ذلك الملهى - وكنا أربعة ، من المصريين والمصريات - ان موظفة الاستقبال بالفندق الذى كنا فيه تطوعت باطلاعنا على حيلة ماكرة يقاوم بها الفرنسيون جشع أصحاب مثل ذلك الملهى ، وهى أن تكف الجماعة الجالسة حول المنضدة عن الشرب متى فرغ من الزجاجة نصفها أو ثلثاها ، وتترك كؤوسها نصف ممتلئة ، حتى ينتهى البرنامج ، وبذلك لا يجرؤ الساقى على



طريق «الشانزليزيه» ذو الشهرة العالمية ، ويزيد عرضه على ١٠٠ متر ، وهو مقسم الى عدة شوارع وأرصفة متوازية ، وتحف به المبانى الشاهقة والاشجار الظليلة ، والمقاهى الانيقة

أن يملأ كؤوسا لم تفرغ بعد ٠٠ وبالتالى تنجو الجماعة من ٠٠ الزجاجة الثانية !

وبرامج ملاهى ميدان (بيجال) لا تحتاج الى اطالة فى الوصف ، **فهى لا تخرج عن كونها برامج (خليعة) تظهر فيها الراقصات عاريات تماما الا من ورقة التوت ! ٠٠ ثم يمثلن « سكتشات » هزلية قصيرة تحفل بالنكات الماجنة ٠ وتنفرد باريس دون مدن العالم بهذا اللون من اللهو الاباحى ، الذى يعتبر ولا شك من أسباب تهافت السائحين عليها ، من شتى أقطار الارض** ٠٠ على ان القوم ـ والحق يقال ـ يبرعون فى « اخراج » تلك الاستعراضات العارية ، واضفاء الجو « الفنى » عليها ، سواء من ناحية الاضاءة أو الموسيقى

قالوا ٠٠ فى باريس !

◆ « ان «اللهو» كلمة فرنسية ، ولن تجد معناها الحقيقى الا فى باريس ! »

الفيلسوف الفرنسى «تين»

◆ « طالما كانت باريس موجودة ، سوف يظل المرح فى العالم ! »

نوستراداموس (عام ١٩٥٥)

◆ « عندما تتعاطى باريس السعوط ـ «النشوق» ـ تعطس فرنسا كلها ! »

الاديب الروسى « جوجول »

◆ « لن تقهر باريس ٠٠ اللهم الا اذا أراد أهلها ذلك ! »

كامولو جينوس (عام ٥٣ قبل الميلاد)

◆ « المدن الاخرى مجرد مدن ، أما باريس فهى عالم بأسره ! »

شارل الخامس ملك فرنسا (عام ١٥٣٩)

◆ « ان باريس تفهم كل شىء ، وتغفر لك كل شىء ، حتى أن تعيش معيشة الفيلسوف ! »

الامبراطور الرومانى «جوليان» (القرن الرابع)



صورة تبين مدى اتساع شارع الشانزليزيه ، الذى يصل بين ميدانى الكونكورد والاتوال ، ويخترق فى جزء منه حدائق الشانزليزيه

والايقاع ، بحيث انهم يجردونها بالفعل – فى نظرى – من أكثر عوامل الاثارة الجنسية أو الاباحية !

سماسرة الفجور .. والغاء البغاء

● **والآن** ، تعال معى نغادر ميدان بيجال – وقد انتصف الليل – الى حى الوجوديين : « سان جرمان دى برى » ، الذى تبدأ سهراته من منتصف الليل .. الى الصباح !

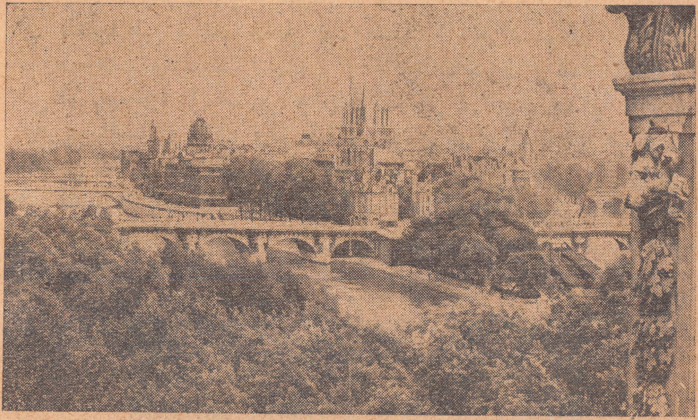
واثناء خروجنا من الملهى ، نلمح واحدا أو اثنين من سماسرة الفجور المرذول ، الذين يتصيدون الرجال «المنفردين» – الذين لا تصحبهم سيدات – كى يهمسوا فى آذانهم بالكلمات المعسولة ، الواعدة بسهرة ممجوجة من سهرات الشذوذ الجنسى ، بكافة أنواعه .. وسواء بالممارسة أو مجرد المشاهدة !

نعم ، الى هذا الحد يبلغ فهم باريس لمدلول « الحرية » .. وممارستها اياها ! .. ولا يحد من هذا « الخطر » سوى ان السهرة من ذلك اللون تتعذر على غير المترفين من الشبان المنحلين ، فانها تكلف صاحبها نحو ١٥ ألف فرنك (١٥ جنيها) !

وعلى ذكر الشباب ومشكلاته ، فى باريس ، قد يدهشك أن تعلم ان فرنسا ـ التى تسمح بكل هذا ـ قد أغلقت بيوت البغاء الرسمى فى مدنها منذ بضعة أعوام ، على اثر حملة برلمانية تزعمتها نائبة من النساء كانت فى شبابها بغيا ، وقاست ـ فيما تقول ـ من المهانة التى تستشعرها محترفات البغاء ، ما ألهب وجدانها حقدا على الرجال وانتصافا لنساء حرفتها ! .. على ان السلطات الفرنسية تفكر هذه الايام فى العدول عن قرارها والترخيص باعادة البغاء ، على اثر ما تبينته من سوء تأثير الكبت الجنسى فى الشباب ، سواء من حيث تكوين



حدائق التويلليرى الرائعة وميدان الكونكورد ، وطريق الشانزليزيه ، وفى أقصى الصورة « قوس النصر »



جانب من باريس كما يبدو من سطح متحف اللوفر ، ويرى فيه قصر العدالة وسجن الكونسيير جيرى وكاتدرائية نوتردام

عقد نفسية فيهم ، أو دفعهم الى تيار الجريمة والعنف ! ..
ولعل هذا ما دفع السلطات الايطالية الى فتح بيوت البغاء فى جميع مدن ايطاليا على مصراعيها ، بل انها سمحت بهـا فى شوارعها الرئيسية ، وحددت لها « تسعيرة » رسمية تعلق فى مدخل كل بيت من تلك البيوت .. وهى تسعيرة زهيدة الى درجة تجعلها فى متناول جميع الطبقات ..

ولنعد من هذا الاستطراد الى حيث كنا فى طريقنا الى حى الوجوديين

نشأة الوجودية .. وفلسفتها

• **والحركة** الوجودية ترجع فى منشئها الى عام ١٩٤٥ ، على اثر تحرير فرنسا من الاحتلال الالمانى ، حين اعتاد بعض

الشعراء الناشئين الذين لمعت أسماؤهم فى تلك الآونة ـ وكان فى مقدمتهم « مالرو » و « بريفير » و « اراجون » و « ميشو » ـ أن يلتقوا فى مكتب زميل لهم يدعى « بيير سيجير » بادارة « مطبوعات منتصف الليل » . **كانوا يحسون برغبة مضطرمة فى أن يهتدوا الى سبيل جديدة للتفكير ، تكون بمثابة «حركة تحرير عقلية » ! .. ولم تلبث دعوتهم أن وجدت لها صدى فى نفوس غيرهم من الشعراء ، والفنانين ، والموسيقيين .. وأخيرا فى نفس أديب ذى نزعة ثورية ، يدعى « جان بول سارتر » !** .. ولم يلبث « سارتر » أن طلع على زملائه بالدعوة التى أطلق عليها « الفلسفة الوجودية » ، والتى صادفت هوى من



مقبرة العظماء ـ « البانثيون » ـ (فى أقصى الصورة) ، وهى تقع فى قلب الحى اللاتينى ، وفى المقدمة نافورة تتوسط أحد الميادين

نفوس الشباب ٠٠ النفوس التى أزعجتها الحرب ، فراحت تبحث عن شيء جديد ! ٠٠ وهكذا اندلعت شرارة « الفلسفة » الجديدة فى أوساطهم اندلاع النار فى الهشيم ٠٠ بل انها جاوزت فرنسا الى بلاد أخرى كثيرة ، وسرعان ما طار لها صيت « عالمى » !

أما فى باريس فقد اتخذت الحركة الجديدة لها مركزا فى حى « سان جرمان دى برى » ٠ ومن تقاليد باريس أن يكون لها دائما مركز للخلق الفنى ، يلتقى فيه الادباء وأهل الفكر والفن كى يصوغوا أفكارا ونظريات جديدة عن الحياة ٠ وقد استقر هذا المركز يوما فى حى « الباليه رويال » ، ففى « مونمارتر » و « مونبارناس » ، و « الحى اللاتينى » ٠٠ ثم انتقل هذه المرة الى ذلك الحى القريب من كلية الفنون الجميلة !

ونادى الوجوديون بمذهبهم الجديد ، القائل بممارسة الحياة على ضوء الحاضر ، دون نظر الى الماضى أو مبالاة بالمستقبل !٠٠ وقالوا ان الحياة حركة ، والجمود موت ! ٠٠ وخلبتهم موسيقى « الجاز » الصاخبة التى كانت تعزف فى مقهى « فلور » ، والتى كان الاحتلال قد حرمهم من مثلها زمنا طويلا ٠٠ ثم رأوا ان يستقلوا بمكان خاص بهم ، راعوا فيه أن يكون ايجاره زهيدا ، ومن هنا وقع اختيارهم على الكهف أو « البدروم » الذى أطلقوا عليه اسم « لورينتيه » ، فى شارع سان جاك ، بحى « سان جرمان دى برى » ٠٠ **وهناك تولت جوقة المدعو «كلود لوثر» خلق جو من الضوضاء والالحان المتنافرة يطابق تفكير مريدى الفلسفة الجديدة ، وكتاباتهم ، وحيواتهم ! ٠٠ وعلى صخب موسيقى تلك الجوقة ، وفى جو من الدخان المتكاثف ، والعرق ، والاغراب فى اللباس والحركات ، صار الشباب الذين تتراوح سنهم بين الخامسة عشرة والعشرين ، يحتفلون - فى رقصات**

شبه بربرية ـ بالدستور الوجودى القائل ان « الحياة حركة .. والجمود موت » !

وسرعان ما ازدحم الكهف المذكور برواده ، فاستأجر الوجوديون بدروما أو « كهفا » آخر ، فى شارع « الانسيين كوميدى » أطلقوا عليه اسم «تابو» ـ ومعناه «المحرمات» ! ـ ثم ثالثا ، دعوه « نادى سان جرمان » .. فرابعا ، باسم « كولومبييه المسن » .. فخامسا ، سموه « الورود الحمر » ، وقد اختاره الزنوج من شباب السنغال الذين يتعلمون فى العاصمة الفرنسية مكانا مختارا لهم يشبعون فيه حنينهم الى بلادهم الواقعة فى قلب القارة المظلمة ، بعزف موسيقاهم الضارية..وهكذا ، كلما ازدحم كهف برواده من الوجوديين، وبزائريه من السائحين، فر البعض الى كهف آخر يستأجرونه فى بدروم جديد خفى .. حتى يزدحم الجديد بدوره فيهجره نفر الى آخر ، دواليك .. الخ

مقابر الأحياء !

◆ **ووصلنا** الى كهف من تلك الكهوف ، هو المسمى «تابو» ، وبعد أن دفعنا قيمة التذكرة ـ وقدرها نحو ٣٠ قرشا للشخص ـ هبطنا سلما ضيقا ، لا يتسع لأكثر من شخص واحد ، الى بدروم المنزل .. فاذا نحن فى ردهة مستطيلة ، عرضها نحو ٤ أمتار وطولها نحو ١٥ مترا ، لا تضيئها غير أنوار ضئيلة شاحبة ، وقد علقت فى سقفها وجدرانها عشرات الاشياء الغريبة التى لا معنى لها : جماجم ، وأيد مقطوعة (من الخشب أو الجبس طبعا) ، وعرائس قبيحة الشكل من القش أو القماش ، و «تعاويذ» غريبة غير واضحة المعالم .. وقد رسمت على الجدران أشكال وصور مشوهة ، أو وجوه بدائية الرسم كما لو كان قد رسمها طفل لا يعرف حتى كيف يمسك بالقلم أو الريشة .. الخ .

وعلى جانبى الردهة صفت مقاعد خشبية بطول الردهة ، تلاصق عليها رواد الملهى فى ازدحام شديد ، وكان أكثرهم من السائحين الذين جذبهم الفضول الى رؤية هذه البدعة التى شاع أمرها و «تفشت» فى فرنسا وخارج فرنسا . **وفى وسط الردهة كان شبان وفتيات يرقصون رقصات «هستيرية» على ضوضاء موسيقى السوينج السريعة المجنونة ، وقد ارتدى الشبان منهم قمصانا ملونة قبيحة المنظر شبيهة بفساتين النساء .. وارتدت الفتيات بنطلونات قصيرة وقمصانا طويلة مدلاة مخططة الرسم ، شبيهة بثياب الرجال !** .. وحين انتهت الرقصة صعدت الى خشبة مسرح صغير فى أقصى المكان امرأة — أو هكذا يقول شكلها ، فقد كان صوتها وهى تغنى أغنية وجودية « شرسة » ، جهوريا خشنا كأصوات الرجال ! — وكانت ترتدى ثوبا أسود طويل الاكمام ، محكما على الرقبة ، كأثواب الحداد ..

.. وكان جو المكان خانقا لا يطاق ، تملأه سحب الدخان ، والانفاس المخمورة ، ورائحة العرق الذى يتصبب من الاجسام ! **.. فقد كنا أكثر من مائة ، احتشدنا فى ردهة مغلقة ليست بها نافذة واحدة ، ولا تصل اليها « نفاية » الهواء الا عن طريق السلم الضيق الملتوى ، المنحدر من الطابق الأعلى !** .. ولم أعجب اذ تلفت حولى الى وجوه الوجوديين من رواد الكهف الدائمين ، الشبان والفتيات ، فاذا هى شاحبة ، ذابلة ، نحيلة ، يرتسم عليها الاجهاد والاعياء .. حتى لكأن أصحابها ينتحرون انتحارا بطيئا !

قذارة .. وتجارة !

• **وأقبل** الساقى يحمل الينا كؤوس النبيذ الابيض الذى طلبناه ، فاذا الكؤوس قذرة كريهة الرائحة ، والنبيذ ردىء الصنف ، شبيه الطعم بالكحول ! — رغم أن ثمن الكأس الواحدة الصغيرة نحو سبعين قرشا — فلم نشربها بالطبع .. وكنا قد

ضقنا ذرعا بالجو الفاسد المكتوم ، والضجيج الصاخب المسعور ، ورأينا مافيه الكفاية٠٠فانصرفنا ، حوالى الساعة الثالثة صباحا ، وانصرف غيرنا من السائحين ، تاركين أهل الكهف يواصلون سهرتهم فى ذلك القبو ، بل القبر الخانق المعتم ، الى مطلع الفجر!

وحين مرقنا من الباب الخارجى ووقفنا على الرصيف ننتظر سيارة « تاكسى » تقلنا الى الفندق ، نصحنا أحد الواقفين بالابتعاد الى الرصيف المقابل ، خشية أن ينسكب فوق رؤوسنا « جردل » من المياه القذرة ! ٠٠ وعلمنا أن سكان الطوابق العليا من المنزل يعمدون الى تلك الفعلة فى بعض الاحيان ، حين يفقدهم ضجيج أهل الكهف صبرهم وأعصابهم ، ويذود النعاس عن أجفانهم !

وسألت فرنسيا من المنصرفين : بربك أين « الفلسفة » فيما شاهدنا وسمعنا ؟ ٠٠ فضحك وقال : **ان الوجودية قد فقدت جديتها ، وجدتها ، وانصرف عنها أكثر أنصارها فى العامين الأخيرين ، فصارت كهوفها أداة « للتجارة » يستغلها أصحابها لاستنزاف أموال الاجانب - ولا سيما الامريكيين - الذين يسوقهم الفضول الى زيارة تلك « المقابر » لرؤية هذه البدعة ٠٠ بأى ثمن !** ٠٠ ثم أضاف ، محاولا انصاف قومه : ان من بين أولئك المتهوسين تبرز أحيانا بعض المواهب المنتجة فى سائر ميادين الفن : فى الشعر ، والرسم ، والرقص ، والمسرح ، والسينما ٠٠ الخ

فقلت له متجاهلا مكابرته : « أفادك الله ٠٠ وهل لا تبرز مواهب مماثلة من صفوف «غير» الوجوديين ؟! »

لقد كنت أقف موقف الحياد من المعركة الدائرة منذ أعوام بين أنصار الوجودية وخصومها ، بحكم أنى لم أدرس «فلسفتها» أو أتعمق فى محاولة فهمها ٠٠ لكننى أعترف أننى انحزت الى صفوف الخصوم بعد زيارتى لتلك « المقبرة » ، التى تسىء الى الوجودية أضعاف ماتنفعها دعاية كل أنصارها مجتمعين !

والآن ، لعلك قد استمتعت معى بليلتنا الأولى فى باريس ٠٠ فطاب مساؤك ، والى اللقاء فى صباح غد ، حيث نبدأ زيارتنا النهارية لمعالم مدينة النور ٠٠

الحى العريق ٠٠

◆ **الساعة** العاشرة صباحا ، وجو باريس فى هذا الضحى الغائم من أوائل سبتمبر جميل منعش ، يذكر بجو الربيع الخاطف الذى يزورنا فى مصر «ساعات» معدودة كل عام !

من أين أبدأ زيارتى لباريس ؟

بدأتها من أقدم أحيائها ، من حى الجزيرة (ليل دى لاسيتى) الذى جدد فى عهد نابليون الثالث كما أسلفت ، فأخلى من ٢٥ ألف نسمة من سكانه ، هدمت بيوتهم ، وأقيمت فى مكانها أبنية جديدة شاهقة ، حكومية وأهلية ٠٠ ولكن دون أن يفقد الحى طابعه الكلاسيكى القديم ، الجميل ! ٠٠ ان الحى كله كما ذكرت لك يقوم على جزيرة فى وسط نهر السين ، تربطها بضفتى النهر وما وراءهما من أنحاء المدينة ٨ قناطر ، يقودك أحدها الى « الحى اللاتينى » ــ الذى سنتحدث عنه عند انصرافنا من الجزيرة ٠٠

ولا يبدو «السين» فى مكان ما من باريس ، فى مثل روعته وجماله اللذين يبدو عليهما فى حى الجزيرة ، وخاصة فى مواجهة كاتدرائية (نوتردام) التى تتكىء على صدره منذ نحو سبعة قرون ، شهدت فرنسا أثناءها من الاحداث الهامة التى غيرت مجرى التاريخ ، ما لم تشهده دولة أخرى ! ٠٠ وفى هذه البقعة من الجزيرة ، ترى منظرا لا تكاد تلحظه فى غير أماكن قليلة من باريس ٠٠ ترى أطفالا يتنزهون فى عرباتهم التى تجرها أمهاتهم أو خادماتهم ٠ ومنظر الاطفال ، والامهات ، منظر نادر فى باريس الى درجة تلفت النظر ! ٠٠ فأنت لاتكاد ترى له أثرا فى وسط المدينة أو شوارعها وميادينها الكبرى ، حتى لتسائل نفسك : ألا يتزوج الناس فى باريس ، وينجبون أطفالا ؟ وهل

بلغ الاضراب عن الزواج ، أو بلغ تحديد النسل ، حد المنع الكامل ؟ .. والا فأين أطفال باريس ؟ .. هل تحرص الأم الفرنسية على ترك أطفالها فى البيت ، أم فى دور الحضانة ؟ واذا فعلت ذلك أثناء النهار فى فترة عملها ـ وأكثر نساء باريس يعملن ـ فهل تبعد طفلها عنها حتى فى أوقات نزهتها ؟ انى لا أذكر أننى رأيت طفلا أو صبيا مع أمه فى مقهى ، أو مطعم، أو سينما ، أو فى شارع من الشوارع الكبرى مثل الشانزليزيه، أو فوش ، أو شارع الأوبرا ، أو « الجران بوليفار » ، أو « الكابوسين » .. الخ

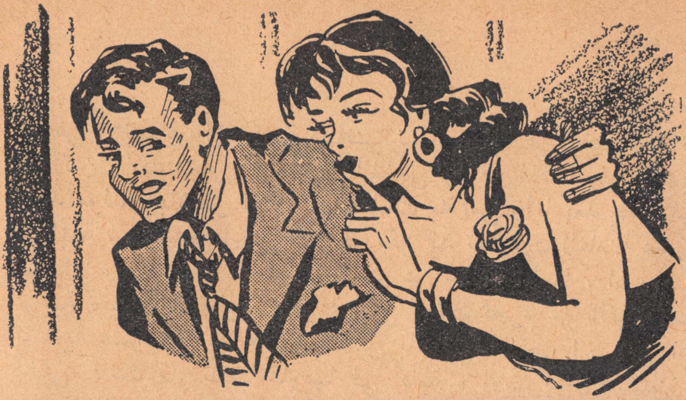
وفى العدد القادم ، نواصل معا جولتنا فى مدينة النور



صبية تتنزه ، فى احدى حدائق القاهرة الجميلة (لوحة فوتوغرافية للدكتور الاميرالاى ناجى يسى)



« الأرز » الخالد .. فى (لبنان) الشقيق



قصة مصرية فى اعترافات

الغرام الذى ضحّيتُ بهْ!

بقلم: محمد بدر الدين خليل



من الانصاف أن أعترف بأننى نشأت عالة على أختى ، فانه ان كان لأحد فضل فى حياتى فالفضل لها ٠٠ فلقد توفى والدى بعد مولدى بأشهر قلائل ، ثم لحقت به أمى وأنا بعد طفلة فى الرابعة ، فكفلتنى أختى التى لم تكن قد تجاوزت الثامنة عشرة اذ ذاك ، والتى كانت أبعد الناس عن حقيقة الحياة ، اذ ربيت تربية تقيدها التقاليد القديمة التى كانت تحرم على الفتاة بعد الثانية عشرة من عمرها أن تتصل بالعالم الخارجى ! ـ رغم ان أختى كانت قد تلقت علومها فى كلية « الاميريكان ميشن »

وألهانى حنان شقيقتى آمال عن مرارة اليتم وقسوة الحرمان من الوالدين ٠٠ ثم أشفق علينا أحد أقربائنا ـ أو قل انه ادعى الشفقة ـ فمضى يعنى بنا ويتردد علينا ، حتى انتهى الى الزواج من « آمال » بعد عام من وفاة أمنا ، فخيل الينا اذ ذاك اننا قد وجدنا الرجل الذى يحمينا ويرعى أمورنا

٠٠ ولكن عينى الطفلة التى كنتها ، لم تكونا تغفلان عن أن هذا الزواج لم يكن موفقا !٠٠ بل ان زوج أختى لم يلبث أن كشف عن شراسة وقسوة ٠٠ حتى انه لم يكن يتورع عن ضربها !٠٠ أواه ، انها لذكرى محزنة ، وان كانت أقل أسى من الذكريات التى أحيا فيها الآن ٠٠

★ ★ ★

وظلت الحياة كئيبة معتمة ، حتى بلغت السابعة من عمرى ، فألحقتنى أختى بالمدرسة ، حيث نعمت بحياة جديدة ، اذ لم أك من قبل قد اختلطت بأطفال من سنى ٠٠

واذ بلغت العاشرة ، اتجهت حياتى ـ بل حياتنا ، أنا وأختى ـ اتجاها جديدا ٠٠ فقد فاجأ الموت زوج أختى ذات صباح ، بعد ليلة مكفهرة عاد فيها وهو ثمل ، وانهال على أختى ضربا ! ٠٠ وعشنا عاما بعد موته فى جو مضطرب ، ثم ألحقتنى أختى بالقسم الداخلى

فى « الاميريكان ميشن » ٠ ودهشت فى بادىء الامر ، اذ لم أدر كيف تستطيع أن تنفق على ، كما امضنى أن أفترق عنها٠٠ ولكنى لم ألبث أن اعتدت تلك الحيـاة ، وأن أقضى أيامى فى المدرسة ـ بما فيها أيام عطلة آخر الاسبوع ، **التى لم أفقـه ماحمل أختى على أن تدعنى فيها بين جدران المدرسة ، مكتفية بأن تأتى هى لزيارتى بعد ظهر السبت من كل أسبوع ، وأن تصحبنى بعد ظهر الاحد الى السينما ، ثم تعيدنى الى المدرسة بعد أن تزودنى بالنقود ، دون أن تصحبنى الى البيت !**

وحانت العطلة الصيفية التالية ٠٠ وكنت فى أقصى لهفة على أن أعود الى البيت الذى حجبت عنه نيفا وثمانية شهور !٠٠ وكان البيت كما تركته ، وان جدد بعض قطع أثاثه ، واكتسى شيئا من الرواء ٠٠ ومرة اخرى ، انتبهت الى أن «آمال» كانت تحاول أن تجعلنى فى عزلة عن الحياة العامة فى البيت !

وازداد عجبى اذ لاحظت أن شخصـا غريبا كان يتردد على البيت فى معظم الليالى ٠٠ وكنت كلما سألت أختى عنه ، راغت من الاجابة فى لباقة ، مما أذكى فضولى ٠٠ اذ لم أك قد فطنت بعد الى الشكوك والريب ٠٠

وفاجأتنى «آمال» ذات صباح بالقول اننا على وشك الرحيل الى الاسكندرية لنقضى الصيف ، فكدت أطير طربا ٠٠ اذ كنت قد شغفت بالاسـكندرية لفرط ماسمعته عنها من زميـلات « الداخلية » ، وحشدت خيالى بصور بهيجة لبحرها وشواطئها رسمتها على أضواء أحاديثهن ٠٠ **ولكن بغتة طرأت بذهنى فكرة دفعتنى الى أن أهتف بها : « انما ٠٠ منين الفلوس يا أبلة ؟ »**

ولم أفطن الى أى شعور خالجها ٠٠ كل الذى أذكره انها ربتت على كتفى مبتسمة وقالت : « مالكيش دعوة !٠٠ الفلوس كتير ، وخير ربنا كتير ! »

وألهانى حديثها عن الاسكندرية ومافيها من مسرات ، عن أن ألح فى السؤال عن مصدر المال الذى يتطلبه الاصطياف !

★ ★ ★

وفى ذلك المساء ، استلقيت على سريرى ، أتسلى بقصيدة للشاعر الانجليزى « شيلى » ٠٠ قصيدة « السيرنادا » ، التى نظمها عقب ليلة قضاها فى الهند مع الطبيعة الصامتة الحزينة ٠٠ ووصلت الى الجزء الذى يقول فيه « شيلى » :

« **هذه قطرات المطر تقبلنى ٠٠**
« **يا الهى !٠٠ ان قلبى يرتجف ٠٠**
« **ويخفق فى عنف ٠٠**
« **ابعدونى عن هذه الطبيعة الباكية ٠٠**
« **اننى أسقط ٠٠ اننى أموت !**
« **فلينسنى العالم ، ولتهدأ الطبيعة ،**
« **حتى نستيقظ ثانية ٠٠ فى النهاية !** »

وأحسست بقلبى يرتعد وكأنما دهمه برد قارس ٠٠وغشينى وجوم آس لم أدر مأتاه ٠٠ وفجأة ، فتح باب الغرفة ، وبدت « آمال » وخلفها شاب طويل ، أنيق ٠٠

وقفزت مبغوتة، فقالتأختى:« انتى لسه صاحية يا فتحية ؟ ٠٠ تعالى لما أعرفك بسامى ؟ »



فصحت فى دهشة : «سامى!؟ ٠٠ سامى مين يا أبلة ؟ »

ـ خطيبى !٠٠ هو أنا ماقلتلكيش ؟٠٠ ده جاى معانا اسكندرية ٠٠

والحق اننى لم أرتح منذ بادىء الامر الى مظهره ، بل ان نفورا خفيا تملك قلبى نحوه ـ دون أن أدرى له كنها أو مبررا! ـ رغم أن الشاب كان يحاول أن يتلطف معى ، وان يتقرب الى ٠٠

نهايته !٠٠ كانت الايام الاولى بالاسكندرية من أسعد أيام حياتى ، حتى لقد ألهتنى عن كل شيء ٠٠ فلما زالت النشوة ، بدأت أتلفت حولى لأرى أختى وخطيبهـا يعيشـان فى عالم لنفسيهما ، حتى انهما كانا يتناسيان وجـودى فى كثير من الاحيان ليغيبا فى نزهات لا أدرى مقرهما خلالها ٠٠ فلم يكونا يعودان الى المسكن الذى استأجرناه فى « سيدى بشر » الا فى المساء ، فيصحبانى الى احدى دور السينما أو الملاهى ، ثم يعودان معى الى البيت ، حتى اذا استقررت فى فراشى ،أحسست بهما يتسللان من جديد مغادرين البيت !

وكنت أفطن فى بعض الليالى الى خروجهما هذا المسترق،فلا أستطيع بعد ذلك نوما ، وأظل فى الفراش مسهدة ٠٠ وكثيرا ماكنت أسـمعهما عائدين مع أضواء الفجر الاولى ، فأسمع لأقدامهما وقعا غير متزن !٠٠ وأدركت أن « آمال » وخطيبها كانا يعودان ثملين ٠٠ بل الأنكى من هذا أن سامى كان يقيم معنا فى المسكن ، رغم التقاليد التى نشأنا عليها ، والتى لم تكن تبيح لغريب أن يظل فى بيت لا رجل فيه ٠٠ سيما وان سامى لم يكن قد ارتبط بآمال بأى رباط رسمى ٠٠

وبدأت أفتح عينى وأذنى لما كان يدور حولى ٠٠ فلم أزدد الا اقتناعا بأن سامى كان يضمر خبثا ، ولكن ٠٠ هل كانت أختى تغفل عن ذلك ؟٠٠ واذا كانت تدريه فكيف ترضى بأن تتمادى معه ؟

وتزاحمت فى رأسى أسئلة لا أدرى لها ردا ، فكانت تسلمنى الى حيرة مريرة ٠٠ أبدا لم يخطر بذهنى ـ ذهن الصـغيرة البريئة الساذجة ـ ان أختى قد تسلك مسلكا معوجا !٠٠ وذات يوم وجدت من نفسى الجرأة كى أسأل أختى : «ألا قولى لى ياأبلة، امتى حتتجوزوا ؟ »

فوجمت هنيهة ، ثم تصنعت الابتسام قائلة : « بعد مانرجع من المصيف ٠٠ اشمعنى بتسألى النهاردة ؟ »

ــ ما أسألش عن فرح أختى علشان استعد له ؟

وحاولت أن أتمادى فى أسئلتى ٠٠ ولكنها لم تدع لى سبيلا!

ومر الصيف ٠٠ وعدت الى القسم الداخلى فى « الاميريكان ميشن » وقد بعثت تلك الامور التى لاحظتها أفكارا حائرة فى ذهنى الصغير ٠٠

★ ★ ★

وعندما عدت الى البيت مع مطلع الصيف التالى ، شاهدت أمورا أخرى ، زادت من شكوكى ، وضاعفت من حيرتى وآلامى : كان سامى قد تخلى عن أختى ٠٠ فسخ خطوبته على اثر شقاق بينهما ، كما قالت لى ٠٠ ولكنى لاحظت أن ثمة شبانا سواه يترددون ، وكلما سألتها عنهم كانت تقول انهم أصدقاء لها !

ولم أعد أطيق صبرا ٠٠ ففى ذات يوم ، وجدتنى أسألها وقد ابتاعت لى ثوبا جديدا : « قولى لى يا أبله ٠٠ منين بنجيب كل الفلوس دى ؟ »

ــ منين ؟ ٠٠ ربنا شايفنا ولايا مالناش معين ، فبيبعت لنا رزقنا ٠٠

ــ رزقنا ٠٠ ومنين ييجى رزقنا واحنا مالناش أى مورد ؟

ــ وانتى ايه اللى يخليكى تسألى فى مسائل زى دى ؟

وحدجتنى بنظرة أسكتتنى ٠٠ كنت اذ ذاك صغيرة ــ لم أتجاوز الرابعة عشرة ــ فخشيت أن أغضبها ٠ بيد أن حالتى النفسية لم تلبث أن بثت فى نفسى الجرأة على أن أعاود الحديث، متسائلة عن أولئك الشبان الذين كانوا يترددون على مسكننا وكأنهم ليسوا غرباء عنه ! ٠٠ وأطرقت أختى برهة ٠٠ كانت حائرة ، وكانت متألمة ــ فما كانت عيناى لتخفقا فى تعرف ما تبدى على أساريرها ــ ثم قالت وهى تهم واقفة ، وتتجه الى الباب : « أحسن لك ما تعرفيش حاجة ٠٠ انتى مش مبسوطة من انك ماشيه فى دراستك ، وبتاخدى مصروف وبتلبسى زى أى واحدة من زميلاتك ؟ ٠٠ ثم انتى مش واثقة من انى باحبك

وأحرص على راحتك وسعادتك ومستقبلك ؟ ٠٠ خـــلاص ، اطمئنى ٠٠ وسيبى الشقا والهموم لى وحدى ! »

وجثم الاسى على صدرى ٠٠ واشتدت بى الحيرة ٠٠ وبدلا من أن أطمئن كما سألتنى ، وجدتنى أوغل فى التفكير : « سيبى الشقا والهموم لى وحـــدى » ! اذن فهناك شقاء ٠٠ أتراهـــا تعمل ؟ ٠٠ لا ، هذا ما كنت واثقـــة منه ، فللعمل – أى عمل – مواعيد منتظمة ، أو شواهد ومظـــاهر لم أكن أرى لدى اختى شيئا منها ٠٠ اذن ٠٠ اذن !؟ ٠٠ أتراها تسلك الطريق التى كنت أقرأ عنها فى القصص ؟!

وروعتنى الفكرة ٠٠ وأزعجنى أن أتصور ان آمال من ذلك الفريق الذى يصفونه بـ « أنصاف العـــذارى » ! ٠٠ ودفعنى الشك المحض والحيرة القاسية الى أن الجأ الى طريقة كنت أدرك انها دنيئة ، ولكنها كانت الطريقة الوحيدة : رحت اســـتدرج الخادم « أم السعد » فى غياب أختى ، حتى استطعت أن أخرج بصورة عن الحياة فى البيت : شبان يترددون ٠٠ سهرات عابثة ثملة أثناء غيابى فى المدرسة ، وفى الخارج أثناء الصيف ! ٠٠ مشاجرات بين أختى وشاب من أجل شاب آخر ٠٠ وهكذا ٠٠

وتفتحت عيناى على الحقيقة المـــرة ٠٠ وثارت فى صـــدرى مشاعر الفتاة « الساذجة » التى تعيش فى عالم من الاحـــلام ، والخيال ، والمثل العليا ! ٠٠ فانتهزت أول فرصة خلوت فيهـــا الى أختى ، وعدت اسائلها عن اولئك الشبان الذين يترددون على البيت ؟ ثم ثرت اذ وجـــدتها تحاول المـــراوغة كما اعتادت ، فقذفتها بحمم البركان الذى كان يجيش فى نفسى ٠٠ أفضيت اليها بكل ما عرفت فى ثورة غاضبة ، مهتاجة !

وظلت تسمع وهى منكسة الرأس ، دامعة العـــين ، كطفلة تعرضت لسخط مدرستها أو أختها الكبرى ٠٠ وسادنا صمت واجم رهيب ٠٠ ولم تحاول أن ترفـــع رأســـها ٠٠ ، وبدأت

أستشعر شيئا من الاشفاق نحوها ، وألوم نفسى على ما أبديت من قسوة ٠٠ حتى لقد هممت أن أعتذر ، لولا أنها شرعت تتكلم ، فى صوت مرتجف خافت ٠٠

وصارحتنى بكل شىء ! ٠٠ لم يكن والدانا قد خلفا لنا شيئا ٠٠ لا ولم يترك زوجها هو الآخر ثروة ٠٠ وكان لابد لنا من مورد ٠٠ حاولت أن تبحث عن عمل ، ولكنها لم تكن تتقن عملا ٠٠ وكانت السبيل الى زواج آخر غير ميسرة ـ فان فرص الزواج أمام الارملة فى مجتمعنا ، فى ذاك الحين على الاقل ، كانت ضئيلة ٠٠ فما بالك اذا كان لهذه الارملة ذيل يتمثل فى أخت مثلى ؟

وكان لابد من أن نعيش ٠٠ وكانت أختى مصرة على أن أتم تعليمى حرصا على مستقبلى

واضطرت الى أن تسلك طريق الابالسة !

وفرغت أختى من اعترافها ، فبكت ٠٠ وبكيت معها ، كما لم نبك من قبل !

★ ★ ★

على انى لم اكد اعود الى المدرسة ، وتبهت معالم الموقف المؤثر فى ذاكرتى ، حتى عاد ضميرى ومثلى العليا توسعنى ثورة ٠٠ وداخلنى سأم من حياة يكفلها مال يأتى عن طريق دنيئة ، مدنسة ٠٠ وخيل الى أن كل زميلاتى فى المدرسة قد عرفن السر الملطخ ، وانهن ينظرن الى نظرات غامضة فيها ازدراء وترفع !

وأخذت الهواجس تنمو فى نفسى وتستفحل ، فلم أكد أعود الى أختى فى نهاية العام الدراسى ، حتى صارحتها بأننى لن أمضى فى دراستى ، واننى سأبحث عن عمل شريف أجنبها به العار الذى تردت فيه !

وحاولت أن تعارض ، وأن تغرينى على أن أتم دراستى التى أوشكت على الانتهاء ٠٠ وأكبرت فيها التضحية ، ولكنى لم أقو على قبولها ٠٠ ولم تستطع هى المضى فى الالحاح ، اذ كانت مذ



تكشف أمرها لى ، تخجل من أن تطيل الحديث معى ·· بل كانت تتحاشى لقائى ·· وكنت أتحاشى لقاءها !

وتوتر جو البيت واكفهر ·· ورحت أبحث عن عمل – أى عمل شريف – وأحلام الشباب والتلمذة تملأ ذهنى ··

ولم أوفق ·· وأخذت الايام تمر ، مملة ، بغيضة ·· وكانت حالتى النفسية كنار تحرقنى ·· وبدأت أذبل وأذوى ·· وكرهت الدنيا فكنت ألوذ بغرفتى لا أكاد أفارقها الا حين تهب على نسمة من أمل تحفزنى على الانطلاق من جديد بحثا عن عمل ··

وكان لابد من أن تنتهى بى هذه الحال الى الانهيار ·· وآى انهيار ! ·· لكأنما امتصت من كيانى كل طاقته الحيوية ، فاذا به جسم مرتخى الاعصاب والعضلات ، حتى لقد كنت أعجز عن أن أستوى على قدمى ! ·· وكنت اوثر الصمت حتى لا يتعبنى الكلام ·· وكنت أستسلم لعناية أختى ورعايتها لأننى لم أعد أقوى على معارضتها ··

وعند ما أصرت على أن ننتقل للاقامة فى «حلوان» – استجابة لاوامر الطبيب الذى يعالجنى – لم أملك أن أقاوم ··

* * *

وكأنما كان البعد عن القاهرة وما لقيت فيها من خيبة وصدمات نفسية ·· وعن البيت وجوه الذى أصبح بغيضا لدى ·· كأنما كان هذا كله مجددا لحيويتى ·· وبدأ جو حلوان

وسكونها يفعلان فى نفسى المعجزات ، سيما وقد آلت أختى على نفسها أن تقصى عنها كل أصدقائها مراعاة لحـالى ٠٠ وراحت تنفق كل ما أدخرته فى سبيل علاجى ورعايتى ٠٠

وأخذت أسترد حيويتى رويدا ٠٠

ثم ٠٠ أقبل الامل ينفخ فى جذوة الروح التى كادت تخمد فى نفسى ٠٠ وكان مهبه من الدار المجاورة ، التى كانت شرفتها تلاصق شرفتنا ٠٠

ففى تلك الشرفة ، رأيت «حسنى» ٠٠ كان يجلس الساعات فى هدوء وسكون ، على غير ما عهدت عليه الشباب ٠٠ وبدأت أحس وأنا أراه ينصرف عن عبث الشباب ويقنع بعـزلته فى الشرفة مع كتاب أو مجلة ، بأن ثمة جوا شاعريا يلفه ٠٠ جوا فيه جاذبية أخذت تشدنى اليه ٠٠

وكان الجوار وسيلة سهلت أسباب التعـارف ٠٠ وسرعان ما أخـذ « حسنى » يتردد عـلى دارنا ٠٠ وازداد اقبالا حين استبان اننى وأختى قد درسنا فى « الاميريكان ميشن » واننا كنا نجيد الانجليزية ، ونتـذوق الادب ٠٠ فكان يقضى معنا الاصائل فى أحاديث طريفة ، سواء فى شرفة دارنا ، أو أثنـاء نزهتنا فى أطراف « حلوان » ٠٠

وشعرت بعاطفة تجتاحنى نحو « حسنى » ٠٠ عاطفة لم ألبث أن أيقنت انها حب ٠٠ ولكنه كان حبا صامتا ٠٠ فقـد كنت أخشى أن يرى « حسنى » اننى لست أهلا له ، لا سيما اذا عرف عن أختى شيئا !

وأسعدنى أن أقنع من الغرام بأحلام وردية جميلة ٠٠ كان يكفينى أن أرى حسنى ، وأجالسه ، وأناقشه حول ما نقرأ من أشعار وقصص ٠٠

ولكن السيل كان فى ازدياد ، حتى لم أعد أقوى على كبحه ٠٠ وقررت أن أبوح له بوجدى فى أول فرصة أخلو فيها اليـه بعيدا عن « آمال » !

و ٠٠ مرة أخرى تقفز « لكن » الى سياق حديثي ٠٠ ولكن القدر لم يكن قد أشبع نكايته منى ، بل كان يدخر لى ضربة قاضية : اذ فوجئت بآمال تعلن الى ذات يوم ان حسني قد سألها أن تقبله زوجا ، وانهما لن يلبثا أن يعلنا خطبتهما للملأ !

وعلى الرغم منى شهقت هاتفة : « و ٠٠ وانتى قبلتى ؟ ٠٠ هو مش عارف ؟! »

وترددت ٠٠ وأمسكت دون أن أتم عبارتى ، لكن لهجتى كانت كافية لان توحي اليها بما أقصد ، فاذا وجهها يمتقع لحظة ٠٠ ثم تمالكت نفسها وقالت وقد غضت من بصرها : « أنا ٠٠ أنا قلت له انى اتجوزت قبل كده ٠٠ مش ده كفاية ما دمنا حندفن الماضى ؟ »

ولم أجبها ٠٠ ولعلها قرأت على أساريرى صورا مما كان يعتلج فى جوانحى ، اذ اقتربت منى ، وجلست على مسند مقعدى ، ثم راحت تتخلل شعرى بأصابعها وقالت : « ربنا بيغفر للمذنب خطيئته اذا تاب توبة صادقة ٠٠ مش كده يا أختى ؟ »

وكانت أول مرة أسمعها تنادينى فيها ب « أختى » ، فقد كانت دائما تدللنى بمختصر اسمى « تيتى » ٠٠ وهفت لهجتها بأعطاف قلبى ٠٠ ولكن الحيرة التى أسلمنى اليها الموقف كانت جبارة ٠٠ وجدتنى أفكر : **أينا أحق بحسنى ؟ ٠٠ أنا الصغيرة ، الطاهرة ، التى ما يزال قلبها بكرا ٠٠ أم هى التى نالت بحياتها العابثة نصيبا من المتع ؟ ٠٠ ولكن ، ألم يكن خوضها الوحل من أجلى ؟٠٠ ألم تكن تلك أغلى تضحية فى الوجود ؟٠٠ ومع ذلك ، فما ذنب حسنى ؟ ٠٠ قد أقدر أنا تضحيتها ، ولكن لم يتحمل هو أدناس ماضيها ؟**

ووجدتنى أرتجف على الرغم منى ٠٠ ولم أفطن الى ان الدموع كانت تنهمر من عينى دون وعى منى ، الا حين وجدت

آمال تحتوينى بين ذراعيها وتهتف فى شجن : « آه ، فهمت ·· انتى ·· انتى بتحبيه يا تيتى ؟ »

ولم أستطع كبح جماح نفسى ، فانفجرت فى بكاء أليم ··

ولم نخرج لملاقاة حسنى فى ذلك الاصيل ، فقد جلسنا صامتتين واجمتين ، وكأننا عجوزان من عجائز المآتم ·· كانت تعصف بكل منا عواطف متناقضة متضاربة تجمع بين الخير والشر ، وبين التضحية والانانية ، وبين الرأفة والقسوة ، وبين العرفان والجحود ··

وأسدل الليل سدوله ونحن فى جلستنا ·· واشتد الظلام دون أن نفطن اليه ، حتى انتبهنا أخيرا الى رنين جرس الباب يدوى متواصلا ·· كان اللبان قد أحضر اللبن كعادته فى كل مساء ·· وانتهزت فرصة تلبية أختى نداء الجرس ، فتسللت الى فراشى فى صمت ·· ولكنها سرعان ما لحقت بى ·· ورأيت شبحها يدلف فى الظلام الى جانب الفراش ·· وركعت على الارض ، وتحسست الغطاء حتى وجدت يدى فأمسكت بها ·· **وأحسست بدموع تتساقط على صفحة يدى ·· وسمعت صوتها متهدجا ، باكيا ، يقول فى لهجة هى أقرب الى مناجاة الكاهنة لتمثال ربتها : « تيتى ·· مش عارفة أقول ايه ·· انتى عاوزه حسنى ؟ ·· مستعدة أسيبه لك ·· ولكن ·· »**

وازداد صوتها تهدجا واختناقا ، وهى تمضى قائلة : « ولكن أنا أعمل ايه ؟ ·· ما تقدريش تتصورى حبى له ·· ده أول حب لى فى الحياة ·· وآخر حب ! ·· كنت زى مركب حاصرتها الامواج فى عرض البحر ، وعذبتها العواصف ·· وده المرفأ اللى حظى حدفنى عليه ·· أنا عاوزه أعيش عيشة شريفة ·· عاوزه أكفر عن الماضى الملطخ ·· ومفيش طريقة لكده الا بالجواز ·· ومش ممكن أتجوز شخص غير حسنى ·· هو الحب الوحيد اللى شعرت به فى الحياة »

٠٠ وأجهشت بالبكاء ٠٠ واستطردت بين شهقاتها تهتف فى توسل يذيب الاكباد : « ضحى مرة علشانى ٠٠ أنا اللى ضحيت كتير ، وبأعز الاشياء علشانك ٠٠ ضحيت بمستقبلى ٠٠ وبشرفى ٠٠ وبكرامتى ٠٠ انتى لسه صغيرة ، والحياة أمامك طويلة ، وبكره تلتقى بغيره ، وتقعى فى ابن الحلال اللى يسعدك ٠٠ »

وكان قلبى يتمزق ٠٠ يتمزق من أجلها ٠٠ ويتمزق من أجل حبى ٠٠ الحب الاول والاخير ٠٠

ومن أعماق الظلام ـ ولست أدرى ان كان ظلام نفسى الحزينة أو ظلام الغرفة ـ انبعثت اصداء كلمات « شيلى » :

« يا الهى !٠٠ ان قلبى يرتجف ٠٠
« ويخفق فى عنف ٠٠
« ابعدونى عن هذه الطبيعة الباكية ٠٠
« اننى أسقط ٠٠ اننى أموت ! »

★ ★ ★

أواه !٠٠ ان القلم لم يعد يستوى بين أصابعى المرتجفة لفرط الانفعال ٠٠ ولعلك لست بحاجة الى البقية ، فقد ٠٠ ضحيت بغرامى !

ولقد مرت السنوات حتى اكتملت عشرا ولما يظهر « ابن الحلال » الذى يثبت لى أن العاطفة التى استشعرتها نحو « حسنى » كانت وهما وليست حبا !

أجل ، اننى الآن فى السابعة والعشرين ٠٠ ولما أتزوج ٠٠ ولن أتزوج ٠٠ فأنا اليوم سعيدة بأن أخلو الى قصصى وأشعارى فى غرفتى ٠٠ وبأن أرى « آمال » و « حسنى » سعيدين فى حياتهما المشتركة ٠٠

الحياة قصة



روائع القصص العالمي

عزيزى القارىء ...

قرأت معى فى الاعداد الماضية قصص: • أموك : لستيفان زفايج • قلب عذراء : جون جالزورثى • مرتفعات وذرنج : اميلى برونتى • التلميذ :بول بورجيه • أحدب نوتردام : فيكتور هوجو • جريمة حب : بول بورجيه • جين اير : شارلوت برونتى • أيام بومباى الاخيرة : لورد ليتون • مانون ليسكو : الاب بريفو • حديقة الله : روبرت هتشنز • عندما تحقد المرأة : جورج أونيه • آسيا : ايفان تورجنيف • كاس تمبرلين : سنكلير لويس • الشيطان على الارض : برتراند رسل • رسالة من مجهولة : ستيفان زفايج • الحب الاول : تورجنيف • تاييس : اناتول فرانس • بلاد العميان :هـ.ج. ويلز • نادى الانتحار : روبرت لويس ستيفنسون • كوخ العم توم : هارييت بيتسر ستو • الزوج والعشيق : سومرست موم • البوهيمية : هنرى مرجيه • فتاة لها ماض : بول بورجيه • شيرى : كوليت • الجريمةوالعقاب: دستويفسكى • لحن كرويتزر:تولستوى • أمير مصر : جورج ايبرز • الامطار: سومرست موم • افروديت : بيرلويس • جيجى : كوليت • الشيطان فى الجسد : ريموند راديجيه • ليبوريللا : ستيفان زفايج • كانديد : فولتير • آشجان فرتر : جيته • فرانشسكا : موباسان • لوريت : الفريد دى فينى • المعطف : ن . جو جول • يوميات زوجة : مارسيل بريفو

وهاك اليوم .. « الافق المفقود » !



الأفق المفقود!

للروائى الانجليزى المشهور "چيمس هيلتون"



القصة التى ظفرت لمؤلفها بالمجد !

◆ ماهو سر الحياة ؟ .. وماهو سر الخلود ؟ .. وهل يستطيع الانسان أن يتوصل الى أى منهما ؟ .. فلقد جند العلماء أنفسهم ـ منذ أن وجدت للعلم أسس واضحة المعالم ـ لمعرفة هذين السرين دون جدوى .. وان زعم بعضهم أن «السر الاعظم» أصبح فى متناول أيديهم .. أو هو على وشك!

ان حوادث القصة التى أقدمها اليك اليوم ، تقع فى قلب القارة الاسيوية .. وفى احدى المناطق المنعزلة عن العالم عزلة تكاد تكون تامة ! .. الغموض يكتنفها من كل جانب .. والالغاز تحيط بها احاطة السوار بالمعصم .. والحقيقة والخيال يختلطان فيها اختلاطا هائلا مروعا .. وفى النهاية ، تلتقى بالسؤال الأزلى : ماهو سر الحياة ؟ .. وهل هناك من توصل الى معرفته ، وان كان يحتفظ به لنفسه ، استعدادا لليوم الذى تذبل فيه الحضارة البشرية ، فيتقدم هو ليحمل المشعل .. وينير السبيل أمام الحياة الجديدة .. والأمل الجديد ؟!

سوف تقرأ بنفسك .. وتفكر .. وأنت تعيش مع أبطال هذه القصة العجيبة التى منحت جائزة « هوثورندن » العالمية للقصة فى عام ١٩٣٣ ، وظفرت فجأة لمؤلفها بمجد عريض شجعه على انتاج روائعه التالية التى منها : «وداعا يا مستر تشيبس» و «فارس بغير درع» و «الماضى المجهول» .. الخ (وسأحاول أن أعرفك بالمؤلف تعريفا أوفى فى نهاية هذه القصة)

◆ **كان** القسم الاكبر من اللفائف التى كنا ندخنها قد احترق ، وبدأنا نحس بخيبة الامل التى تخالج عادة أصدقاء الدراسة القدامى اذ يلتقون ثانية وقد أصبحوا رجالا ، فيلفون أنفسهم أقل انسجاما وتآلفا مما كانوا يخالون . كان «رذرفورد» قد صار كاتبا قصصيا ، أما « وايلاند » فغدا سكرتيرا فى السفارة ، وقد دعانا الى العشاء الذى فرغنا منه لتونا فى ميناء « تمبلهوف » الجوى ، فكانت السهرة ممتعة . وكنا نشهد من مكاننا المطار بجلاء ، وقد اكتسب المنظر بريقا مسرحيا ينبعث من المصابيح الوهاجة ذات الضوء الأزرق ..

وأقبل قائد احدى الطائرات الانجليزية ـ فى كامل ثياب الطيران ـ نحو مائدتنا ، فحيا « وايلاند » الذى لم يعرفه فى

البداية ، حتى اذا تذكره ، قدمه الينا وقدمنا اليه ٠٠ وكان شابا طروبا يدعى « ساندرز » ٠ وأشار « وايلاند » ــ فى مجال الاعتذار ــ الى صعوبة التعرف على الناس اذا ما كانوا فى زى الطيران الكامل ، فضحك « ساندرز » وأجاب : « أعرف ذلك معرفة كافية ٠٠ لا تنس اننى كنت فى (باسكول) ٠٠ »

وأضاف وجوده زميلا لطيفا الى شلتنا الصغيرة ٠ وفى نحو الساعة العاشرة ، غادرنا « وايلاند » لحظة ليتحدث الى شخص ما عند مائدة قريبة ، فقال « رذرفورد » فجأة : « آه ٠٠ بهذه المناسبة ٠٠ لقد ذكرت (باسكول) منذ هنيهة ، وأنا على معرفة ضئيلة بالمكان ٠ فما ذاك الذى كنت تشير الى أنه جرى هناك ؟ »

وابتسم « ساندرز » خجلا وقال : « آه ٠٠ مجرد اضطراب ضئيل غشينا مرة عندما كنت فى الخدمة ٠ والواقع أن شخصا يبدو أنه أفغانى ، هرب باحدى طائراتنا المخصصة للركاب ٠ وفى وسعكم أن تتصوروا المشكلة التى حدثت بعد ذلك ٠ **فان الرجل صرع قائد الطائرة بلكماته ، وانتزع حقيبة معداته ، وصعد الى مقعد القيادة دون أن يكشف أحد أمره ، وأصدر الاشارات الصحيحة كذلك ، ثم صعد فى الجو واختفى ٠ وكانت المشكلة انه لم يعد بعد ذلك قط !** »

وبدا الاهتمام على «رذرفورد» وتساءل : « متى حدث هذا ؟ »

ــ آه ٠٠ منذ حوالى عام ولابد ٠ فى مايو سنة ١٩٣١ ٠ وكنا نجلى المدنيين عن (باسكول) الى (بيشاوار) بسبب الثورة ٠٠ وكان المكان على شىء من الهرج ، والا فما أحسب أن هذا الامر كان يحدث !

وكان « رذرفورد » ما يزال بادى الاهتمام ، فقال : « كنت أظن انكم تعهدون بأية طائرة الى أكثر من واحد فى مناسبة كهذه »

ــ كنا نفعل ذلك بالنسبة لكل طائرة عادية لنقل الجنود ،

ولكن هذه الطائرة كانت خاصة ، صنعت فى الاصل لأحد المهراجات ، وصممت بحيث تستطيع التحليق فى طبقات الجو العليا

– أو تقول انها لم تصل الى (بيشاوار) قط ؟

– أبدا لم تبلغ بيشاوار ٠٠ ولا هبطت فى أى مكان آخر ٠٠ على قدر ما نعلم ٠ وكان هذا أغرب ما فى الامر !

– كم راكبا كان فيها ؟

– أظنهم أربعة ٠٠ ثلاثة رجال واحدى المبشرات

– ترى هل كان أحد الرجال يدعى « كونواى » ؟

فبدت الدهشة على « ساندرز » وقال : « أجل ، في الواقع ٠٠ أكنت تعرفه ؟ »

قال « رذرفورد » : « كان معى فى مدرسة واحدة »

فاستطرد «ساندرز» قائلا : « كان شابا طيبا كما تشهد كل أعماله فى (باسكول) ٠٠ »

فهز « رذرفورد » رأسه وبدا أنه يجمع شتات ذهنه بعد فترة من الشرود ، ثم قال : « ان القصة لم تنشر فى الصحف ، والا كنت قرأت عنها على ما أعتقد ٠٠ فكيف كان ذلك ؟ »

وبدا على « ساندرز » التململ فجأة ، بل لقد خيل الى أن وجهه أوشك أن يتضرج حياء ، ثم ذكر كيف خشى المسئولون أن يثيروا الرأى العام ، فتكتموا الحقيقة واذاعوا ان الطائرة فقدت براكبيها

★ ★ ★

◆ **وهنا** انضم الينا « وايلاند » ، فتحول « ساندرز » اليه قائلا : « لقد اكتشفت ان هذين الزميلين يعرفان «كونواى» ٠٠ وكنا نتحدث عن حادث (باسكول) ٠٠ » ٠٠ فقال رذرفورد : « مجرد معرفة بسيطة فى (اوكسفورد) ، وبضعة لقاءات عابرة بعد ذلك ٠ هل كنت تصادفه كثيرا ؟ »

– تقابلنا مرة أو أثنتين فى (انجورا) ، حين كنت معينا

هناك ٠٠ وبدا لى أنه ماهر ولكنه كان يميل للخمول

فابتسم « رذرفورد » قائلا : « كان ماهرا بالتأكيد ٠٠ كان من أكثر الطلبة توفيقا فى دراسته الجـامعية ٠٠ حتى نشبت الحرب ٠ وانى لأشهد بأنه خير هاو سمعته يعزف على البيانو ٠٠ ولقد قطعت عليه الحرب سيره فى الحياة بالطبع »

واستأنف « وايلاند » الحديث قائلا : « لقد تعرض لانفجار ، أو ما يشبه ذلك ، ولكن لم يصب بضرر كبير ٠ وأعتقد أنه عاد بعد ذلك الى (اوكسفورد) فترة ٠٠ وأعرف أنه ذهب الى الشرق فى سنة ١٩٢١ ٠٠ ويسر له المامه باللغات الشرقية عملا دون ما عناء » ٠

وعند هـــذا الحد نهض « رذرفورد » للانصراف ، فنهضت بدورى ، اذ كنت سأستقل قطارا عبر أوربا فى ساعة جد مبكرة من الصباح ٠ وبينما كنا فى انتظار العربة ، سألنى «رذرفورد» عما اذا كنت أبغى قضاء فترة فى فندقه ٠ وحين أجبته بأن هذا يروق لى تماما ، قال : « حسنا ٠٠ نســتطيع أن نتحـدث عن « كونواى » اذا شئت ٠٠ ما لم تكن قصته قد اسأمتك »

ـ اننى لم أسأم البتة ، وان كنت لم أعرفه الا معرفة جـد يسيرة ٠٠ ولكنه كان مفرطا فى التلطف معى الى درجة غـير عادية ، فى احدى المناسبات ٠٠

ـ أنا أيضا كنت أحبه كثيرا ، وان كان من المـدهش اننى بدورى لم أره الا قليلا ، اذا حســبت مقابلاتنا بالوقت الذى استغرقته

وساد بعد ذلك صمت غريب ـ نوعا ما ـ كان من الجلى ان كلا منا كان يفكر خلاله فى شخص كان له فى نفسينا أكثر مما كان يرتقب من هذه الاتصالات العابرة ٠ وكثيرا ما تبينت ـ بعد ذلك ـ ان جميع من قابلوا « كونواى » ، حتى فى مناسـبات رسمية بحتة ، ظلوا يذكرونه بجلاء ٠٠ كان فى الواقع رائعا ، اذا نظرنا اليه كشاب ٠٠ وكان طويلا ، مليحا الى أقصى درجة ،

لم يحذق الالعاب الرياضية فحسب ، بل كان يفوز بكل نوع من الجوائز المدرسية !

وانطلقت بنا السيارة مجتازة بضع طرقات ونحن فى صمت ثم عاد «رذرفورد» يقول : « **ما كنت لأفوت على نفسى هذه الامسية ٠٠ كانت تجربة فذة بالنسبة الى ، حين سمعت « ساندرز » يروى تلك القصة عن (باسكول) ٠٠ لقد سمعتها فى الواقع من قبل ، ولكننى لم أصدقها تماما ٠٠ كانت جزءا من قصة جد خيالية ، لم أر ما يبرر تصديقها على الاطلاق ٠٠ أو بالاحرى ، لم أجد سوى سبب واحد تافه جدا على أية حال ٠٠ أما الآن ، فهناك سببان تافهان جدا » !**

★ ★ ★

◆ **وكنا** قد بلغنا الفندق ٠ وبينما كان « رذرفورد » يفتح باب حجرته لندلف اليها ، قال : « الواقع ان « كونواى » ليس ميتا ٠٠ أو بالاحرى ، لم يكن ميتا منذ بضعة أشهر ٠٠ فقد سافرت معه من (شانغهاى) الى (هونولولو) على باخرة يابانية فى نوفمبر الماضى ٠٠ كنت قد زرت صديقا فى (هانكاو) ، وعدت بقطار (بكين) السريع ٠ وفى القطار ، أتيح لى أن أجاذب الحديث راهبة جد جميلة ، ترأس بعض الراهبات الفرنسيات اللاتى يقمن بأعمال البر ، وكانت مسافرة الى (شونج كيانج) حيث يقوم ديرها ٠٠ وفيما كانت تحدثنى عن مستشفى البعثة فى (شونج كيانج) ، ذكرت مريضا بالحمى حمل اليها منذ أسابيع ٠٠ رجلا حدسوا انه ولابد أوربى ، وان لم يستطع أن يروى شيئا عن نفسه ، ولم يكن معه أية أوراق ٠ وكانت ثيابه محلية ، ومن أرخص نوع ، وكان شديد الاعياء حين قبلته الراهبات فى المستشفى ٠ وكان يتحدث الصينية بطلاقة ، كما يجيد الفرنسية الى حد كبير ٠ وأكدت لى زميلتى فى القطار انه حدثهن بالانجليزية ، بلهجة راقية ، قبل أن يتحقق من جنسية

الراهبات ٠٠ وعند ما بلغ القطار (شونج كيانج) ودعتنى الام الراهبة بأجمل مظاهر المودة ، ودعتنى الى زيارة ديرها اذا قدر لى أن أكون على مقربة منه ٠ وكان هذا يبدو مستبعدا فى الواقع ، ولكن حدث أننى عدت الى (شونج كيانج) ثانية خلال بضع ساعات ٠٠ »

فلقد تعطل القطار ولما يبتعد عن المحطة ميلين ، فعاد الركاب الى المحطة ، ريثما تصل قاطرة أخرى بعد اثنتى عشرة ساعة ٠٠ ورأى « رذرفورد » أن ينتهز الفرصة لزيارة الدير ، فاستقبل بحفاوة ، وصحبته الام الرئيسة وطبيب شاب من الصينيين فى جولة خلال المستشفى ٠٠ ومضى يقول : « كان المكان نظيفا لا غبار عليه ، ولاح انه يدار بدقة ٠ وكنت قد نسيت كل شىء عن المريض الغامض ذى اللهجة الانجليزية الراقية ، حتى نبهتنى الام الرئيسة الى آننا مقبلون عليه ٠ ولما دخلنا غرفته ، حييته بالانجليزية ، فتطلع فجأة ، ورد التحية ٠ **وكنت قد عرفته رغم نمو لحيته ، وتغير مظهره ، ورغم أننا لم نلتق منذ أمد طويل ٠٠ كان هو « كونواى » ٠٠ وهتفت باسمه واسمى ٠٠ ومع انه تطلع الى دون أية بادرة تدل على ادراك ، الا اننى وثقت من أننى لم أخطىء ٠٠**

« واستبدت الدهشة بالطبيب والام الرئيسة ، ولكنى أنبأتهما بأننى أعرف الرجل، وانه اذا لم يكن قد عرفنى ، فلأنه فقد ذاكرته تماما ٠٠ ورحنا نتشاور فى الامر ، فلم يستطيعا أن يعللا كيف أمكن لكونواى أن يصل الى « شونج كيانج » بالحالة التى كان عليها ٠٠

« ومكثت هناك أكثر من أسبوعين على أمل أن أتمكن من حمله ـ بطريقة أو بأخرى ـ على أن يتذكر الامور ، فلم أفلح ٠ غير أنه استعاد صحته البدنية ، فتحدثنا معا طويلا ، وكنت حينما أنبئه باسمى ، وبمن يكون هو ، لا يجادلنى تلطفا منه ٠ ووافق بسهولة على اقتراحى بأن أصحبه فى العودة الى الوطن

٠٠ وسافرنا بطريق النهر الى (نانكينج) ثم ركبنا القطار الى (شانغهاى) ، حيث استطعنا أن نعثر على سفينة مبحرة الى أمريكا فى الليلة ذاتها »

★ ★ ★

◆ **وتوقف** « رذرفورد » قليلا ريثما يستجمع ذكرياته ، ثم استأنف حديثه :

« وتستطيع أن تتصور اننا أعدنا توطيد صداقتنا القديمة على السفينة ، فحدثته بكل ما كنت أعرفه عنه ، وهو يصغى بانتباه ٠ وكان يتذكر بجلاء كل ما حدث منذ وصوله الى (شونج كيانج) ٠ وهناك مسألة أخرى قد تثير اهتمامك ، هى انه لم ينس اللغات ٠ وقد ذكر لى — على سبيل المثال — انه ولابد كان على علاقة ما بالهند ، لأنه كان يستطيع الكلام باللغة الهندوستانية ٠ وفى (يوكوهاما) صعد الى السفينة ركاب جدد كان بينهم « سييفكينج » عازف « البيانو » المشهور ٠ وبعد مغادرة اليابان ببضع ليال ، أمكن اقناعه باقامة حفلة يعزف فيها ، وذهبت و « كونواى » لسماع عزفه ٠٠ وكان رائعا بالطبع ٠ وبعد أن فرغ « سييفكينج » واتجه نحو الباب لينصرف ، حدث أمر غريب ٠٠ **فقد جلس « كونواى » مكانه ، وعزف قطعة سريعة حافلة بالانغام ، لم أعرفها ، ولكنها اجتذبت « سييفكينج » فعاد فى انفعال بالغ يسأله عن واضعها ٠٠ وبعد صمت طويل غريب ، لم يستطع « كونواى » سوى أن يجيب بأنه لا يعلم عنه شيئا ٠ وصاح « سييفكينج » — وقد زاد انفعاله — بأن هذا غير معقول ٠ واذ ذاك بدا « كونواى » كأنه يبذل جهدا جبارا ليتذكر ، ثم قال أخيرا انها من انتاج « شوبان » ، فصاح سييفكينج : « اننى أعرف كل ما انتجه « شوبان » ياصديقى العزيز ، وأؤكد لك انه لم يكتب قط ما عزفت الآن ٠ ولقد كان من المحتمل أن يضع لحنا كهذا — لأن هذا من لون ألحانه فعلا — ولكنه لم يفعل ٠ وأتحداك أن ترينى هذا اللحن فى**

أية نسخة » ! ٠٠ ورد كونواى على هذا قائلا : « آه ، فعلا ٠٠ تذكرت ٠٠ انه لم يطبع قط ، وانما تعلمته أثناء لقائى برجل كان من تلاميذ شوبان ٠٠ وهاك قطعة أخرى لم تنشر ولكنى تعلمتها عليه »

★ ★ ★

◆ **وكان** « رذرفورد » يحدق فى وجهى باستمرار ليستوثق من انتباهى وهو يمضى قائلا : « ٠٠ حتى لو لم تكن من هواة الموسيقى ، فما أراك الا قادرا على أن تتصور شيئا من انفعال « سييفكينج » ، وانفعالى أنا الآخر ، اذ مضى كونواى فى العزف ٠ ولسوف تتبين أية مشكلة غامضة هذه ، اذا ذكرتك بأن «شوبان» مات فى سنة ١٨٤٩ ٠٠ ولذا كان من المستحيل تفسير الحادث بأسره ٠ وأكد لى « سييفكينج » بأن هاتين القطعتين الموسيقيتين لو كانتا قد نشرتا لأقبل كل عازف على تعلمهما ٠ ولم نستطع أن نهتدى الى شىء ، لان كونواى تشبث بقصته ٠ واذ بدأ الارهاق يعتريه ، حرصت على أن أبعد به عن الجمع وأسلمه الى فراشه ٠ **وفى تلك الليلة ـ أقصد الليلة التى أعقبت الحفلة ـ استعاد ذاكرته ٠ كنا قد أوينا الى فراشينا ٠٠ وكنت ما أزال مستيقظا حين جاء الى حجرتى وأنبأنى ٠ كانت عضلات وجهه قد جمدت على ما لا أملك أن أصفه الا بأنه كان تعبيرا يوحى بالاسى الطاغى ٠٠ نوع من الاسى الشامل ٠٠ أسي عميق ، وبعيد عن الطابع الشخصى** ٠ وجلس طويلا على حافة سريرى ، فتركته يستغرق ما شاء من وقت فى اختيار الاسلوب الذى يفضى به لى بأمره ٠٠ وبعد فترة من الزمن ، ارتديت ثيابى وأغريته بأن يحذو حذوى ، ثم رحنا نذرع سطح السفينة ٠٠ وتركته يتكلم كما يريد ، دون ما أسئلة فى البداية ٠ وكان الوقت ضحى والشمس عالية حين فرغ ٠٠ كان جد تعس ، وما كان بوسعه أن ينام ٠٠ وكان من المرتقب أن تصل السفينة

الى « هونولولو » فى منتصف الليلة التالية ٠٠ وغادرنى حوالى الساعة العاشرة من تلك الليلة ٠٠ ولم أره بعد ذلك قط ! »

وخطر ببالى أن يكون قد انتحر ، فضحك « رذرفورد » قائلا : « لا ٠٠ انه ليس من هذا الصنف ٠٠ كل ما هنالك انه غافلنى وتسلل الى الشاطىء ٠٠ وعلمت فيما بعد أنه استطاع أن ينضم الى بحارة مركب تحمل موزا الى جنوب (فيجى) ٠٠ فقد كتب لى بعد ثلاثة أشهر من (بانجكوك) وأرفق خطابه باذن مصرفى مقابل النفقات التى تكبدتها من أجله ٠ وقال انه يتمتع بصحة جيدة ، وانه كان مزمعا القيام برحلة طويلة الى الشمال الغربى ٠٠ الا ترى مقصده غامضا ؟ ٠٠ ان كثيرا من الاماكن تقع الى الشمال الغربى من بانجكوك » ٠

وتوقف « رذرفورد » عن الكلام فسألته : « وكيف وصل الى شونج كيانج ؟ ٠٠ أظنه أنبأك بذلك فى تلك الليلة التى روى لك فيها قصته على السفينة »

ـ حدثنى بشىء عنها ٠٠ ولكنها قصة طويلة ، ولسوف تضطر الى الانصراف لتلحق بقطارك قبل أن تتبين لك معالمها ٠ على اننى كنت قد بدأت كتابة مذكرات قصيرة عن الاحاديث المتباينة التى دارت بيننا على سطح السفينة كى لا أنسى التفصيلات ٠٠ واذ بدأت تتضح لى بعض المعالم فيما بعد ، وجدتنى مسوقا الى أن أراجع ما كتبت وأن أجمع الاجزاء فى قصة واحدة ٠٠

وأخرج من احدى الحقائب مجموعة من الاوراق المنسوخة على الآلة الكاتبة ، وقال : « هاك هى ، ولك أن تفعل بها ما تشاء ٠٠ »

وأخذت الاوراق معى ، فقرأت معظمها وأنا فى قطار (اوستند) السريع

- ١ -

◆ كان الموقف خلال ذلك الاسبوع الثالث من مايو قد ازداد سوءا فى (باسكول) ، وأرسل السلاح الجوى فى اليوم العشرين من الشهر عدة طائرات ، وصلت من (بيشاوار) لتجلى عنها السكان البيض ، وكان عددهم نحو ثمانين ، نقل معظمهم بسلام عبر الجبال فى ناقلات الجنود ، كما استخدمت بضع طائرات مختلفة ، بينها طائرة « صالون » معارة من مهراجا شاندابور . والى هذه صعد اربعة من الركاب فى نحو الساعة العاشرة صباحا ، هم : الآنسة روبرتا برنيكلاو ، التابعة للارسالية الشرقية - وهنرى د . بارنارد ، وهو أمريكى الجنسية - وهيو كونواى ، قنصل صاحب الجلالة - والكابتن تشارلس مالينسون ، نائب القنصل

وكان كونواى فى السابعة والثلاثين ، وقد أمضى فى (باسكول) عامين ، وبهذا أتم مرحلة من حياته ، وبات مرتقبا أن يرسل الى مكان آخر خلال أسابيع قلائل . وكان قد قضى عشر سنوات فى السلك القنصلى ، وعرف ان المراكز الرئيسية ليست من نصيبه ، اذ كان يؤثر عليها المراكز الاقل تطلبا للمظاهر الرسمية ، والاكثر حظوة بجمال الطبيعة . ولا شك ان هذا بدا للغير دليلا على أنه لم يكن ماهرا فى عمله ، ولكنه فى الواقع كان يرضى ميوله !.. وكان طويل القامة ، شديد السمرة ، ذا شعر قصير ، وعينين زرقاوين باهتتين. أما مظهره فكان أقرب الى الصرامة والعبوس ، حتى يضحك فيبدو شكله صبيانيا . وكانت ثمة اختلاجة عصبية خفيفة بالقرب من عينه اليسرى ، تلاحظ عادة اذا ما أرهق نفسه فى العمل . ولما كان قد قضى اليوم والليلة السابقين على الجلاء ، وهو يحزم أو يعدم وثائق ، فان الاختلاج كان جد ملحوظ حين صعد الى الطائرة .. كان مكدودا ، وقد سره ان تمكن من الرحيل فى طائرة المهراجا الفخمة ، فاضطجع منشرحا فى مقعده حين حلقت الطائرة !

واستمرت الطائرة محلقة أكثر من ساعة ، وفجأة قال « مالينسون » - الذى كان يجلس فى الصف الاول خلف مقصورة القيادة مباشرة - انه يظن ان الطيار لا يتبع الطريق المرسوم !.. وكان « مالينسون » شابا فى العقد الثالث ، متورد الوجنتين ، ذكيا ، دون أن يكون من أهل الفكر ! .. وكان اخفاقه فى أحد الامتحانات هو السبب الرئيسى فى ايفاده الى (باسكول) ، حيث حظى كونواى برفقته ستة أشهر أخذ خلالها يزداد ميلا اليه ..

وفتح « كونواى » عينيه المثقلتين بالنعاس ، وأجاب بأن الطيار ولابد خير من يعرف الطريق . وبعد نصف ساعة - وقد أوشك التعب وضجيج المحرك أن يسلماه للنعاس - عاد « مالينسون » يزعجه قائلا ان الطيار لم يكن « فينر » ، مع أن « فينر » أكد له انه هو الذى سيتولى القيادة .. وأضاف انه لم ير

وجه قائد طائرتهم هذا من قبل ، رغم انه يعرف كثيرا من الطيارين ٠٠ فابتسم « كونواى » وقال مهونا :

ـ اذن فلابد أنه من الاقلية التى لا تعرفها ٠٠ عند ما نصل الى (بيشاوار) عما قريب ، تستطيع أن تتعرف عليه ٠٠

ـ اننا لن نصل الى (بيشاوار) بأية حال ، فان الرجل قد حاد تماما عن طريقه ، ولست فى دهشة من هذا ٠٠ فهو لا يستطيع أن يتبين موقعه وهو يحلق على هذا الارتفاع !

ولم يجب « كونواى » ، ولكن تغيرا فى أزيز المحرك لم يلبث أن أشعره بأن الطائرة شرعت فى الهبوط ٠ وأحس بميل الى أن يلوم « مالينسون » على مخاوفه ٠٠ لولا ان الشاب نهض فجأة بحدة ، فارتطم رأسه بالسقف ، وأيقظ «بارنارد» الامريكى ، صائحا وهو يتفرس خلال النافذة : « ياالهى !٠٠ أنظر!»٠٠ ونظر « كونواى » ٠٠ كان المنظر بالتأكيد غير الذى توقع ، فبدلا من البنايات الانيقة وحظائر الطائرات المألوفة فى المطارات ، لم يكن يبدو للناظر سوى صحراء شاسعة بنية اللون ! ٠٠ ومع ان الطائرة كانت تهبط بسرعة ، الا انها كانت لا تزال على ارتفاع غير مألوف فى الطيران العادى ، وكان من الميسور تبين حواف السلاسل الجبلية الطويلة المعقوفة ٠٠ كان منظرا نموذجيا لمنطقة الحدود ، وان لم ير « كونواى » مثله على ارتفاع كهذا من قبل ٠ ولم يكن ينم عن أى مكان يتصور وجوده على مقربة من (بيشاوار) ، الامر الذى أثار دهشته ٠ ولكنه لم يشأ أن يزعج الآخرين ، فهمس فى أذن « مالينسون » : « يبدو كأنك كنت على حق ٠٠ لقد ضل الرجل طريقه »

وواصلت الطائرة هبوطها بسرعة هائلة ، وازداد الهواء حرارة ، وأخذت الطائرة تتأرجح بين الجيوب الهوائية ٠ وتنبأ « مالينسون » بان الطيار لن يستطيع الاستقرار على الارض ، ولن يلبث أن يحطم الطائرة ٠٠ ولكن الطيار استقر على الارض فعلا ، وبمهارة عظيمة ! ٠٠ على ان ما حدث بعد ذلك كان أكثر غرابة وغموضا ، اذ أقبل من كل صوب ، فوج من رجال القبائل ذوى اللحى والعمائم ، فأحاطوا بالطائرة ، ومنعوا أى فرد ـ عدا الطيار ـ من الهبوط ٠ وقفز هذا الى الارض وأخذ يتحدث اليهم فى انفعال وبطريقة تدل على أنه لم يكن انجليزيا ٠ وما لبثت صفائح البنزين أن أخرجت من مخزن قريب وأفرغت فى خزانات الطائرة ٠ وكانت صيحات الركاب الاربعة المسجونين تقابل بالصمت ٠ وحاول « كونواى » أن يتحدث الى رجال القبائل بلسان « البوشتو » دون ثمرة ٠٠ بينما كان الرد الوحيد الذى أبداه الطيار ، هو وميض مسدسه ٠٠ وكانت حرارة شمس الظهيرة تكوى سقف الطائرة ، فاشتعل الجو بداخلها حتى أوشك الركاب أن يختنقوا ٠٠ وكانوا بلا حول ولا

قوة ، فقد كان من شروط الجلاء أن لا يحملوا سلاحا !

وما أن أغلقت الخزانات ، حتى أسلمت الى الركاب ـ خلال النافذة ـ صفيحة مليئة بماء عذب • ولم يتلقوا جوابا على أى من أسئلتهم ، وان لم يبد من الرجال المتجمعين أى عدوان • وكان الارتفاع عن الارض ، وبتلك الحمولة من البنزين ، أكثر مهارة من الهبوط •• واتجهت الطائرة نحو الشرق

★ ★ ★

◆ كان أمرا غاية فى الغرابة واثارة الحيرة ! •• واستنتج « مالينسون » انهم مختطفون كرهائن ، ودار بينه وبين « بارنارد » نقاش طويل ، لم يشترك فيه « كونواى » الا بنذر يسير ، اذ انهمك فى مهمة جد عملية • فقد جمع كل قصاصة من الورق استطاعوا أن يجدوها معهم ، وأخذ يكتب عليها رسائل باللغات المحلية المتباينة ، ليلقيها على فترات الى الارض !

وظلت الطائرة محلقة خلال الضباب الخفيف فى طبقات الجو العليا ، على ارتفاع لا ينجلى منه أى منظر تحتها •• وكانت الحجب تتكشف لحظة ـ من آن لآخر ـ عن حافة متعرجة لاحدى القمم الجبلية ، أو مجرى مائى غير معروف •• ولم يكن من سبيل لتحديد الاتجاه ، الا على وجه التقريب ، وبالقياس الى الشمس ، وكان يبدو أن الطائرة ما زالت متجهة الى الشرق ، مع انحرافات نحو الشمال بين وقت وآخر •• ولم تكن لكونواى دراية فنية بقيادة الطائرات، ولكنه كان متأكدا من ان الطيار ـ أيا كانت شخصيته ـ كان خبيرا فى القيادة • وتبين ان لزملائه أسبابا شخصية تدعوهم للقلق أكثر مما لديه بكثير • وكان « مالينسون » أقلهم رباطة جأش •• وكلما مرت الساعات أبدى مزيدا من القلق •• وفى احدى المرات ، صاح بصوت غاضب علا على ضجيج المحرك : « انظروا •• هل قدر علينا أن نجلس هنا نعبث بأصابعنا بينما يفعل هذا المأفون كل ما بدا له ؟ •• ما الذى يمنعنا من أن نحطم الزجاج الذى يفصل بيننا وبينه ونسوى الامر معه ؟ »

وأجاب « كونواى » : « لا شىء على الاطلاق سوى انه مسلح ونحن غير مسلحين ، وان أحدا منا لا يعرف كيف يهبط بالطائرة الى الارض •• »

ـ اننا ثلاثة ضد واحد •• ونستطيع على الاقل ان نرغمه على أن يفصح عن سر هذه اللعبة

فتقدم « كونواى » نحو الحاجز الزجاجى ، ونقره بأصابعه •• وكان الجواب مطابقا لما توقع •• انزلق الحاجز جانبا ، وبرزت من خلفه فوهة مسدس • فارتد «كونواى» الى الوراء ، وعاد الزجاج الى مكانه ثانية !••وحاول «مالينسون» أن يمارى ، قائلا انه سيكافح قبل أن يستسلم ، ولكن « كونواى » قال له : « ان الكفاح دون ما فرصة للفوز ، لعبة خرقاء •• » وقدم له سيجارة ، وان

لم يشعل لنفسه واحدة ، ثم أردف قائلا : « انني أدرك شعورك ٠٠ انه وضع سيء ، وأسوأ ما فيه ان ليس في وسعنا أن نعمل الكثير لعلاجه »

على أنه - في قرارة نفسه - ارتاح الى هذا الوضع ، اذ كان جد متعب ، فاضطجع في مقعده واستغرق في النوم٠وعندما استيقظ ، لاحظ ان الآخرين كانوا قد ناموا ايضا ، رغم تباين هواجسهم ٠ كانت الآنسة « برنيكلاو » تجلس معتدلة ، مستوية في مقعدها وعيناها مغلقتان ٠ أما « مالينسون » فانحنى الى الامام في مقعده ، وذقنه في راحة احدى يديه ٠بينما كان الامريكي يغط في نومه

وتحول الى النافذة ينظر خلالها ٠ كانت السماء المحيطة قد صفت تماما ، وفي ضياء الاصيل ، تبدت له للحظة صورة انتزعت الانفاس من رئتيه ٠ فعلى بعد شاسع ، عند نهاية ما يصل اليه البصر ، ارتفعت قمم الجبال صفا اثر صف ، يتوجها الجليد ، وتتخللها المجاري الجليدية ، وقد حفت بها دائرة أفق ذات ألوان رائعة تبهر الانظار ٠ وكانت الطائرة في تلك الاثناء تحلق فوق صحراء بيضاء عالية بدت كجزء من السماء ذاتها الى أن التقت بالشمس عند منتهى البصر ٠٠ ولم يكن « كونواي » سهل التأثر ، ولكن هذا المنظر الرهيب كان يختلف عما عداه ٠٠ كان ثمة شيء رهيب ، مهول ، يلف تلك القمم الجليدية !!

- ٢ -

◆ كان « كونواي » حكيما حين ترك الآخرين حتى استيقظوا من تلقاء أنفسهم ٠٠ ولم يبد كثير احتفال بهتافات الدهشة التي ندت عنهم ٠٠ على انه ما لبث ان استجاب لبارنارد عن طيب خاطر ، حين سأله رأيه ٠٠ فقال ان من المحتمل انهم ما زالوا فوق الهند ، وان لم يكن قد حلق من قبل فوق البطاح الجبلية التي كانوا يحلقون فوقها ٠٠

وهتف « مالينسون » : « أشهد بان الوقت قد حان كي نتخلى عن نظرية الاختطاف ، فنحن ولابد قد اجتزنا الحدود منذ وقت طويل ٠٠ ان التفسير الوحيد الذي أراه هو أن طيارنا مجنون متهوس ٠٠ » !

ولم يبد « كونواي » رأيا ٠٠ وبينما كان ينظر ويتأمل ، حدث تحول غريب في الجو المحيط بهم ، اذ استحال الضوء الى لون ضارب للزرقة شمل جميع الجبال التي كانوا يحلقون فوقها ، بينما اكتست السفوح بلون قاتم أقرب الى البنفسجي ٠ وانبعث في أعماقه شعور أقوى من زهده المعتاد في الحديث ٠٠ شعور من الترقب القوي اليقظ ، اذ أحس ان المسألة تزداد تطورا ٠٠ ومضى « مالينسون » يؤكد ان الطيار مختبل العقل ، فصمت كونواي في البداية ، حتى اذا ألح عليه « مالينسون » أن يبدي رأيا ، قال :

– انه خبل منظم بدقة كما رأيت ٠٠ لا تنس الهبوط للتزود بالبنزين ، وان هذه هى الطائرة الوحيدة التى كان فى مقدورها الصعود الى مثل هذا الارتفاع !

وفيما كان مستغرقا فى التفكير ، هبط الظلام ، واذ ذاك أشرق القمر بدرا ، وأخذ يمس القمم تباعا حتى أضاء الافق الطويل الذى تبدت خلفه السماء داكنة الزرقة ٠٠ وشاعت فى الجو برودة ، وهبت ريح أخذت تعبث بالطائرة ، فهبطت هذه المضايقات بالروح المعنوية للركاب ، اذ ما كان ليخطر لهم ان الطيران سيستمر بعد الغروب ، ولكن أملهم الاخير انحصر الآن فى نفاد البنزين ٠٠ ولم يكن مقدرا ان يتأخر هذا طويلا ٠٠ وكان « مالينسون » قد عاد فى كربه يلح على « كونواي » أن يحاول تعرف المنطقة التى كانوا يحلقون فوقها ٠٠ وأخيرا قال هذا :

– ليس من السهل تقدير ذلك ، ولكن من المحتمل أن نكون فوق جزء من (التبت) ٠٠

وعاد « مالينسون » يسأل فى الحاح : « ولكن ، ماذا ترانا فاعلين ازاء هذا ؟ ٠٠ لماذا نحن هنا ؟ ٠٠ ما الذى يعنيه كل هذا ؟ »

والتفتت الآنسة « برنكلاو » وكأنها فى مسرح تنتهز فرصة الاستراحة لتقول شيئا فى نفسها : « لعله ما كان ينبغى أن أدلى برأيى ما دمتم لم تسألونى ، ولكننى أود أن أقول اننى أوافق مستر مالينسون ٠٠ اننى واثقة من ان المسكين لا يمكن أن يكون صحيح العقل ٠٠ أقصد الطيار ، بالطبع ٠ على انه لن يكون ثمة عذر له اذا لم يكن مجنونا ٠٠ هل تعرفون ان هذه أول رحلة لى بالجو !٠٠ رحلتى الاولى ! »

وأخذ « كونواى » يفكر فى أن تقبل الآنسة « برنكلاو » للموقف بهذا الهدوء كان تصرفا جذابا ٠٠ وابتسم فى استحسان ثم أغمض عينيه ، واستغرق بسهولة فى نوم هادىء ناعم ، بينما استمرت الطائرة فى تحليقها ٠٠

وفجأة ، استيقظوا جميعا على تغير فى صوت المحرك ، فاذا البرودة قد اشتدت ٠٠ وكان أول ما فعله « كونواى » أن ألقى نظرة على ساعته ، بدافع تلقائى ، فاذا بها تشير الى الواحدة والنصف ٠٠ وامتلأت أذناه بحفيف خفقات عالية ، ظنها فى البداية وهما ، ثم تبين ان المحرك قد توقف ، وان الطائرة كانت تندفع ضد ريح قوية ٠٠ ونظر خلال النافذة ، فرأى الارض جد قريبة ٠٠ وسرعان ما مست الطائرة الارض ، ولكن الطيار لم يحسن الهبوط فى هذه المرة، اذ انفجرت احدى العجلات٠ وانبعث أنين من «مالينسون» وقال : «قضى الامر ٠٠ فمن المؤكد أننا سنضطر الى البقاء حيث نحن الآن ٠٠ »

★ ★ ★

◆ لم يكن من عادة « كونواى » ان يكثر من الكـلام فى أوقات الأزمات ، فبسط ساقيه المتيبستين ٠٠ وكان آخر الاربعـة فى النهوض حين استقرت الطائرة ٠ وهتف يهدىء من « مالينسون » الذى فتح باب مقصورة الطائرة عنوة، وتهيأ للوثوب الى الارض ٠٠ ولكن جواب الشاب واتاه فى السكون وكأنه صوت شبح : « لاداعى للهدوء ٠٠ كأنى بنا فى طرف الارض ٠٠ فليس من مخـلوق حولنا »

وتبينوا جميعا ذلك بعد لحظة ، وهم يرتجفون من البرد ٠٠ لم يكن من صوت سوى زمجرة الريح العاتية ، ووقع أقدامهم ٠٠ وأحسوا أنهم تحت رحمة شىء غامض رهيب ٠٠ وكان « مالينسون » قد اندفع نحو مقصورة الطيار فى نشاط محموم ، ولم تنقض ثوان قلائل ، حتى هبط الشاب ثانية ، فأمسك بذراع « كونواى » ، وتمتم فى صوت أجش بأنه يعتقد أن الطيار مريض أو ميت ، وانه قد جرده من مسدسه ٠٠

وتناول « كونواى » المسدس منه ، ثم اشرأب بعنقه حتى صار فى موقف يمكنه من رؤية مافى مقصورة القائد ٠٠ كانت رائحة البنزين قوية ، فلم يستطع أن يجازف بايقاد عود من الثقاب ٠٠ على أنه استطاع أن يرى الطيار منكفئا الى الامام ، ورأسه على مفاتيح القيادة ٠٠ وكان فى وسع أى مراقب للمنظر أن يلمح أن شيئا قد أصاب « كونواى » نفسه ، فقد اكتسب صوته حدة ، وحزما ، ولم يعد يحوم على حافة الشك العميق ٠٠ ودعا « بارنارد » و « مالينسون » الى معاونته ، فأخرجوا الطيار وهبطوا به الى الارض ٠٠ وكان فاقد الوعى وليس ميتا ٠٠ وحدس « كونواى » انه أصيب بنوبة قلبية ٠ ولم يكن فى وسع أحد منهم أن يفعل شيئا ، فرفعوه الى مقصورتهم فى الطائرة ، ليقوه وأنفسهم شر الريح ٠٠ وأرقدوه فى الفراغ الممتد بين المقاعد ٠٠ وبحثت الآنسة «برنيكلاو» فى حقيبتها ثم أخرجت زجاجة صغيرة وقالت : « اننى لا أتذوق قطرة من هذه قط ، لكنى أحملها دائما معى احتياطا لأى طارىء »

وصب كونواى بعض « البراندى » فى فم الرجل ٠٠ وبعد هنيهة استطاعوا أن يروا أجفانه تختلج فى وهن ٠٠ وبدأ كونواى يشعر بعدم الارتياح ، اذ تطور الموقف فلم يعد خطرا يثير الانفعال ، بل أصبح ينذر بأن يصبح امتحانا لجلدهم واحتمالهم قد ينتهى بكارثة ٠ وكان قد قدر أن الطائرة حملتهم بعيدا خلف الجزء الغربى من جبال (هيملايا) ٠٠ وبهذا يكونون قد بلغوا أسوأ مكان على سطح الارض ، حيث تقوم هضبة (التبت) التى يبلغ ارتفاع ادنى وديانها ميلين ٠٠ هضبة شاسعة ، غير مأهولة ، فى مهب الرياح ، لا يزال معظمها مجهولا لم يرتده أحد ٠٠ وكان من المحتمل أن أقرب مكان معمور قد يبعد عن مكانهم

بمئات الاميال ٠٠ وليس لديهم طعام ، ولا سـلاح سوى مسدس الطيار ٠٠ والطائرة معطوبة ، ولا يكفى مافيها من وقود لو كان بينهم من يعرف قيادتها ٠٠ ولم يبق منهم من احتفظ بجلده سوى الآنسة « برنيكلاو » ـ كعادتها بعد كل نكبة ـ فقدر فيها كونواى هذا الجلد ٠٠ ثم أرهف سمعه للطيار الذى بدأت أنفاسه تنتظم ، وأخذ يحرك أعضاءه فى وهن من آن لآخر

ومضى الليل يزحف فى بطء ، وكأن كل دقيقة عبء ثقيل لا بد من دفعه ليخلى مكانه للدقيقة التالية ٠٠ وراح الظلام يشتد ، والبرد يعنف ، والريح تزداد كلما لاح الفجر وشيك الطلوع ٠ وكأنما كان طلوع الفجر اشارة للريح ، فاذا بها تهدأ ، وبدأ الوادى ينجلى فى أعقاب الظلام المولى ، متكشفا عن أرض صخرية منحدرة ٠٠ لم يكن منظرا يبشر بالخير ، ولكن كونواى أحس بشعور من الدعة غريب !

واستيقظ الآخرون مع ارتفاع حرارة الهـواء ، فنقلوا الطيار الى الخارج ، وسرعان مافتح عينيه ، وبدأ يتكلم فى هذيان ٠٠ وانحنى الركاب الأربعةينصتون فى انتباه الى الصوت الذى لم يفقهوا ـ عدا كونواى ـ لكلماته معنى ٠٠ وبعد فترة ، ازداد الرجل وهنا ، وأخذ يتحدث بعناء ، ثم لفظ أنفاسه الاخيرة ٠ واذ ذاك التفت كونواى الى زملائه ، معربا عن أسفه لأن الرجل لم يفض بشىء أكثر من انهم كانوا فى (التبت) ، وان ثمة ديرا لكهنة « اللاما » على مقـربة ، يستطيعون أن يجدوا فيه قوتا وملجأ ٠٠ وان اسم هذا الدير (شانجرى لا)

ولم تكن ثمة حيلة سوى السعى الى ذلك الدير ٠٠ وأبدى «مالينسون» سخطه لان ذلك يقصيهم بضعة أميال أخرى عن الحضارة ، ولكن كونواى استطاع أن يقنعه بأنهم لا يملكون فى تلك البقعة المهجورة النائية ، سوى أن يسعوا الى المكان الوحيد الذى يحتمل أن يجدوا فيه آدميين وطعاما ٠٠

واتجهت أنظارهم صوب الجبل الذى كان طرف الوادى يفضى اليه ٠٠ كان يبدو رائعا فى ضوء النهار الوضاح ٠٠ ثم انحرفت أبصارهم وراحوا يحملقون ، اذ لاحت لهم على البعد أشكال رجال تقترب منهم ٠٠ فهست الآنسة «برنيكلاو»: « انها العناية الالهية ! » ٠٠

- ٣ -

◆ تكشفت الاشكال وهى تتقدم عن ثلة من اثنى عشر شـخصا أو أكثر ، يحملون بينهم مقعدا ذا مظلة يستوى عليه شخص فى رداء أزرق ٠٠ ولم يكن فى وسع كونواى أن يحدس المكان الذى كانوا يقصدونه ، ولكنه أيقن أن العناية الالهية ـ كما ذكرت الآنسة « برنيكلاو » ـ هى التى ساقت هذه الجماعة لتمر بهذا المكان ٠٠ وفى هذا الوقت !٠٠ وما أن غدا على مسافة يسمعونه عبرها ، حتى انفصل عن زملائه ، وتقدم حتى اذا صار على مقربة منهم ، انحنى بالتحية



الواجبة . وشد ما كانت دهشته اذهبط من المقعد عجوز صينى فى عباءة حريرية ، وتقدم فى تؤدة ومهابة ، وبسط يده .. ثم قال فى انجليزية سليمة : « انا من دير (شانجرى لا) لرهبان اللاما » .. فانحنى كونواى ثانية . وبعد صمت مناسب ، شرع يشرح باختصار الظروف التى حملته وزملاءه الثلاثة الى مثل ذلك المكان غير المطروق من الدنيا . فأبدى الصينى فى نهاية الرواية ادراكه للظروف ، وحدق فى الطائرة المعطوبة ، ثم قال : « اسمى تشانج ، اذا شئت ان تتفضل بتقديمى لاصدقائك »

ووفق كونواى الى ابتسامة تبدو طبيعية ، وقد أدهشه أن يلتقى بتلك الرسميات الاجتماعية فى (التبت) ، وقدم اليه زملاءه ونفسه قائلا : « اننا جميعا مغتبطون اذ نراكم ، وان كان لقاؤنا فى ظروف محيرة .. لقد كنا فعلا على وشك ان نسعى الى ديركم ، ومن ثم فقد وافانا الحظ مضاعفا »

– سيسرنى أن أقوم بدور الدليل لكم .. ان الدير ليس بعيدا ، ولكن الطريق ليست سهلة .. ولسوف يشرفنى أن أصحبك وأصدقاءك ..

وهنا تدخل « مالينسون » قائلا فى اقتضاب : « ان اقامتنا لن تطول ، وسندفع ثمن كل ما نحظى به ، ونود أن نستأجر بعض رجالك ليعاونونا فى رحلتنا للعودة . فنحن نبغى العودة الى الحضارة بأسرع مايمكن »

– أواثق أنت تماما من أنك بعيد عنها ؟

ولم يزد هذا السؤال الشاب الا حدة ، فقال : « انا واثق تماما من اننى بعيد عن المكان الذى أحب أن أكون فيه .. لسوف نشكر لكم ماتقدمون من مأوى موقوت ، ولكنا سنكون أكثر شكرا اذا يسرتم لنا وسائل العودة .. »

وأحس كونواى ان هذا الحديث تحرش لا داعى له ، وهم بأن يتدخل ، لولا ان انبعث الرد فى شمم بالغ : « كل ما أستطيع أن أؤكده لك يامستر «مالينسون» هو أنكم ستعاملون أشرف معاملة ، وانكم لن تجدوا فى النهاية ما تأسفون عليه»

وقفز « مالينسون » هاتفا فى عجب : « فى النهاية ؟ » .. ولكن الجماعة قدمت فى تلك اللحظة المرطبات والفاكهة فحالت دون تطور الموقف .. وأخذ كونواى يتأمل فى اعجاب الجبل القائم خلف الوادى .. كان منظره يملك على

المرء مشاعره ٠٠ والتفت فرأى أن الصينى كان ينعم النظر فيه ، وبادر يسأله : « أكنت تتأمل الجبل يا مستر كونواى ؟ ٠٠ انه يسمى (كاراكال) ويربو ارتفاعه على ثمانية وعشرين ألفا من الاقدام ! »

وقضوا فترة الصباح كلها فى صعود السفح ، ببطء ، وتقدم مريح ٠٠ بيد أن الجهد البدنى فى مثل هذا الارتفاع كان كبيرا ، فلم يدع لأحد طاقة ينفقها فى الكلام ٠ وكان الصينى يقطع الرحلة مستريحا ، منعما فى مقعده ٠ ووجد كونواى عناء فى التقاط ماكان يدور عرضا من حديث بين حملة المقعد ٠ وكان يعرف من لغة (التبت) القليل الذى مكنه من أن يدرك أن الرجال كانوامغتبطين بعودتهم الى الدير !

وبعد ميلين ، اشتد الانحدار ، ولكن الشمس فى ذلك الوقت كانت قد احتجبت وراء السحب ، وغام على الكون ضباب فضى ٠٠ وشاعت فى الهواءبرودة، تحولت مع تغير مناطق الجبل الى زمهرير ٠٠ ثم لاح انهم بلغوا حافة القمة ، اذ توقف حملة المقعد ليعدلوا من وضعه ٠٠ على أن الأدلاء الذين كانوا خلفهمشرعوا يفكون حزما من الحبال ، مما نم عن عزمهم على أن يربطوا بين أعضاء الجماعة ، على طريقة متسلقى الجبال ٠ واذ فطنوا الى أن كونواى يألف هذا النوع من العمل، تركوه - فى احترام - يدبر ترتيب أعضاء الجماعة ٠٠ ومع أن المرحلة التالية كانت اكثر اثارة للانفعال ، الا انها كانت اقل وعورة مما أعد كونواى نفسه لملاقاته ٠٠ وواصل القوم تقدمهم خلال نفق فى سياج صخرى٠٠واشتد بماليىنسون الجزع ، ولكن كونواى قال له : « ان مجال الاختيار الوحيد أمامك هو أن تبقى فتهلك »

وكانا ماضيين فى النقاش ، حين اتسعت الطريق ، وهبطت قليلا ، ثم استوت الارض ٠ وخطوا من الضباب الى الخلاء والجو المشمس ٠٠ وعلى مسافة جد قريبة الى الأمام ، قام دير (شانجرى لا) ٠ وكان منظرا غريبا لا يكاد يصدقه عقل ، اذ تألف من عدة دور متباينة الالوان ملتصقة بجانب من الجبل ، وقد أشرفت عليها من خلف ، سفوح جبال « كاراكال » فى شكل هرمى يبهر البصر ٠٠وكانت أرض الوادى - عن كثب - تصافح العين بالخضرة ، وبدا المكان بديعا بهيجا لكونواى ، وان كان أهله ولا بد فى عزلة تامة ، وكان داخل الدير فسيحا ، حسن التدفئة ، شديد النظافة ٠٠

وغادر الصينى مقعده وقال : « والآن ، اذا جئتم معى فسأريكم غرفكم ، اذ لا شك انكم تحبون أن تغتسلوا ٠و سيكون لى عظيم الشرف اذا رافقتمونىجميعا فى العشاء »

- ٤ -

• قال تشانج لضيوفه بعد العشاء : « وهكذا ، ترون اننا اقل همجية مما كنتم تتوقعون .. » !

ولم يكن كونواى ليقبل أن ينكر ذلك ، فان التدابير التى وجدها فى(شانجرى لا) كانت كل ما يبتغى ، بل فاقت بالتأكيد كل ما كان يتوقع . فقد اشتمل الدير على كل وسائل الراحة الحديثة .. وكان قد عاش بين الصينيين عشر سنوات اعتبرها أسعد مرحلة فى حياته .. لذلك بعثت فى نفسه الوجبة الاولى فى (شانجرى لا) ارتياحا وألفة .. ولاحظ أن « تشانج » لم يتناول سوى قسط بسيط من الخضروات الطازجة ، وقال معتذرا انه يتبع نظاما دقيقا فى غذائه .. وعجب كونواى مما عسى أن يكون مرضه . واذ أخذ يتأمله عن قرب ، وجد من المتعذر عليه أن يحدس عمره ، فان قسماته الصغيرة ، وبشرته التى كانت فى لون الطمى المبتل ، كانت تضفى عليه مظهرا من المحتمل أن يكون لشاب شاخ قبل الأوان ، أو لشيخ يحتفظ بصحته فى عناية فذة . وكان، فى ثوبهالحريرى الازرق الموشى بالتطريز ، ذا سحر هادىء ارتاح له كونواى !

وكان جو المكان أقرب الى الصين منه الى التبت .. وقد بعث هذا - فى حد ذاته - شعورا فى كونواى بدد وحشة الغربة ، وكأنه فى وطنه ، فأشعل بعد العشاء سيجارة وقال لتشانج : « يلوح انكم جماعة جد سعيدة ، كما انكمأكرم ما تكونون للغرباء ، وان كنت لا أتصور أنكم تستقبلونهم كثيرا »

فأجاب « تشانج » : « اننا لا نستقبل غرباء الا فى النادر فعلا ، فهذا الجزء من الدنيا ليس مطروقا »

وقطعت الآنسة « برنيكلاو » عليهما الحديث قائلة : « هل لك فى أن تحدثنا عن الدير »

فرفع « تشانج » حاجبيه وقال : « سيكون هذا من اعظم دواعى سرورى ياسيدتى ، بقدر ما أستطيع »

وأجاب على أسئلتها بأن المنتظمين فى سلك الرهبنة الكاملة كانوا خمسين ، كما كان ثمة بضعة أفراد مثله لم يستكملوا رهبنتهم . وكانوا ينتمون الى أمم عديدة ، ولكن أغلبيتهم كانت من التبت والصين ، وان وجد بينهم عدد من الانجليز ! .. وهنا لاحتالدهشةعلى أسارير الآنسة«برنيكلاو»،وسألتهعنعقيدتهم ..؟

وتمهل « تشانج » وهو يجيب فى لهجة لم تكد تعلو على الهمس : « اذا شئت أن أضمنها كلمات قلائل .. فانى أقول أن عقيدتنا العامة هى الاعتدال فنحن ننمى فى أنفسنا فضيلة تفادى الافراط بكل انواعه . وفى الوادى الذى رأيتموه ، والذى يقيم فيه تحت اشراف مذهبنا عدة آلاف من السكان ، نحكم بشدة معتدلة ، كما نقنع فى مقابل ذلك بطاعة معتدلة . وأظن بوسعى أن أزعم

أن قومنا معتدلون فى تناول المشروبات ، معتدلون فى عفتهم ، معتدلون فى أمانتهم » !

فابتسم كونواى وقال : « هل لى أن أفهم أن الاعتدال لا ينطبق على سيادتكم أيضا ؟ »

ولم يملك « تشانج » الا أن يهز رأسه قائلا : « آسف ياسيدى ، لقد مسست مسألة ليس لى أن أتحدث فيها • وشد مايحزننى أن لا أستطيع فى لحظتناالراهنة أن أقول أكثر من هذا »

وانتهز « مالينسون » الفرصة ، فقال : « كل هذا بديع ، ولكنى أرى أن الوقت قد حان لنبدأ فى بحث خططنا للرحيل • اننا نرغب فى العودة الى الهند بأسرع مانستطيع • كم حمالا تستطيعون أن تمدونا بهم ؟ »

ولم يصدر جواب « تشانج » الا بعد فترة غير قصيرة : « لست ، لسوء الحظ ، بالشخص المختص يامستر مالينسون ، ولكنى ، على كل حال ، لا أكاد أرى أن المسألة يمكن أن تدبر فورا »

ـ ولكن لا بد من تدبير شىء ! •• ان لنا جميعا أعمالا يجب أن نعود اليها ، كما ان أصدقاءنا وأقاربنا سيقلقون من أجلنا • اننا نحب أن لا نتأخر عن غد فى الرحيل ان كان هذا ممكنا عمليا • وأتوقع أن يكون ثمة عدد كبير من قومك على استعداد للتطوع لمرافقتنا ، وسوف نجزيهم بالطبع !

ولكنه لم يظفر من « تشانج » بأكثر من عبارة هادئة ، يكاد يبين فيها اللوم : « ولكن هذا كله ، كما تعلم ، ليس من اختصاصى » !

ـ اذن فلعل فى وسعك أن تفعل شيئا على الاقل • لو أنك حصلت لنا على خريطة كبيرة للمنطقة ، لعاونتنا •• أحسب ان لديكم خرائط ؟

ـ لدينا الكثير منها

ـ سنستعير بعضها ، اذا سمحتم ، وسنردها اليكم فيما بعد •• اذ أعتقد انكم تتصلون ولا بد بالعالم الخارجى من وقت لآخر • كم يبعد أقرب خط للبرق (التلغراف) عن الدير ؟

وبدا على وجه « تشانج » المجعد أنه يتشبث بأهداب الصبر ، ولكنه لم يجب •• وانتظر « مالينسون » لحظة ، ثم قال : « الى أين تبعثون اذا رغبتم فى شىء ؟ •• أعنى أى شىء من لوازم المدنية •• »

وأخذت تتسلل الى عينيه وصوته مسحة من خوف •• وفجأة ، دفع مقعده الى الخلف ونهض •• كان شاحبا •• ومسح جبينه بيده فى اعياء ، ثم قال متلعثما وهو يجول بعينيه فى الحجرة : « اننى جد متعب •• لا أحس أن أيا منكم يحاول مساعدتى فعلا ، انما أوجه سؤالا بسيطا ، من الجلى أنك ولا بد تعرف الجواب عنه •• ان عندكم فى الدير حمامات حديثة ، فكيف أحضرتموها الى هنا ؟

ومرة أخرى ساد الصمت ، فعاد يقول : « اذن فأنت تابى أن تخبرنى ؟ ٠٠ انه جزء من الغموض الذى يحيط بكل شىء آخر ٠٠ » !

وكاد يهوى الى الارض لولا أن أدركه كونواى ٠٠ وقال هذا ، كمن يفيق من غيبوبة : « لقد أضنت الأمور أعصابه قليلا ٠٠ وما أرى الا اننا جميعا نشعر ببعض الارهاق ٠٠ أظن من الخير أن ندع هذا الحديث وناوى الى مخادعنا »

وأسلم كونواى صاحبه الى « بارنارد » ، وطلب الى الآنسة « برنيكلاو » الانصراف معهما ، بل انه كاد يدفعهم خارج الغرفة دفعا ، ثم التفت الى مضيفهم قائلا : « والآن ياسيدى ، لن أستبقيك طويلا ٠٠ ان رحلة عودتنا يجب أن تدبر ، ولن نملك ذلك الا بمعونتك ٠ وانى لأدرك بالطبع أن الرحيل غدا مستحيل ، فاذا صح ماتقول من انك لا تملك أن تفعل شيئا لنا ، فأرجو أن ترشدنا الى من يستطيعه سواك »

فأجاب الصينى : «انك أعقل من أصدقائك ٠٠» ، وأطلق ضحكة عالية النبرة ، بادية الاصطناع ، وقال : « أعتقد ان لا داعى لان تقلق ٠٠ لاشك فى اننا سنكون قادرين ، فى الوقت الملائم ، على أن نقدم لكم كل ما تحتاجون من عون ٠٠ لو تدبرنا المسألة بحكمة ، وفى غير عجلة لا داعى لها ٠٠ » !

ـ لست أبدى عجلة ، وانما أنشد مجرد معلومات عن الحمالين

ـ هذا يثير نقطة أخرى ياسيدى العزيز ، فانى أشك فى أنكم تستطيعون العثور بسهولة على رجال يرغبون فى القيام بالرحلة ٠٠

ـ من الممكن أن يؤمروا ٠٠ والا فلماذا والى أين كانوا يرافقونك فى هـــذا الصباح ؟!

ـ هذه مسألة جد مختلفة ٠٠

ـ وما وجه الاختلاف ؟ ٠٠ ألم تكن منطلقا فى رحلة ؟

ولم يتلق كونواى جوابا ، فما لبث أن استطرد بصوت هادىء :

ـ الآن فهمت ٠٠ اذن لم يكن لقاؤنا من قبيل المصادفة !؟ الواقع اننى فكرت فى هذا طويلا ٠ اذن فقد جئت متعمدا أن تلحق بنا ٠ وهذا يوحى بأنك كنت على علم بوصولنا من قبل ، فكيف ٠٠؟

وعلى ضوء المصباح بدا وجه الصينى هادئا ٠ وفجأة ، أزاح « تشانج » بحركة صغيرة من يده ، ستارا حريرية ، كشفت عن نافذة تفضى الى شرفة ٠ ثم قاد كونواى الى الهواء البارد ، وقال وهو مستغرق فى التفكير : « أنت بارع ، ولكنك لست مصيبا تماما ، ولهذا أنصحك بأن لا تشغل أصدقاءك بهذه المناقشات ٠ صدقنى أن أحدا منكم لا يتعرض لخطر فى (شانجرى لا) ٠٠ حقيقة قد يكون هناك ثمة مايؤخر رحيلكم ٠٠ ولكنه أمر لا محيص منه ٠٠ ولسنا نرجو سوى أن تستمتع وزملاؤك بكل لحظة تمكثونها هنا ٠٠ واذا كنتم مكدودين ، فلن تجدوا فى الدنيا أماكن كثيرة تفضل هذا فى توفير الراحة لكم »

وفعلا أحس كونواى ، وهو يطيل تأمل ماحوله ، بطمانينة تغشاه ٠٠ كان الوادى يبدو كمرفأ برى فى عزلة تامة ، يشرف عليه جبل « كاراكال » كمنارة ، ودعاه هذا الى أن يتساءل عن معنى الاسم ،فقال الصينى ان معناه «القمر الازرق»

★ ★ ★

◆ لم يفض كونواى الى زملائه بما تبينه من أن وصولهم كان مرتقبا بطريقة ما ٠٠ فقد أشفق أن يزيد من قلقهم ٠٠ وظلت تلح عليه فكرة بأن ثمة شيئا غريبا يحيط بالمكان وبتشانج نفسه ٠٠ وأحس أنهم أسرى فعلا ، وان واجبه الواضح أن يجعل السلطات تتحرك ، اذ أنه كان ممثل حكومته ٠٠ ولكنه كان من أولئك الرجال الذين لا يعملون الا اذا اضطروا للعمل ٠٠ وسره أن الراحة التى حظى بها زملاؤه قد أنعشت نفوسهم ، فى الصباح ٠٠ حتى ان «مالينسون» بدا أكثر رزانة ٠٠ اذ تمتم : « ما أرى أننا راحلون اليوم ٠٠ فما لم يبد أحد حزما كافيا ، فلن تستطيعوا حمل هؤلاء الصينيين على أن يفعلوا شيئا ما » ٠٠ فأجاب كونواى : « أعتقد أن من الخير ان ننتظر ونرقب مايأتى به النهار ٠٠ كان افراطا فى التفاؤل ان نتوقع أن يعملوا شيئا فى الليلة الماضية » !

وقال « مالينسون » بحدة : « لم أستطع أن أتمالك نفسى ، فقد رأيت فى ذلك الصينى ما أثار ريبى ٠٠ وما زلت ٠٠ »

وأقبل « تشانج » وهم يختتمون فطورهم ٠ وبعد انحناءة بسيطة ، أخذيبادلهم التحيات المؤدبة المألوفة ٠٠ وكان كونواى يؤثر أن يتحدث اليه بالصينية ، لولا انه رأى من الحكمة ان يتكتم معرفته لأية لغة شرقية ٠ ومالبث « مالينسون » ان قال انه سوف ينطلق ليبحث عن حمالين ، فقال الصينى بعد صمت طويل :«آسف اذ أخبركم بأنكم لن تجدوا رجالا مستعدين لأن يصحبوكم فى رحلة تنأى بهم عن ديارهم ٠٠ اننى لم أشأ أن أزعجكم بهذا ليلة أمس وأنتم متعبون ٠٠ »

وهنا قطع عليه كونواى حديثه قائلا فى حدة : « اسمع ٠٠ ان هذا الغموض لن يجدى ، فأنت تعلم أن ليس بوسعنا أن نمكث هنا الى ما لا نهاية ٠ كما أنه من الواضح اننا لا نستطيع الاعتماد على أنفسنا فى الخروج من هنا ٠ فما غرضك اذن ؟ »

وابتسم « تشانج » قائلا : « يسرنى ياسيدى العزيز أن أقدم اقتراحا يجول بخاطرى ٠٠ لعلكم تذكرون قولكم بالأمس اننا نتصل ولا بد بالعالم الخارجى من وقت لآخر ، وهذا صحيح ٠٠ ولا حاجة بى لأن أشغلكم بذكر الاساليب والاجراءات ، وانما المهم ان من المتوقع أن تصل الينا فى القريب حملة لاحضار بعض حاجياتنا ، ولما كان الرجال الذين يرافقونها سيعودون ، فيلوح لى أنكم قد تستطيعون أن تتفقوا معهم ٠٠ »

فقاطعه « مالينسون » فى جفاء : « ومتى يصلون ؟ »

– من المستحيل التنبؤ بالتاريخ تماما ٠٠ ربما كان بعد شهر من اليوم ٠٠ ومن المحتمل أن يكون بعد أكثر من شهرين ٠٠

وهنا انفجر « مالينسون » : « أو ثلاثة ، أو أربعة ، أو خمسة ! أتظن اننا سننتظر هنا وصول هذه الحملة أو القافلة ٠٠ شهرين ! شهرين فى هذا المكان ؟ »

فجمع « تشانج » أطراف ثوبه اشارة الى انتهاء الحديث قائلا : « آسف ٠٠ ولكن الدير سيظل يقدم لكم كل مافى وسعه من اكرام مهما يطل مقامكم ٠٠ ولا أملك أن أزيد »

وانفجر « مالينسون » محنقا ٠٠ ولكن « تشانج » كان لحسن الحظ قد بارح المكان !

– ٥ –

◆ وقضوا بقية الصباح يبحثون المسألة ٠٠ وكان « مالينسون » بعد أن فثأ حنقه قد أسلم نفسه للقدر ٠٠ وأخذ كونواى يقول انهم لا يملكون سوى أن ينتظروا الشهرين اللذين أشار اليهما الصينى ٠٠ واستطرد قائلا : « ان هذا بالطبع سىء الوقع على أولئك الذين لهم أصدقاء وأقارب ٠٠ على اننى شخصيا لا أبالى فى هذا الصدد ، فلا يكاد يخطر ببالى ان ثمة من يقلق من أجلى » ٠٠ولكن « مالينسون » كان له أبوان وخطيبة فى انجلترا ٠٠ اما « بارنارد » فقال فى لهجة فكهة :

– أعتقد أننى محظوظ أنا الآخر ، فلن يقتلنى أن أقيم شهرين هنا ٠٠ أما أهلى فلن يطرف لهم جفن قلقا على ٠٠

فقال كونواى : « انكم تنسون أن أسماءنا ستنشر فى الصحف ، وسنوصف بأننا مفقودون ، وسيعتقد الناس بطبيعة الحال اننا لاقينا مصيرا أسوأمن ذلك»

فأجفل « بارنارد » لحظة ، ثم قال : « لن يؤثر هذا فى وضعى »

وهنا التفتت الآنسة « برنيكلاو » قائلة : « ان الاماكن تستوى حين يكون المرء فى خدمة الرب ٠ لقد أرسلتنى العناية الالهية الى هنا ، وأنا أعتبر هذا تكليفا »

وآثروا أن يستطلعوا معالم (شانجرى لا) ، فكان تطوافهم بالمكان مبعث تسلية وتسرية لهم ٠٠ كان مجرد التنقل بين الحجرات والأبهاء رياضة ، وان لاحظ كونواى ان « تشانج » لم يدعهم لدخول كثير من الحجرات التى مروا بها ٠ وبهرته الأناقة والذوق اللذان شاعا فى أنحاء الدير كله ٠٠ وكان مما أثار اغتباطه ، مكتبة حافلة بالكتب ٠٠ وبنظرة سريعة خلال الأرفف ، ألفى خير كتب العالم الأدبية ، بالفرنسية ، والالمانية ، والروسية ، والصينية ، وبعض اللغات الشرقية ٠٠ وفيما كان يفحص كتابا عن (التبت) ، أحس بعينى

« تشانج » ترقبانه فى فصول ٠٠ وهتف « مالينسون » وقد التقط كتابا : « هاك شيء يروق لك يا كونواى ٠٠ انه خريطة لهذه البلاد »

فقال « تشانج » : « لدينا مجموعة من عدة مئات ، كلها رهن أمركم ، ولكننى قد أعفيكم من عناء البحث اذا قلت أنكم لن تجدوا (شانجرى لا) على أى منها ! ولهذا سبب وجيه ، ولكننى لاأملك أن أقول أكثر من هذا »

وابتسم كونواى ، فى حين قال « مالينسون » فى قنوط : « ما زلتم تحرصون على زيادة الغموض »

ورانت لحظات من الصمت ، قطعتها الآنسة « برنيكلاو » متسائلة : « ألن ترينا كهنة اللاما ؟ »

فأجاب « تشانج » : « يؤسفنى أن أقول أن هذا مستحيل ٠ ان كهنة اللاما لا يتعرضون قط ـ الا نادرا ـ لأنظار من هم خارج مذهب اللاما »

ولم يصدها هذا السؤال عن أن تقول : « وماذا يفعل كهنة اللاما ؟ »

ـ انهم يكرسون انفسهم يا سيدتى للتأمل واقتناص الحكمة ٠٠٠

★ ★ ★

◆ ومر الأصيل فى هدوء ٠ وما لبث « تشانج » ان دعاهم لتناول الشاى ، فتبعوه فى بهو تحف به الأعمدة ، الى درجات أدت بهم الى حديقة قامت فيها بركة نما على سطحها « اللوتس » ٠ وكانت حولها تماثيل لاسود ، ووحوش التنين ووحيد القرن ٠٠ وقادهم « تشانج » الى شرفة سر « كونواى » اذ وجد بها قيثارة كبيرة ، كثيرة الأوتار ، ومعزفا حديثا ٠٠ وزاده دهشة ان أجاب « تشانج » على كل أسئلته فى هذا الصدد ، فقال ان كهنة اللاما يقدرون الموسيقى الغربية حق التقدير ، لا سيما ألحان « موزار » ، وان لديهم مجموعة كبيرة من الألحان الاوربية ، كما ان بعضهم يجيد العزف على عدة آلات موسيقية !!

أما « بارنارد » فاستسلم للدهشة التى تولته ، اذ عرف ان « البيانو » الكبير وصل الى الدير من نفس الطريق التى سلكوها بالامس ٠٠ وبينما أقبل الخدم بالشاى المعطر ، ولجت فتاة فى زى صينى ، واتجهت فورا الى القيثارة وشرعت تعزف ٠٠ ولاحظ كونواى ان لها أنفا طويلا متناسقا ، ووجنتين عاليتى الصدغين ، وصفرة تنم عن انها من سلالة « مانشو » ٠٠ وما أن فرغت من اللحن ، حتى انحنت وانصرفت ٠٠

وابتسم « تشانج » قائلا : « اسمها «لو ـ تسن» ، وقد برعت جدا فى الموسيقى الغربية ٠ انها مثلى لم تستكمل الرهبنة بعد »

وبعد ان تناولوا العشاء فى ذلك المساء ، خرج كونواى يتمشى فى ساحات الدير الهادئة التى غمرها ضوء القمر ٠٠ وكان الجو باردا ، ساكنا ، وقد بدت قمة (كاراكال) الشامخة أقرب مما تبدو فى النهار ٠٠ وتتابعت فى ذهنه

الأحداث الغريبة الغامضة التى ألمت به وبزملائه الثلاثة . وأطل من فوق السياج الى الفضاء الذى اختلطت فيه الزرقة بالسواد .. كان يعلو عما تحته بحوالى الميل تقريبا ..

وفجأة ، هبت نسمة من هواء ، حملت معها دوى طبول ودفوف ، وأصوات معولة .. وخفتت الأصوات اذ سكن الهواء ، ثم عادت مع هبوبه . ورأى كونواى ضوء مصباح فى نافذة عالية ، فود لو يدخل من أقرب الأبواب ليستطلع أحـوال الكهنة ، ولكنه كان يدرك ان حركاته تحت المراقبة .. كان ثمة اثنان من أهل التبت يتسكعان بالقرب من السياج .. وعاد صوت الدفوف والعويل ، فسمع احد الرجلين يقول : « لقد دفنوا تالو » .. وأدرك كونواى من حديثهما ما وجد فيه الكفاية لفض بعض مغاليق الغموض .. لم يكن طيرانهم من (باسكول) مغامرة لا معنى لها ، قام بها مجنون . وانما كانت خطة مرسومة ، اقدم عليها « تالو » ـ الطيار ـ بايحاء من السلطات العليا فى (شانجرى لا) .. ولكن ، اى سبب يحتمل أن يدعو لاختطاف أربعة ركاب فى طائرة تابعـة للحكومة البريطانية ، ونقلهم الى هذا المكان الغريب ، المنعزل ؟!

وآثر كونواى ان لا يفضى لزملائه بهذا الكشف الجديد

- ٦ -

◆ لم ينقض أسبوع ، حتى كان الاربعة قد راضوا أنفسهم على نظام يومى ، ولم يعد للضجر مجال فى حياتهم الجديدة ، بفضل معونة « تشانج »

وسر كونواى اذ وجد ان ارتياد الوادى لم يكن محرما ، وان كانت الصعوبات التى تكتنف النزول اليه جعلت زيارته مستحيلة .. وكانوا يقضون نهارا بأكمله فى رفقة « تشانج » يتفقدون الارض الخضراء بنباتها المتباين الانواع .. واهتم كونواى بدراسة تقاليد أهل الوادى وعاداتهم . وفى كثير من الاوقات كان يجاذب « تشانج » الحديث فى أمرهم ، وفى نظام حكمهم ، فكان يجيب على كل أسئلته بصراحة تامة !.. وحار كونواى فى أصول القانون والنظام اللذين يحكم بهما الوادى ، اذ لم يكن ثمة جنود ولا شرطة . وقد برر « تشانج » هذا بأن الجرائم نادرة ، وان حسن النية والقناعة يسيطران فى كل مكان !

وأقبلت الآنسة « برنيكلاو » على تعلم لغة التبت ، كى تملأ وقتها بما يشغلها ، واستطاعت بمساعدة الصينى وتشجيع كونواى أن تبدأ بداية مرضية .. فى حين كان كونواى فى الايام الدافئة المشمسة ، يستغل المكتبة وحجرة الموسيقى الى أقصى حد .. وعجب اذ علم من « تشانج » انهم يحرصون على أن يزودوا مكتبتهم بأحدث الكتب .

وذات يوم سأله : « كم انقضى من الزمن منذ استقبلتم آخر زائر ؟ »
- يؤسفنى يامستر كونواى ان لا أستطيع البوح بهذا
وعلى مر الأيام لم يعد اقتضاب تشانج يثير غيظه ٠٠ بل لقد بدأ يحب « تشانج » ويكثر من لقائه ، وان ظل فى حيرة لقلة من التقى بهم من أهل الدير ٠٠ باستثناء تلك العازفة « لو - تسن » الصغيرة القد ٠٠ وكان يراها أحيانا اذا غشى قاعة الموسيقى ، ولكنها لم تكن تعرف الانجليزية ، ولا كان هو راغبا فى أن يكشف عن اتقانه للغة الصينية ٠٠ وكان « مالينسون » يفد أحيانا ليسمع شيئا من الموسيقى ، فيعجب لوجود فتاة مثلها فى دير اللاما ، وتساءل مرة : « أتراها تحب الاقامة هنا ؟ »
فأجابه كونواى : « أستطيع أن أقول انها لا تبدى كراهية لذلك »
- بهذه المناسبة ، كم تظن عمر تشانج ؟
- أى سن بين التاسعة والاربعين ٠٠ والتاسعة والاربعين بعد المائة !!
وفى ذات يوم ، أقبل « مالينسون » يحمل الى كونواى نبأ غريبا ٠٠ لقد عثر على مفكرة سقطت من « بارنارد » وجد بها بعض قصاصات من صحف ٠٠ ولقد ردها اليه ، ولكنه فيما كان يعيد قصاصات وقعت منها ، وجد صورة فى احداها ، كشفت عن ان « بارنارد » لم يكن سوى « تشارلز بريانت » المالى الامريكى الذى بدد ثروات الكثيرين من المستثمرين الذين وثقوا فيه ، ثم اختفى ٠٠ وقال كونواى :
- أنصحك أن لا تذكر شيئا عما اكتشفت
- ولكن هذا الرجل ليس سوى لص ٠٠ وعلى نطاق واسع ٠٠ اننى أعرف ان كثيرا من الناس فقدوا نقودهم على يديه ٠
ولكن « مالينسون » لم يكن فى حاجة الى التكتم ، لأن «بارنارد» كفاه مؤونة هذا ، بعد أن فرغوا من عشائهم وانصرف عنهم « تشانج » فى ذلك المساء ٠٠ اذ ألقى الامريكى سيجاره فجأة وقال : « أظنكم جميعا تعرفون من أنا ٠٠ كان من الاهمال أن أدع تلك القصاصات فى جيبى ٠٠ »
وساد صمت لم تلبث أن قطعته الآنسة «برنيكلاو» قائلة : « ولكننى لا أعرف ٠٠ وان كنت أذكر انك قلت - حين ذكر مستر كونواى ان أسماءنا ستنشر فى الصحف - ان هذا لن يؤثر فى وضعك ٠٠ فخطر لى ان من المحتمل ان «بارنارد» ليس اسمك الحقيقى » !٠٠ فابتسم وأشعل سيجارا جديدا ثم قال : « لقد كنتم من اللطف معى الى درجة تجعلنى لا أحب أن أزعجكم ٠ ويبدو انه قد قدر علينا أن نرتبط معا فى الخير والشر ، لبعض الوقت ، وان علينا ان يساعد أحدنا الآخر قدر المستطاع ٠٠ »
وتمطى فى مقعده وضحك قائلا : « لشد ماهى غريبة ، هـذه المسألة !٠٠ تصوروا ان البوليس كان يتبعنى فى أوربا بأسرها ، وكاد يقبض على فى(فيينا)!

٠٠ لقد حظيت بقدر كبير من الراحة فى (باسكول) ، وان خيل الى اننى قد اكون آمنا وسط ثورة مشبوبة » !

فقال كونواى مبتسما : « وهذا ماحدث فعلا ٠٠ كنت آمنا ، الا من الرصاص»

ـ وهذا ما أقلق بالى فى النهاية ٠٠ وكانت حيرة طاغية ٠٠ هل أمكث فى (باسكول) وأتعرض للرصاص ، أو أقبل الرحيل فى طائرة حكومتكم لاجد الاغلال فى انتظارى فى نهاية الرحلة ٠٠ ولم أكن متحمسا لاى الحلين ٠٠ ومن هذا تدركون أن التغير الذى طرأ على الخطة لم يزعجنى كثيرا ٠٠ انه لغز عويص ٠٠ ولكننى لم أعتد أن أتململ طالما كنت قانعا !٠٠ فليس هذا المكان بالمكان السيىء ، بل هو لطيف ، اذ أن فيه شيئا من التغيير لما ألفت ٠٠ كما لم يعد فى وسع أحد أن يتصل بى تليفونيا !

قال كونواى : « يخيل الى انك لا تود أن يتصل بك أحد ٠٠ على اننى أقر بأننى لا أدرك كثيرا مايسمونه الدوائر المالية العليا »

قال الامريكى : « انها مجازفة ٠٠ يظل المرء يفعل ما اعتاد أن يفعله لسنوات، ثم اذا السوق تنقلب فجأة ضده ٠٠ فلا يملك ازاءها شيئا ، بل يواجه الموقف ، وينتظر أن تنقلب من جديد ٠٠ على أن هذا الانقلاب لا يحدث ، بطريقة ما كما هى العادة ، فيخسر كل شىء ٠٠ »

قال مالينسون فى حدة : « وقد خسرت نقود الناس أيضا »

ـ أجل ، لانهم أرادوا شيئا من لاشىء ، ولم يؤتوا العقل الذى يمكنهم من الحصول عليه ٠٠ ماكان لهم ان يطمئنوا الى أن نقودهم فى أمان ، فليس ثمة أمان فى أى مكان ٠٠ وما كنت أملك ازاء انهيار السوق ، أكثر مما تملكون ازاء ماحدث مذ بارحنا (باسكول) ٠٠

فسارع كونواى يغير مجرى الحديث قائلا : « اذا تأملتم الامر وجدتم ان من الغريب ان بيننا نحن الاربعة ـ وقد جمعتنا الصدفة واختطفنا عبر آلاف الاميال ـ ثلاثة أوتوا القدرة على أن يجدوا فى الامر عزاء ٠٠ فأنت تنشد استجماما ومخبأ ، والآنسة « برنيكلاو » تشعر أنها أوفدت لتطهر (التبت) وتقودها الى الايمان ٠٠ أما أنا ، فلدى مبرر بسيط ٠٠ ذلك هو اننى أميل الى البقاء هنا » !!

والواقع انه حين خرج يتمشى بعد العشاء ، كما اعتاد ، أحس بطمأنينة غامرة تشمل جسمه وعقله ٠٠ كانت (شانجرى لا) تقبع فى أحضان السكينة ٠٠ وتبين كونواى انه ماكان ليغتبط لو أن الحمالين المرتقبين وصلوا من العالم الخارجى قبل موعدهم ٠٠ وفجأة ، أخرجه من تأملاته مقدم « تشانج » يهمس فى شىء من الانفعال : « سيدى ، اننى لأفخر بأن أحمل لك نبأ هاما »

وكان وصول الحمالين أول ماقفز الى ذهن كونواى ٠٠ ومضى «تشانج» فى حال من الانفعال غير مألوفة منه : « اننى أهنئك ياسيدى العزيز ، ويسعدنى

أن أرى اننى كنت مسئولا الى حد ما عن حمل « اللاما الاكبر » على ٠٠ ان يرسل فى طلبك »

وتبدت الدهشة فى نظرة كونواى وهو يقول : « وفيم الانفعال ؟ »

– انه أمر غير مألوف ٠٠ لم يحدث من قبل قط أن أستقبل « اللاما الاكبر » غريبا ، ولما ينقض على اقامته سوى اسبوعين

– ولكن ، ألا ترى الوقت متأخرا ؟٠٠

– لا أهمية لذلك ٠ لسوف تدرك أمورا كثيرة عما قريب ٠٠ صدقنى اننى كنت أعانى مشقة فى أن أرفض تزويدك بالمعلومات فى كثير من المناسبات ٠٠ كم أنا مغتبط ٠٠ لأن الحاجة لن تدعو لذلك ثانية !

– ٧ –

◆ كان مظهر كونواى الهادىء يخفى لهفة أخذت تزداد وهو يمضى عبر الردهات الخالية برفقة « تشانج » ٠٠ كان على أبواب كشف سوف يتبين بعده ما اذا كانت النظرية التى أخذت تتكون فى ذهنه أقل استحالة مما خيل اليه ٠ ثم ان المقابلة كانت – بغض النظر عن هذا – طريفة ! ٠٠ ولاحظ ان « تشانج » كان يجتاز به غرفا لم يرها من قبل ٠ ثم صعد به سلما حلزونيا ، وطرق بابا فتحه خادم من أبناء (التبت) ٠٠ وكان الحر فى هذا الجزء من الدير شديدا ، والنوافذ محكمة الغلق ٠٠ وهمس «تشانج» : « سيستقبلك اللاما الاكبر وحيدا » ٠ وأغلق الباب خلفه فى سكون ، حتى انه لم يشعر بانصرافه ٠٠



ووقف كونواى مترددا بضع ثوان ، قبل أن تألف عيناه الظلام ، ثم رأى مقصورة منخفضة السقف ، ثقيلة الحجب والستائر ، ليس بها من الاثاث سوى منضدة وعدة مقاعد ٠ وعلى مقعد من هذه المقاعد ، جلس شخص ضئيل الجسم ، شاحب اللون ، مجعد الوجه ، لا يبدى حراكا ٠٠ كما لو كان صورة فى لوحة أثرية باهتة ! ٠٠ وأحس بدوار تحت النظرات المنبعثة من العينين العتيقتين ٠٠ وتقدم بضع خطوات ، ثم وقف ٠٠ وبدأت معالم الشخص الجالس تتضح ٠٠ كان مسنا ، ضئيل الجسم ، فى ثوب صينى فضفاض ٠٠

وهمس الرجل فى انجليزية راقية : « أأنت مستر كونواى ؟ ٠٠ يسرنى أن

أراك .. لقد استدعيتك لانني رأيت اننا قد نتفاهم اذا تكلمنا معا . ارجو أن تجلس الى جوارى ولا تخف ، فأنا مسن ، لا أقوى على أن أؤذى أحدا »

فأجاب كونواى : « انني أشعر بشرف عظيم اذ أمثل أمامك »

ـ شكرا ياعزيزى كونواى .. أرجو أن تكونوا قد حظيتم باقامة مريحة منذ وصولكم الى (شانجرى لا) .. لقد بذل « تشانج » خير ما فى وسعه من أجلكم ولا ريب .. وقد أنبأنى بأنك وجهت اليه أسئلة كثيرة عن طائفتنا وشئونها ، فلو أعرتنى بعض الوقت ، لسرنى أن أصف لك بايجاز مؤسستنا ..

وأقبل خادم يقدم الشاى . وبعد حديث عابر أثناء احتسائه ، عاد « اللاما » يستأنف حديثه الاول : « لعلك على المام بالمعالم العامة لتاريخ (التبت) .. لقد كانت المسيحية ـ على أى حال ـ منتشرة فى آسيا بأسرها فى القرون الوسطى ، وقد ظلت آثار منها طويلا بعد تقلص نفوذها .. وعادت فى القرن السابع عشر توطد مركزها ، حتى لقد بقيت فى (لهاسا) ـ عاصمة التبت ذاتها ـ بعثة مسيحية ، لمدة ثمانى وثلاثين سنة .. وفى سنة ١٧١٩ ، خرج أربعة رهبان يسعون الى (بكين) ليتبينوا ما تبقى لديهم من نفوذ فى جوف القارة .. ويمموا شطر الجنوب الغربى شهورا عديدة ، مكافحين مشقات لايمكن تصورها .. فمات ثلاثة منهم ، وأشرف الرابع على الموت ، لولا انه وقع مصادفة على الطريق الصخرى الذى بقى الى اليوم المنفذ الوحيد الى وادى « القمر الازرق » .. وهناك ، وجد لدهشته قوما يعيشون فى رخاء ، سارعوا لابداء ما نعتبره أعرق تقاليدنا : اكرام الضيف !.. وسرعان ما استرد صحته ، وأخذ يهدى الناس الى الدين . وكان ثمة دير بوذى على حافة الجبل ، فخطر للراهب ان يقيم فى موقعه ديرا مسيحيا . ومن ثم أصلحت المبانى العتيقة تحت ارشاده .. وبدأ يعيش هنا فى سنة ١٧٣٤ .. وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة ..

« كان يدعى « بيرو » ، وقد درس فى جامعات باريس وبولونيا وسواهما قبل أن ينضوى فى بعثات التبشير للشرق الاقصى .. كان عالما ، بحاثة .. مشغوفا بالموسيقى والفنون ، وذا ميل خاص للغات .. وكان قوى البنية ، اعتاد أن يعمل بيديه كأى رجل آخر ، فكان يفلح حديقته ، ويتعلم من أهل الوادى ويعلمهم .. ووجد فى الوادى مناجم للذهب لم تقو على اغرائه ، بل انه وجه أعمق اهتمامه الى النباتات والاعشاب المحلية .. وكان يقدر الامور الدنيوية النافعة ، وكما علم اتباعه الدين ، علمهم الطهو ..

« وما أن استقر الدير وتوطدت دعائمه ، حتى كان « بيرو » قد اكتهل .. وكان أهل الوادى ـ بل ورهبان بوذا ـ قد أحبوه وتعودوا طاعته ، بل وغدوا على مر السنين يوقرونه . وكان فى التاسعة والثمانين من عمره حين تعرض المذهب الذى أنشأه لتغيير جوهرى . فما كان من المتوقع أن يقوى وحده على اجتثاث التقاليد والعادات العتيقة ، ولم يكن معه زملاء غربيون يساعدونه حين

تقدمت به السن ، ووهنت قبضته على أتباعه ، فبدأوا يتهاونون فى أمر الدين ، وان ظلوا على وفائهم له وتوقيرهم اياه ٠٠ وفى سن الثامنة والتسعين ، شرع يدرس المؤلفات البوذية التى خلفها رهبان (شانجرى لا) السابقين ٠٠

« وفى تلك الاثناء ، كان كثير من تلاميذه الأوائل قد ماتوا ، وبدأ عدد المنضوين تحت مذهبه يتضاءل ٠٠ وغدا معظمهم طاعنا فى السن ٠٠ وكانت حياة « بيرو » تزداد سكونا ، ولم يبق سوى ان يرقد رقدته الاخيرة ٠ ولم يكن يخشى الموت ، فكان يعكف على العمل فى مكتبته ، اذ ظل عقله مجلوا الى درجة عجيبة ٠٠ بل انه شرع يتعلم بعض الاساليب الصوفية التى يسميها الهنود (يوجا) ، والتى تقوم على عدة أساليب خاصة فى التنفس ٠٠ وفى سنة ١٧٨٩ هبطت الانباء الى الوادى بأن « بيرو » يحتضر ٠٠

« وكان يرقد فى حجرته ، يتطلع من نافذته الى الضباب الابيض الذى كان الصورة الوحيدة التى يراها بصره الكليل لجبل (كاراكال) ٠٠ ولكن بصيرته كانت مجلوة ، فكانت ترسم له صورة الجبل كما رآها لاول مرة قبل نصف قرن ٠٠ ورانت على عقله سكينة ونقاء ٠٠ وودع زملاءه وخدمه ، ثم سألهم أن يتركوه وحده برهة ٠٠ كان يرجو أن يجود بآخر أنفاسه فى هذه الخلوة ٠ ولكنه لم يمت ، بل ظل أسابيع طويلة بلا حديث ولا حراك ٠٠ ثم شرع يسترد صحته من جديد ٠٠ وكان قد غدا فى عامه الثامن بعد المائة »

وكف الهمس لحظة ، وخيل لكونواى ان « اللاما الاكبر » كان يصور حلما شخصيا قديما ٠ وعاد بعد فترة يقول :

« وتجلت لبيرو ـ ككل واقف على عتبات الموت ـ بعض الحقائق التى عاد بها الى الحياة ٠٠ وبدلا من أن يقضى فترة النقاهة فى خمول ، كما هو متوقع ، أقبل على نظام صارم ، من تقييد للغذاء ، الى تمرينات على التنفس العميق ! ٠٠ وبدا ان هذا أتاح له سر الحياة ٠٠ فعندما مات آخر الرهبان القدامى فى سنة ١٧٩٤ ، بقى « بيرو » على قيد الحياة ٠٠ وسرعان ما أصبح ـ فى نظر أهل الوادى ـ محوطا بالغموض ٠٠ على أن لونا من الحب التقليـدى ظل فى قلوبهم نحوه ، وأصبحوا يرون أن الصعود الى (شانجرى لا) وترك هدية ، أو أداء بعض الاعمال اللازمة ، مجلبة للحظ ! ٠٠ وكان « بيرو » يمنح هؤلاء الزوار بركاته ! ٠٠ وباقتراب القرن الجديد ، قويت الشائعات بأن « بيرو » أصبح الها ! وانه يأتى بالمعجزات ، وانه فى بعض الليالى يطير الى قمة (كاراكال) ليرفع شمعة نحو السماء ٠٠ ولست بحاجة الى أن أذكر لك ان لا « بيرو » ولا سواه ، صعد الى الجبل قط ٠٠

« ومن الممكن تلخيص المسلك الذى انتهجه فى أنه بدأ يشعر بأنه اذا لم يمت فى السن العادية ، فهو غير عادى ، ومن المحتمل أن تستمر هذه الحال ، كما ان من الجائز أن تنتهى فى أية لحظة ٠ ومن ثم شرع يحيا الحياة التى كان دائما

يبغيها ، ولكنه نادرا ماوجدها ممكنة . وكانت ذاكرته رائعة ، حتى لقد لاح له أن بوسعه أن يستذكر كل شيء بسهولة . وسرعان ما أحس بالحاجة الى الكتب ..

« ثم وصل الى وادى « القمر الازرق » غريب آخر من أوربا فى سنة ١٨٠٤ .. كان شابا نمسويا يدعى « هنشل » حارب ضد نابليون فى ايطاليا .. ثم هام فى روسيا ومنها سافر الى آسيا على أمل أن يجمع ثروة جديدة بطريقة ما !.. وكان فى الواقع قريبا من الموت - كما كان « بيرو » نفسه - حين وجد هنا .. ومرة أخرى ، بسطت (شانجرى لا) كرمها ، فمالبث أن شفى الغريب ،وأبدى لتوه اهتماما بمناجم الذهب ، طامعا فى أن يعود الى أوربا مثريا .. ولكنه لم يعد اليها .. فان الوادى - بما فيه من سلام ودعة وتحرر مطلق من هموم الدنيا - أغراه على البقاء .. كما أغرته الاساطير فى الوادى على أن يرقى الى (شانجرى لا) ويقابل « بيرو » .. وكان لقاء تاريخيا !.. ولن أحاول أن أصف التآلف الذى نشأ بينهما .. وأخذ احدهما يبذل الاعجاب ، والآخر يبذل له معرفته ،وأسراره، والحلم الجامح الذى غدا بالنسبة له ، الحقيقة الوحيدة الباقية فى الدنيا ..

« وشرع « هنشل » يجمع مايحتويه الدير الآن من تحف الفن الصينى ، ومافى مكتبته من ثروة ، ومن قطع موسيقية .. اذ قام برحلة رائعة الى (بكين) ، عاد منها بأولى الدفعات فى سنة ١٨٠٩ . ولم يبرح الوادى ثانية ، ولكنه بعبقريته ابتكر النظام المعقد الذى استطاع به الدير ان يحصل على حاجاته من العالم الخارجى .. وكان من السهل ان ندفع مما لدينا من ذهب .. ولكن « هنشل » حرص على أن لا يقترب أحد من الحمالين الذين يحضرون لنا الكتب والتحف ، كثيرا من وادينا ، فكان يوقفهم على مسيرة يوم .. ولكنه ما لبث أن تبين أن لا حاجة الى ذلك .. كانت طبيعة أقليمنا وبعده يجعلان غزوه مستحيلا ..وأقصى مايرتقب ان يصل نفر ضئيل ، اعياهم الضلال والتسيار ، فلم يعودوا مصدر خطر ..

« وعلى مر السنين ، أقبل بعض تجار من الصين ، ورعاة من اهل التبت ، ومبشران انجليزيان .. وتاجر يونانى ، وثلاثة من الاسبان ، واثنان من الالمان، وروسى ، وانجليزى آخر ، وسويدى . وحدث تعديل بسيط فى مسلك (شانجرى لا) نحوهم .. فلم يعودوا يقابلون بالترحاب فحسب ، وانما أصبح الدير يخف الى استقبالهم اذا ماصاروا على مسافة معينة منه .. وهى ظاهرة معناها ان بالدير حاجة ورغبة للقادمين .. وبدأ الدير فى الوقت ذاته يكتسب كثيرا من صفاته الراهنة ..

« ومات هنشل فجأة .. أغتيل فى سنة ١٨٥٩ ، وكان أحد الرسامين الصينيين قد رسم صورته قبيل موته بقليل .. »

وبحركة من يد اللاما ، أقبل خادم أزاح ستارا عند الطرف الاقصى للغرفة ، ورفع

مصباحا ، وسمع كونواى الصوت الهامس الذى ألفته أذناه ، يدعوه الى الاقتراب ٠٠ وكان أهم ما استرعى انتباه كونواى أن الوجه فى الصورة كان شابا ! ٠٠ وهتف متلعثما وهو يدير وجهه : « ولكنك قلت ان الصورة رسمت قبيل وفاته بقليل ٠٠ وانه جاء الى هنا فى سنة ١٨٠٣ ٠٠ وانه اغتيل ٠٠ »

ـ أجل ٠٠ قتله انجليزى ٠٠ كان الانجليزى قد وصل قبل ذلك بأسابيع قلائل ٠٠ وقد تشاجر معه من أجل الحمالين ٠٠

وصمت اللاما الاكبر لحظة ، تذكر خلالها كونواى ما كان من أمر «مالينسون» مع « تشانج » من أجل الحمالين ٠٠ وكان قد انصت خلال الرواية فى انتباه ، فاحس بفيض من الذهول ، لم يتمالك معه ان قال متلعثما : « هذا يبدو مستحيلا ٠٠ ومع ذلك فلست أملك الا أن أفكر فيه ٠٠ انه مدهش ٠٠ غير معقول ٠٠ ولكنه مع ذلك ليس فوق مجال التصديق ٠٠ »

ـ ماهو يابنى ؟٠٠

فأجاب كونواى وقد تسلط عليه انفعال لم يدر مأتاه ، ولم يحاول اخفاءه : « انك لا تزال حيا ٠٠ أيها الاب بيرو »

ـ ٨ ـ

◆ وأمر « اللاما الاكبر » بالشاى من جديد ٠٠ وتحول يتحدث عن الموسيقى ، فقال كونواى فى أدب انه دهش حين وجد فى الدير مكتبة كاملة من مؤلفات الملحنين الأوربيين ، فذكر له « اللاما الاكبر » أن بين كهنة الدير موسيقيا موهوبا ، كان من تلاميذ « شوبان » ٠٠ فأعرب كونواى عن شوقه لان يقابله ٠ ومالبث أن عاد فى هدوء الى الموضوع الاصلى متسائلا : « اذن فقد عزمتم على أن تستبقونا ؟ ٠٠ ان الذى يحيرنى هو : لماذا وقع الاختيار علينا نحن الأربعة دون بقية أهل الدنيا ؟ » ! فأجاب « اللاما الاكبر » بأنهم حرصوا دواما على أن يستبقوا عددهم على ماهو عليه ، بالحاق أفراد جدد باستمرار ، ولكن الحرب التى دارت فى أوربا ، والثورة التى قامت فى روسيا ، حدتا من اقبال الرحالة على ارتياد التبت ٠٠ كما أن أهل التبت أثبتوا انهم أقل ذكاء وتحمسا من العناصر الاخرى ، وان خير من كانوا يصلحون للاندماج فى سلك الرهبنة بالدير ، هم أبناء العناصر الشمالية واللاتينية فى أوربا ٠٠ واستطرد اللاما قائلا : « ومنذ سنوات قلائل ، خف احد الرهبان لانقاذ الموقف بفكرة مبتكرة ٠٠ كان شابا من أبناء وادينا ، جديرا بكل ثقة ، ومتحمسا كل التحمس لأهدافنا ٠ فعرض أن يتركنا ويسعى الى احدى البلاد المحيطة ، ليجتلب لنا زملاء بطريقة لم تكن ميسورة من قبل ٠٠ وكل الذى نعلمه ان أولى الخطوات فى خطته ، تضمنت تعلم الطيران فى احدى المدارس الامريكية ٠٠ ومن الصحيح أن كثيرا من الخطة كان يتوقف على المصادفة والحظ ٠٠ ولو أن « تالو » لم يصادف فرصة ، لكان من

المحتمل ان ينتظر عاما أو عامين ٠٠ والواقع اننى دهشت حين أعلن حراسنا هبوط الطائرة ٠٠ »

ـ ولكن ، ما الغرض من وراء هذا ؟ ٠٠

ـ يسرنى هدوؤك وطريقتك فى السؤال يا بنى ، فما تقبل أحد من قبل قصتى بمثل اتزانك واهتمامك ٠٠ فان الاهتمام خطوة نحو التفكير والتروى ، وقد لا نلبث أن نحظى بانضمامك ٠٠ كل ما أطلبه منك الآن ، هو أن يبقى ماأنبأتك به مجهولا من زملائك الثلاثة ٠٠ وسيأتى يوم يعرفونه فيه ـ كما عرفت ـ ولكن من الخير لمصلحتهم أن لانتعجل ذلك اليوم !٠٠ والآن ، لنبدأ بأن نرسم لك صورة تقرب الامر الى ذهنك ٠٠ انك لاتزال شابا ، بالقياس الى مستوى السن في الدنيا ، ولا تتوقع ، فى العادة ، أن تحظى بغير عشرين أو ثلاثين سنة للقيام بألوان النشاط ٠٠

ومضى « اللاما الاكبر » يشرح له ان مرحلة النشاط فى عمر الانسان قصيرة، اما طبقا لمعايير (شانجرى لا) ، فان الشخص الذى ينضوى تحت لواء مذهب اللاما ، يعيش أجيالا فى مرحلة الشباب ، اذ استطاع الكهنة أن يخففوا منسرعة انصرام العمر بأساليب تبدو لهم بسيطة ، ولكنها مستحيلة خارج عالمهم !

وأمسك اللاما برهة ، ثم قال : « لا أريد منك تعقيبا ياعزيزى كونواى ٠٠ اذا صدقت قراءتى لما فى نفسك ، فلست أرى مايجعلك تتشبث بالعالم الخارجى ٠٠ »

فأجفل كونواى لصدق استنتاجه ، وقال : « هو ذلك ٠٠ فلست متزوجا ، وليس لى من الاصدقاء الحميمين الا القليل ٠٠ وليس لى أطماع ولا آمال ٠٠ لقد كنت أرى دائما ان أى مزيد من النجاح فى مهنتى ـ بالسلك القنصلى ـ لن يروق لى ، فضلا عن انه سيتطلب من الجهد فوق ما أشعر بالرغبة فى بذله ٠٠ وكان منصبى المتواضع يلائمنى كل الملائمة ٠٠ ثم اننى بطبيعتى أميل للخمول »

ـ ان الخمول فى أداء بعض أعمال معينة ، قد يكون فضيلة كبرى ٠ وأظن أن تشانج قد شرح لك مبدأنا فى الاعتدال ٠٠ اننا ياصاحبى لا نقوم بتجربة فارغة ٠ ان لدينا حلما ورؤيا ٠٠ رؤيا تجلت لبيرو حين رقد فى انتظار الموت فى سنة ١٧٨٩ ٠ لقد استعرض حياته السالفة ، فوجد ان اجمل الامور فانية ، وان الحرب والوحشية قد تمحوان من الدنيا كل ماهو جميل ٠٠ رأى الامم تقوى ، لا فى الحكمة ، وانما فى الرغبة فى التدمير ٠٠ رأى قوة أسلحتهم الآلية تتضاعف ، وأدرك أنهم اذا ما ملأوا الارض والبحر دمارا ، فسيصعدون الى الجو ٠٠ وقد تحقق هذا ٠٠ ورأى ان سيأتى وقت يعيث الانسان فيه فسادا حتى يغدو كل ثمين ـ كتابا كان أو صورة أو لحنا ـ معرضا لخطر الضياع ٠٠ صدقنى ، لسوف تتحقق رؤيا « بيرو » العجوز ، وهذا يابنى سر وجودى هنا ، ووجودك ، وسر اننا قد نرجو أن نعيش الى مابعد الدمار الذى يكتنف الدنيا من كل جانب ٠٠ قد يكون ثمة أمل ـ ولو كان واهيا ـ فى أن تسلم

(شانجرى لا) من الدمار ، فنبقى بكتبنا ، وموسيقانا ، وأفكارنا ، لنصون كنوز عصر منقرض ٠٠ فاذا ما التهم الأقوياء بعضهم بعضا ، آن للحلم أن يتحقق، فيرث الضعفاء المتواضعون الارض !»

وأحس كونواى بجمال الصوت الهامس يستولى على حواسه ٠٠ وتخيل ظلمات تكتنف الدنيا ، كما لو كانت تقبع فى انتظار العاصفة ٠٠ ثم رأى « اللاما الأكبر » يتحرك ، وينهض واقفا كأنه طيف نصف متجسد ٠ وهم بأن يساعده ، ولكن شعورا غريبا استولى عليه ، وجعله يفعل ما لم يفعله قط من قبل امام أى مخلوق ٠٠ ركع ، ثم لم يدر ما بدر منه !

- ٩ -

◆ خيل لكونواى فى الصباح التالى ان كل ما جرى فى الليلة السابقة كان جزءا من حلم راوده فى اليقظة أو فى المنام ، لولا ان انهالت عليه أسئلة رفاقه - اذ جلسوا للفطور - عما دار بينه وبين « اللاما الأكبر » ٠٠ وكان «مالينسون» أشد ما يكون لهفة لتعرف ما قاله اللاما عن الحمالين ٠٠ فلما أجاب بأن ذكرهم لم يرد على لسانه ، حملق فيه الشاب غير مصدق وقال : « اننى لا افهمك يا كونواى ٠٠ لا أكاد أصدق انك نفس الرجل الذى عرفت فى (باسكول) ٠٠ كأنما تحطمت روحك »

وخرج كونواى الى البهو ليتفادى التعرض لمزيد من الاسئلة ٠ وبدأ يحس انه بحاجة الى مزيد من هدوء الطباع كى يمارس الحياة المزدوجة التى كان مضطرا اليها ٠ كان اذا وجد مع زملائه يعيش فى دنيا تتركز حول وصول الحمالين ٠٠ أما فى الاوقات الاخرى ، فكان يستسلم للأحلام ٠ وأصبح الوقت يفقد قيمته ، واسم « القمر الازرق » يكتسب معنى رمزيا ، كما لو كان المستقبل لا يحتمل ان يتحقق الا فى قمر ازرق فحسب !

وأصبح « تشانج » يتحدث اليه دون ما تحفظ ، فعلم ان عليه أن يعيش السنوات الخمس الأولى فى الدير حياة عادية خالية من القيود ، ليتأقلم بدنه ، وليطرح عنه الهموم الذهنية والعاطفية ! ٠٠ وبعد تلك المدة ، تبدأ عملية تأخير الكهولة ، فاذا أفلحت ، عاش كونواى نصف قرن قبل أن يتخذ المظهر الذى يتخذه الانسان العادى فى سن الاربعين !

وذهل كونواى اذ تبين ان العمر الحقيقى لتشانج كان سبعا وتسعين سنة ، وانه اذا ما رسم كاهنا ، فقد يحتمل أن يعيش قرنا آخر ! ٠٠ وساءل نفسه فى دهشته : « وهب أنك بارحت الوادى الآن ، فماذا يصيبك ؟ »

- الموت ٠٠ اذا مكثت بعيدا اكثر من بضعة أيام أخر ٠٠ فالجو ضرورى ٠٠ وليس ثمة سوى « وادى قمر ازرق » واحد !

- انها قصة كئيبة ، توحى الى المرء بأن الوقت أشبه بوحش يتربص خارج

الوادى لينقض على اولئك الذين يرى انهم راغوا منه امدا أطول من سواهم !

والتقى كونواى خلال الأسبوع التالى - بعد زيارته للاما الاكبر - بعدد من زملاء حياته المقبلة .. وكان اكثرهم تأثيرا فى نفسه « الفونس برياك » الذى ذكر « اللاما الاكبر » انه تلميذ « شوبان » .. والذى لم يبد عليه رغم ذلك انه مكتهل .. وتكلم الفرنسى طويلا عن « شوبان » ، وعزف ألحانه المعروفة ببراعة. وبدا أنه كان يعرف عدة ألحان لم يقدر لها قط أن تنشر . وقد عكف كونواى على حفظها .. كما ظل يقضى الشطر الاكبر من وقته يقرأ فى المكتبة ، وكثيرا ما كان يستمرىء الانصات الى عزف « لو - تسن » الرقيق ، على القيثارة .. ولقد خطر له مرة ان يسأل « تشانج » عن تاريخها ، فقال له انها من أميرات اسرة « مانشو » المالكة ، وقد زوجت من أحد الامراء ، وفيمـــا كانت راحلة الى (قشقر) لتنضم اليه ، ضل مرافقوها الطريق ، وكادوا يهلكون جميعا ، لولا ان عثر عليهم كهنة الدير .. وكان ذلك فى سنة ١٨٨٤ .. وكانت «لو-تسن» اذ ذاك فى الثامنة عشرة من عمرها !

- ١٠ -

◆ قبل ان ينقضى شهر على وصول كونواى الى (شانجرى لا) حظى بالمثول مرة ثانية بين يدى اللاما الاكبر ، مما أدهش « تشانج » ، اذ لم يكن فى حياة الدير سابقة لمثل هذا الايثار لشخص حديث عهد بالاقامة فيه !

على ان كونواى لم يشعر بعد الزيارة الرابعة للاما الاكبر بأن الامر يدعو الى أى عجب .. كانا عقلين تقاربا وانسجما !.. ومع مرور الايام والأسابيع بدأ يشعر بالقناعة والرضى يستوليان على جسده وعقله كمـــا هى حال « بيرو » و « هنشل » وغيرهما . كان قد بدأ يستسلم لسحر « القمر الازرق » .. وكان اذا سمع انغام القيثارة عبر بحيرة اللوتس ، احس بها تهفو بأحاسيسه ، ومالبث أن فطن الى أنه يزداد ميلا الى « لو - تسن » ، دون أن يطمع فى شىء منها ، فقد كانت فى نظره رمزا للرقة والضعف

ومع ذلك فقد كان فى بعض الفترات يرتد الى الحياة الاخرى ، ليواجه ضيق « مالينسون » وقلقه !.. كان الامريكى قد ارتاح الى مقامهم ، فود ان يطيل البقاء بعض الوقت .. كما تمكنت من الآنسة « برنيكلاو » فكرة انها لم تفد الى (شانجرى لا) عبثا ، وانما بعثتها العناية الالهية لتهدى أهل الوادى .. أما « مالينسون » فقد بقى على قلقه ، يتعجل الوقت فى انتظار وصول الحمالين .. وكان « تشانج » يرى ان هذا القلق لن يلبث ان يخمد ، ولكن كونواى كان يرتاب فى ذلك ، ويعتقد أن « مالينسون » ليس بالذى يستسلم للواقع بسهولة. وفيما كانا يتذاكران هذا يوما ، قال « تشانج » :

- اننا لن نحاول ان نمنعه من الاتصال بالحمالين اذا ما جاءوا .. ولكنه لن

يلبث ان يكتشف بنفسه ان الحمالين يرفضون ان يصحبوا أحدا فى العودة ٠٠ فاذا شاء أن يفر ، فالممر مفتوح فى أى وقت ، وليس لدينا حراس سوى الطبيعة نفسها ٠٠ ولقد حاول غيره من قبل ، ولكنهم كانوا يسعدون بالعودة بعد ان يجربوا قضاء ليلة واحدة على الهضبة بلا مأوى ولا ثياب كافية لتقيهم تقلبات الجو !٠٠ اما الذين كانوا يصرون على العناد ، فكانوا ينطلقون الى غير عودة ٠٠ لا الى (تشانجرى لا) ، ولا الى العالم الخارجى !

★ ★ ★

◆ وأخذت الحياة الدنيوية تبعد رويدا عن ذهن كونواى ازاء حياة (شانجرى لا) ٠٠ قط ما أحس بمثل السعادة التى اخذ يستشعرها اذ ذاك ٠٠ وأخذ يدرس حياة كهنة الدير ، فتبين ان الهدوء الذى كان يسود المكان ، كان يخفى وراءه نشاطا كذلك الذى يرى فى خلايا النحل ٠٠ كان لكل كاهن عمل ، بجانب دراساته وبحوثه ٠٠

وازدادت مرات رؤيته للاما الاكبر ٠٠ وفى ذات يوم ، سأله « اللاما » عن « مالينسون » فقال : « لسوف يكون مشكلة » ، ودهش اذ أجابه اللاما : « اخشى انه سيكون مشكلة لك » ٠٠

وتساءل فى عجب : « ولماذا ٠٠ لى ؟ »

وتريث « اللاما » حتى رفع الخادم اقداح الشاى الفارغة ، ثم أجاب ببساطة : « لأننى يا بنى ٠٠ سأموت ! ٠٠ أيذهلك هذا ؟ ٠٠ ثق ياصديقى أننا جميعانسير الى الموت ٠٠ حتى فى (شانجرى لا) ٠٠ اننى ارى النهاية ، ولكن لابد لى من أن اهيىء نفسى لشعور غريب فى الساعات الاخيرة ٠٠ وقبل ذلك ، يجب ان أفسح الوقت لأحقق أمرا واحدا بقى أمامى ٠٠ أمرا يخصك يا بنى ٠٠ »

وكان قلق كونواى وفضوله يشتدان مع كل عبارة ٠٠ وطال الصمت ، ثم عاد « اللاما الاكبر » يقول : « لقد تبينت ولا شك ان ليست لدينا هنا قواعد نلتزم بها ٠٠ بل نحن نسترشد ـ الى حد ما ـ بأمثلة الماضى ، ولكنا فى الغالب نسترشد بحكمتنا الحالية ٠٠ ومن هنا أجد ما يشجعنى على هذا العمل الأخير ٠٠ اننى أضع بين يديك يا بنى ميراث (شانجرى لا) ومصيرها » !!

وساد صمت لم يعكره سوى خفقات قلب كونواى ٠٠ وعاد « اللاما » يقول : « لقد اكتهل زملائى ، ولكنك ما زلت شابا ، كما انك عاقل حكيم ٠٠ وليس العبء الذى اعهد اليك به شاقا ٠٠ سيكون من أسباب المتعة لك ان تترفق بالمريض ، وتعنى بثراء العقول ، وتتزعم الحكمة أثناء هبوب العاصفة الجائحة ٠٠ العاصفة التى لم تر الدنيا لها مثيلا من قبل ٠ لن يكون هناك أمان وسلام بالسلاح ، ولن تجد الدنيا فى العلم نجاة ٠٠ ستحتدم العاصفة حتى تسحق كل زهرة من زهرات الثقافة ، وحتى تسلم الأمور البشرية كلها للفوضى

٠٠ ولن يكون ثمة مهرب ٠٠ ولشانجرى لا ان تأمل فى أن تكون هى وحدها المهرب والملاذ ٠٠ ان الطائرات التى تحمل الدمار الى المدن الكبرى ، لن تمر بطريقنا ، ولن ترى هذا الجزء من الدنيا أهلا لقنبلة واحدة » !

ولم يتكلم كونواى ٠٠ واستطرد « اللاما » قائلا : « ستصون انت تاريخنا وتضيف اليه ٠٠ ستكرم الغريب وتعلمه قواعد العمر والحكمة ٠٠ ان بصرى يضعف ، ولكنى ارى على البعد الشاسع عالما جديدا يتحرك بين الأطلال ـ فى ضعف ولكن فى أمل ـ يبحث عن كنوزه الضائعة ٠٠ وستكون هذه الكنوز يا بنى هنا ، وراء الجبال ، فى وادى « القمر الازرق » ، تصونها المعجزات كى تبعث نهضة جديدة ٠٠ »

وسكت « اللاما الاكبر » ٠٠ وطال سكوته ٠٠ وتأمله « كونواى » فترة ، ثم تبين ـ وكأنه فى حلم ـ أن « اللاما الاكبر » ٠٠ قد مات !!

ووقف مترددا على عتبة الردهة المظلمة ٠٠ وفى غمرة السكون الساجى ، أحس بانه ٠٠ سيد (شانجرى لا) !٠٠ ووقف طويلا يمد بصره فى الظلام ٠٠ ثم سار متعثرا الى ساحة الدير ٠٠ وكان القمر بدرا ، وراء قمة (كاراكال) ٠٠ وما لبث ان فطن الى « مالينسون » يمسك بذراعه ، ويقوده فى عجلة ، وهو يتكلم فى انفعال

- ١١ -

◆ أخيرا استطاع ان يفهم ان « مالينسون » كان ينبئه بأن الحمالين قد وصلوا ، وانهم قد ضربوا خيامهم عند حافة الجبل ٠٠

وكانا قد استقرا فى الغرفة التى اعتادوا أن يتناولوا فيها الطعام ، وأخذ الشاب يناشد كونواى أن يستيقظ من الذهول الذى كان يرين عليه ، ليفهم أنه قد دبر كل شىء واتفق مع الحمالين ، ودفع لهم الاجر الذى طلبوه مقدما ٠٠ وهتف : « حتى الثياب والمعدات اللازمة للرحلة معدة ٠٠ فهيا ، تحرك ! »

ـ ولكنى ٠٠ لا أفهم ٠٠ من الذى رسم كل هذه الخطط ؟

ـ لو ـ تسن ٠٠ انها مع الحمالين الآن فى انتظارنا ٠٠ فسوف تأتى معنا ٠٠

واذ ذكر اسم « لو ـ تسن » التقى العالمان اللذان كان كونواى تائها بينهما ، واندمجا فى ذهنه ، فصاح : « هراء !٠٠ مستحيل !٠٠ وكيف انبأتك وهى لا تتكلم الانجليزية ؟ »

وانبأه ان الآنسة « برنيكلاو » تفاهمت معها بلغة أهل التبت ٠٠ وان لها أصدقاء فى الصين ستلجأ اليهم ٠

وأخذ الشاب يستحثه ، ولكن كونواى ظل فى تخاذله الحائر ٠٠ ثم لم يلبث ان افضى اليه بكل شىء ٠٠ وبموت « اللاما الاكبر » وبخلافته اياه ٠٠ وهتف « مالينسون » اخيرا :

ـ لست أدرى ماذا اقول ، سوى ٠٠ انك ولابد قد جننت !
ـ اذن فأنت تظننى مجنونا ؟
ـ لست أدرى يا كونواى أى عاقل يصدق كل هذا الهراء
ـ اذن فأنت لا تزال متشبثا باننا ما جئنا الى هنا الا بمحض المصادفة ، وبتدبير طيار مجنون وضع خططه بحذق ليفر آلاف الأميال بطائرة ٠٠ لمجرد ارضاء نزوة ؟٠٠ لقد كان من الصعب على أن اصدق ـ مثلك ـ فى البداية ، ولكن ، فكر فى كل الغرائب التى رأتها عيناك ٠٠ واد تائه فى وسط جبال لم يرتدها أحد ٠٠ ودير ، ومكتبة مليئة بالكتب الاوربية ٠٠٠
ـ وجهاز للتدفئة ، وشاى بعد الظهر ٠٠ صحيح ، كل هذا لغز غامض ، ولكن ٠٠ اسمع يا كونواى ، لقد أثر هذا المكان فى أعصابك ٠٠

ـ لست أرغب فى العودة ٠٠
وأعيت الشاب الحيل فى اقناعه ، وفى حمله على الرجوع عن قراره ٠٠ فلما عجز قال له : « اذن ، فوداعا » ٠٠

وتصافحا ٠٠ وانصرف « مالينسون »
وجلس كونواى وحيدا فى ضوء المصباح الخافت ٠٠ واستغرق فى التفكير طويلا ، ثم نظر الى ساعته ، فاذا بها تشير الى التاسعة الا عشر دقائق ٠٠ وكان يدخن آخر سجائره حين عاد « مالينسون » الى الغرفة ، ووقف فى الظلام ، وكأنه يستجمع حواسه !٠٠ وتكلم كونواى اخيرا يسأله عما دفعه الى العودة ، فتقدم الشاب وخلع الفراء الذى يلبسه ، فاذا وجهه مربد ، وجسده يرتعش ٠٠ وهتف أخيرا فى صوت باك : « لم اقو ٠٠ لقد بلغت حافة الجبل ، ولكننى لم أجسر على المضى ٠٠ اننى اخشى المرتفعات ٠٠ ثم ان ضوء القمر رهيب ٠٠ ان هذا المكان يستحق ان يدمر ٠٠ مجموعة من الكهول يكمنون هنا كالعناكب فى ارتقاب اى قادم يقترب ٠٠ من ذا الذى يريد ان يعيش الى مثل عمرهم ؟٠٠ أواه ، لم لا تأتى معى يا كونواى ؟ ٠٠ اننى أكره أن أتوسل اليك من أجل نفسى ، ولكنى شاب ، ولقد كنا صديقين حميمين ٠٠ أليس لحياتى قيمة لديك ، قدر ما لتلك الاكاذيب التى أفضى اليك بها هؤلاء الاشخاص ؟ ٠٠ و «لو ـ تسن» ٠٠ الا اعتبار لها عندك ٠٠ انها شابة ٠٠ » ؟!
ـ لقد جاءت هنا فى سنة ١٨٨٤ ٠٠ ان جمالها تحت رحمة اولئك الذين لا يعرفون كيف يقدرون قيمته ٠٠ انها مخلوقة ضعيفة لا يمكن ان تعيش الا حيث يسود الضعف ، ولو أخذتها بعيدا عن الوادى ، لخبت وانطفأت !
فأرسل « مالينسون » ضحكة خشنة وقال : « لست اخشى هذا ٠٠ اى دليل لديك على ما تقول؟٠٠ألم يخطر ببالك ان مثل هذه القصة تحتاج الى ما يعززها؟٠٠



من الحماقة أن ٠٠ ولكن، لست أفهمك ٠٠ وان كنت أود ٠٠ أليس بوسعك أن تساعدني يا كونواى ؟ »

وساد صمت طويل ، ثم قال كونواى: « هناك سؤال واحد ٠٠ أتسمح لى به ، وان كان شخصيا ؟ ٠٠ هل تحب لو - تسن ؟ »

وانحسر شحوب الشاب أمام حمرة الخجل ، وقال : « أجل ٠٠ ستقول ان هذا عبث ، ولكنى لا أقوى على مغالبة مشاعرى »

- لا ٠٠ ليس عبثا ٠٠ ولكنك وهذه الفتاة كل من أحفل بهم فى الدنيا !

وسار الى الشرفة وأخذ يتأمل الهالة الباهرة التى كانت تتوج (كاراكال) ٠٠ كان القمر يمخر عباب سماء هادئة صافية ٠٠ وخيل اليه انه فى حلم ينقشع - ككل الاشياء الجميلة - عندما يمس أول أطراف الحقيقة والواقع ٠٠ ولم يدر أكان مجنونا ثم ارتد اليه عقله ، أو كان عاقلا ثم أصابه الجنون ٠٠ ولكنه حين تحول عن الشرفة ، كان رجلا آخر ٠٠

وصرخ مالينسون فرحا !

وكانت مغادرة الدير سهلة الى درجة مدهشة ٠٠ كانت رحيلا ، لا فرارا ٠٠ فلم يصادفا حائلا أو عقبة ٠٠ ما كان أغرب أن ينتهى جدالهما الى هذه النهاية ، وان يقدم على نبذ هذا المأوى السرى الأمين ، شخص ألفى فى رحابه الهناء !٠٠ وبلغا منعطفا فى الطريق ، فوقفا يلقيان نظرة أخيرة على (شانجرى لا) ٠٠ وابتسم كونواى ٠٠ كان هائما بين عالمين ، ولا بد له من أن يظل هائما ٠٠ ولكنه فى هذه اللحظة أحس بأنه أحب « مالينسون » ، وانه يجب أن يساعده ، وان قضى عليه بأن يفر من الحكمة ليكون ٠٠ بطلا !

وكان عليهما ان يجتازا هوة غائرة ، فأحس « مالينسون » بالخوف ، ولكن كونواى ربطه اليه بحبل على طريقة رواد الجبال ، حتى اذا نجحا فى عبورها ، قال الشاب : « يجب أن أعترف يا كونواى بأن هذا كرم منك ٠٠ ليس بوسعى أن أصف لك غبطتى ٠٠ اننى مغتبط ، لا من أجل نفسى فحسب ، وانما ٠٠ من أجلك أيضا ٠٠ من الرائع ان اراك تعود الى نفسك »

وكانت « لو - تسن » فى انتظارهما ٠٠ وخيل لكونواى أنها لم تبد أجمل

مما كانت اذ ذاك ، وهى تمنحه ابتسامة من أفتن الابتسامات ، ولكن عينيهـا كانتا عالقتين بالشاب !

★ ★ ★

◆في (دلهى) ، التقيت برذرفورد ثانية ·· وعرفت منه انه بحث فى طول الصين وعرضها عن كونواى دون ان يهتدى الى اثر له !·· واقسم لى ان كل ما ذكـره فى الأوراق التى أعطانيها كان على لسان كونواى ، لم يضف اليه كلمة واحدة من عنده ·· ولقد تحقق من ان ثمة مناطق فى (التبت) لم ترتد أبدا ، اذ أن أحدا لم يهتد الى المنافذ التى تحتويها جبالها

وسألته عن « مالينسون » وهل حاول ان يتبين ما جرى له وللفتاة الصينية ، فقال : « بالطبع · ولكن اسوأ ما فى الامر ، كما قد تكون تبينت من الأوراق ، ان كونواى ختم قصته عند مبارحة الوادى مع الحمالين ·· ولم يحدثنى ـ او لم يشأ ان يحدثنى ـ عما وقع بعد ذلك · وقد لا يقدر لنا ان نعرف ·· على ان من المؤكد ـ الى حد كبير ـ ان « مالينسون » لم يصل الى الصين ··

وأمسك عن الكلام كما لو كان يرتقب تعقيبا ، ثم استطرد :

ـ بقيت نقطة يجب ان اذكرها ، ولعلها أغربها جميعـا ·· فقد عدت أسأل واتحرى لدى البعثة التى وجدت كونواى فى مستشفاها ، اذ خطر لى ان ادقق فى معرفة كيف وصل كونواى ·· هل تقدم بنفسه ، أو انه وجد مريضا ، وحمله شخص ما الى المستشفى ·· ولم تستطع الراهبات ان يتذكرن، ولكن احداهن قالت فجأة ، وقد اوشكت ان ايأس : « **أظن الطبيب ذكر ان امرأة أحضرته** » ·· وكان الطبيب قد نقل الى مستشفى اكبر فى (شنغهاى) ·· فتجشمت عناء الذهاب اليه ·· وكان هذا فى اعقاب غارة جوية يابانية شديدة ·· وتلقانى الرجل فى احترام، وقال انه يذكر الرجل الانجليزى الذى كان فاقد الذاكرة ، **وان من الصحيح ان امرأة أحضرته الى المستشفى ·· امرأة صينية ·**

فلما سألته عما يتذكره عنها ، قال انه لا يذكر شيئا سوى انها كانت صريعة الحمى ٠٠ وانها ماتت فى الحال ، تقريبا !٠٠ ولم أستطع ان امضى فى الحديث ، اذ وصلت دفعة من ضحايا الغارة، فازدحمت ردهات المستشفى ٠٠ ولم أحاول ان اشـغل وقت الرجل ، لا سيما وان قصف المدافع نبهنى الى ان عملا مرهقـا لا يزال فى انتظاره ٠٠ فلما هممت ان اودعه ، سألته سـؤالا أخيرا عن المرأة الصينية ٠٠ هل كانت شابة ؟

ونفض « رذرفورد » رماد سيجاره فى انفعال ، ثم استأنف الحديث :

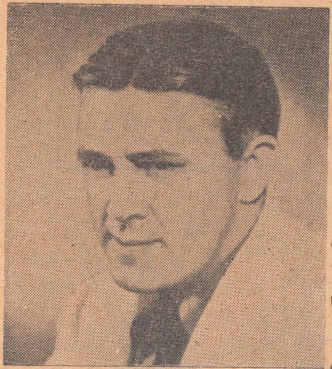
ــ وتطلع الى الطبيب الشاب لحظـة فى وجوم ، ثم أجاب بتلك اللهجة الانجليزية المهذبة التى تسمعها من الصينيين المتعلمين :

« اوه ، لا ٠٠ كانت جد طاعنة فى السن ٠٠ اكثر من رأيت فى حياتى كهولة ! »

المؤلف (١٩٠٠ ــ ١٩٥٥)

◆ هذه هى القصة التى رفعت مؤلفها من كاتب ناشىء مغمور ، الى أديب من ادباء الصف الأول فى انجلترا ، بل فى العالم الناطق بالانجليزية فى شتى قارات الأرض ٠ وقد كان « جيمس هيلتون » فى الثالثة والثلاثين يوم كتبها ــ عام ١٩٣٣ ــ فلم تكد تنشر حتى تهافت النقاد على تقريظها والاشادة بها ، ثم منحت فى نفس العام جائزة هوثورندن للقصـة الطويلة ، فنفدت طبعاتها المتوالية وبيعت منها ملايين النسخ ٠٠ ثم لم تلبث ان مثلت فى فيلم سينمائى اضطلع ببطولته يومئذ الممثل القدير « رونالد كولمان » ٠٠

والقصة كما ترى من اللون الرمزى أو المجازى ، وقد أراد المؤلف ان يتخذ منها اداة للمقارنة بين حضارة الغرب « المادية » ، وحضارة الشرق « الروحية » ، فتوسل الى ذلك بنقل أبطال قصته من « مناطق نفوذ » كلا النقيضين ــ الشرق والغرب ــ ودبر لهم لقاء فى تلك البقعة النائية المنعزلة عن الحضارتين ٠٠ وفى ذلك الجو الذى يسوده الهدوء الشامل ، والبعد السحيق عن كل مدنية ، غربية أو شرقية ، والارتفاع الشاهق عن الدنيا ودناياها ٠٠ فى ذلك الجو المجرد من شتى المؤثرات ، أجرى « مبارزته » الشائقة بين شخصيات الطرفين ، وتقاليد العالمين ، وذرى مع الرياح الاربع كل القيم المتعارف عليها لهذا العالم الوضيع :



فسخر من التكالب على جمع المال ٠٠ والتنافس على المناصب ٠٠ والتفانى فى عبادة الجسد وتوفير أسباب متعته ورفاهيته !٠٠ وعالج ذلك كله بأسلوب أخاذ يمسك عليك أنفاسك بحرارته ، و «اخلاصه» ، وتحليقه الى أسمى مجالات التفكير ، وتغلغله الى أعمق أعماق النفس البشرية ٠٠ كل ذلك فى رقة ، وعذوبة ، وبعد عن العنف ، وهى السمات التى تميز بها « جيمس هيلتون » فى كل مؤلفاته على وجه العموم ، برغم الاختلاف الهائل بين موضوعاتها ٠٠

وعلى ذكر هذه المؤلفات الاخرى ، يغلب على ظنى انك قدعشت فى جو واحد منها أو أكثر ، على الستار الفضى ، فقد مثلت جميعها فى أفلام سينمائية عالمية، ظفرت بمثل النجاح الذى ظفرت به القصص المطبوعة ذاتها ، وجند لها أشهر ممثلى هوليوود : فاضطلعت « مارلين ديتريش » ببطولة « فارس بغير درع » ٠٠ و « روبرت دونات » ببطولة « وداعا يا مستر تشيبس » - الذى يصور فى براعة منقطعة النظير ، وبلمسات انسانية ترهف الحس ، حياة مدرس رقيق الحال ، بسيط النفس ، مخلص لرسالته ، محب لتلاميذه ٠٠ كما تصور عواطفه وخلجات نفسه حين تتقدم به السن ، فينسحب من الحياة العامة الى ضباب الشيخوخة والنسيان !

أما قصة المؤلف الرابعة التى مثلت وعرضت على شاشة السينما فهى «حصاد المصادفة» RANDON HARVEST ، التى اسند دور البطولة فيها الى « رونالد كولمان » أيضا - بطل فيلم « الافق المفقود » - ومثل فيها شخصية الرجل الذى أصيب بفقد ذاكرته ، نتيجة حادث ، فعاش منقطع الصلة بماضيه الطويل وشخصيته الاولى ! - (وقد « مصرت » فكرة القصة على اثر عرض الفيلم المذكور ونسج على منوالها موضوع الفيلم المصرى الغنائى « الماضى المجهول »)

٠٠ ولو كان الأجل قد امتد بهذا المؤلف ذى الخيال الخصب ، لأنتج لنا روائع أخرى من مؤلفاته ٠٠ لكن أجله وافاه ، لسوء حظ الأدب ، منذ أشهر معدودة ٠٠ فرحل فى بداية سنة ١٩٥٥ من هذا العالم ، قبل أن يتحقق حلم « أفقه المفقود » !

الخالدون



عظماء .. في غير السياسة

عزيزى القارىء ..

فى الأعداد السابقة قدمت لك فى هذا الباب على التوالى قصص حياة : « ديفاليرا » .. و « غاريبالدى » .. و « لويس باستير » .. و « أميل زولا » .. و «ماركونى» .. و «تشايكوفسكى» .. « فمصطفى كمال » .. ثم «شوبان» .. و « جى دى موباسان » و «مختار» و « تشارلس ديكنز » و « بيتهوفن » و « موسولينى » و « شيللى » و «بلزاك» و «بودلير» و «دستويفسكى» و «موليير» وأخيرا «كونفوشيوس» و «جيته» وبوذا .. وهم أولئك العظماء فى السياسة ، والطب ، والأدب ، والاختـراع ، والموسيقى .. والفنون .. الخ

واليوم أقدم لك فيما يلى حياة أشهر كاتب ظهر فى فرنسا : « الكسندر ديماس » الأب !

وفى الأعداد التالية اعرفك باذن الله بهؤلاء الذين تشتاق الى معرفتهم منذ بعيد : لورد بيرون ، براوننج ، شوبرت .. فولتير ، شوبنهاور ، نيتشة ، أرسطو .. داروين ، اينشتين .. شكسبير ، أديسون ، فورد .. والتر سكوت ، كولمبوس ، الاسكندر المقدونى ، بطرس الأكبر ، فردريك ، بسمارك .. مايكل انجلو ، رفاييل ، ليوناردو دى فنشى ، وغيرهم



أعلام القصة :

الكسندر ديماس

مغامر في قصصه .. مغامر في حياته !

الصبى الذى أراد مبارزة ٠٠ «الله» !!

◆ من منا لم يقرأ « الفرسان الثلاثة » و « الكونت دى مونت كريستو » وغيرهما من قصص المغامرات الشائقة ؟ ٠٠ ومن منا لا تتوق نفسه الى معرفة طرف من حياة خالق هذه الروايات ، الذى يلمع اسمه فى ذاكرة كل صبى ، وشاب وشيخ : ألكسندر ديماس ؟

كان فى الرابعة من عمره حين مات والده ٠٠ فلما خرجت أمه من غرفة الموت ، رأت الطفل يصعد السلالم الى سطح المنزل وهو يجر وراءه بندقية ثقيلة :

– الى أين أنت ذاهب يا بنى ؟

– ذاهب الى السماء !

– الى السماء ؟ ٠٠ لماذا ؟

– كى ابارز « الله » الذى قتل أبى !!

وهكذا – كما فى الفرسان الثلاثة – كان « الكسندر » منذ طفولته الباكرة محاربا متهورا ضد القوى المنيعة التى لا تغلب !

جدته ٠٠ زنجية !

◆ **ولد** من سلالة اشتهر رجالها بشغفهم بالحروب والمغامرات ٠٠ حتى لقد تناسى جده « داقى دى لابايترى » ارستقراطيته الموروثة ، وأطاع الحنين الذى يسرى فى دمه الى حياة المغامرة فأقلع بسفينة صغيرة من أحد موانىء مقاطعة (نورماندى) متجها الى جزيرة (سان دومينجو) ٠٠ حيث عاش أشبه ب «امبراطور» على الزنوج ، تحيط به رعية من العبيد السود ، كانت منهم « لويز ديماس » التى أنجبت له ابنا « مولدا » سماه أبوه « توماس ألكسندر »

وورث توماس طباع أبيه « الفوارة » فبادره حين بلغ أشده :

– أريد أن أتطوع فى الجيش ٠٠

– حسنا ٠٠ ولكن يجب أن تسجل نفسك فيه باسم أمك ، فانه يشيننى أن يحمل جندى مولد اسمى النبيل !!

وهكذا انضم توماس الكسندر الى الجيش الفرنسى فى سنة ١٧٩٣ باسم « ديماس » ٠٠ وخلال سبعة أعوام ارتقى من جندى بسيط الى « جنرال » ! كان هذا « المولد » الارستقراطى ذو البشرة السمراء والشعر الكستنائى محاربا شجاعا ، ذكيا ، رقيقا ، محبوبا من الجميع ٠٠ اجتاح مرة جبال « البيرينيز » وأسر ألفين من جنود الأعداء ٠٠ ودافع بمفرده عن قنطرة ضد فرقة من النمسويين ٠٠ وكان يحارب دائما فى الصفوف الامامية من فرقته ٠٠ وذات مرة أغمى عليه بعد انتهاء المعركة ، فسأله أركان حربه فى انزعاج وهو يفيق من اغمائه :

– هل جرحت يا سيدى الجنرال ؟

– كلا ٠٠ بل قتلت كثيرين ٠٠ كثيرين جدا !

وحارب تحت قيادة نابليون كجمهورى ثائر ٠٠ وظل جمهوريا ثائرا حين صار نابليون امبراطورا طاغية ، فطرد من الجيش ملطخا بهذا العار !

وكان قد تزوج ، ورزق طفلا عملاقا وزنه تسعة أرطال وطوله ثمانية عشر بوصة ! ٠٠ ولحسن حظه جاء الطفل أبيض اللون ، ذا بشرة وردية وشعر فاتح وعينين زرقاوين ٠ ولم يكن فيه من سمات الزنوج والمولدين غير اكتناز شفتيه ! ٠٠ **ونشأ « الكسندر » منذ طفولته الباكرة قوى البنية والعقل والروح المعنوية ، ميالا الى التمرد ٠٠ حتى لقد قال يوما : « ان ذلك الرجل الشرير «نابليون» قد لوث شرف أبى ٠٠ ولسوف أحارب الرجال الاشرار طيلة حياتى ! »**

الغلام المتمرد ٠٠

• **وشب** الصبى كارها للمدرسة والتعليم ، فحاولت أمه تعليمه الموسيقى ، لكنه كان يكره الموسيقى أيضا ٠ وأخيرا فكرت فى أن توجهه الى تعلم الدين ليصير من رجاله ، فلما عرف نيتها هرب من البيت وظل مختفيا فى الغابات عدة أيام ! ٠٠

واذ ذاك يئست الام من مستقبل ابنها وقالت : « **انه لن يصلح الا ناسخا ، فان خطه جميل ٠٠ وان كان أغبى غبى يستطيع أن يكون كذلك » !**

لكن الكسندر كان أبعد ما يكون عن الغباء ٠٠ كان قوى الملاحظة ، ذا عين نافذة البصر ، وعقل راجح ، وقلب يعطف على الانسانية جمعاء ٠ ورغم كراهيته للدرس والتحصيل ، كان شغوفا بتتبع الاحداث الجارية ، وكانت تلك الحقبة من تاريخ فرنسا حافلة بالاحداث المثيرة ! ٠٠ ففى يونية سنة ١٨١٥ لمح الغلام ـ وكان فى الثالثة عشرة ـ عربة مقفلة تنهب الطريق الرئيسية فى بلدة (فيركوتريه) ، واستطاع أن يميز وراء الستار صورة جانبية لوجه رجل حازم القسمات، حاد النظرات، فهتف قائلا : « انه نابليون فى طريقه الى ووترلو » ٠٠ وبعد أيام رأى العربة ذاتها تنهب الطريق نفسها فى الاتجاه المضاد ، وخلف الستار نفس الوجه متهالكا على الوسادة ، محطما ٠٠ **فقال الغلام الذكى : « انه نابليون ٠٠ هاربا من ووترلو ٠٠ » !**

وعلى اثر هزيمة نابليون حاولت أم ألكسندر أن تسترد ثروتها ومكانتها ، فخيرت ابنها بين أن يتخذ لنفسه اسم جده الارستقراطى القديم « دى لابايترى » أو أن يحتفظ باسم « ديماس » المجهول المتواضع ، فصاح المتمرد الصغير :

ـ سوف أظل دائما « الكسندر ديماس » !

ولكن كيف يكسب الكسندر ديماس ـ حفيد العبد الزنجى ـ ما يقيم أوده هو وأمه ؟ ٠٠ لم يجد وسيلة غير تنفيذ فكرة أمه القديمة : استغلال خطه الجميل المنسق فى أعمال النسخ ، فالتحق كناسخ بمكتب الاستاذ « جينيسون » موثق العقود ، وصديق العائلة !

ناسخ ٠٠ و «دون جوان» ٠٠ وكاتب مثابر !

◆ **وفى** المكتب المذكور صار الغلام يقرأ أكثر مما يكتب ، رغم استياء صاحب العمل ، فقرأ مؤلفات فولتير وغيره من كتاب

الثورة .. ثم لم يلبث أن تنبه الى اغراء قوامه الفارع وابتسامته الجذابة ـ وكان قد بلغ السادسة عشرة ـ فوجه همه الى ايقاع فتاة تدعى « اديل دالفان » فى شباك غرامه .. فلما نجحت مغامرته بسهولة وبساطة ، بدأ يستغل «موهبته» الجديدة على نطاق واسع ، فلم يلبث أن صار « دون جوان » البلدة !

ثم اتسعت مطامعه .. لم يضيع مؤهلاته فى بلدة صغيرة مثل (فيير كوتريه) .. لم لا يذهب الى باريس ؟

ولكن كيف ؟.. ان أمه فقيرة ، وايراده من عمله أضأل من أن يكفى لرحلة الى باريس !.. لكن عزيمة الكسندر لم تكن تعترف بالصعاب ، فصار يستغل ساعات فراغه فى اتقان لعبة « البلياردو » حتى برع فيها . وذات مساء تحدى رواد الحانة التى يلعب فيها أن ينازلوه فى اللعبة . وعاد الى البيت فى تلك الليلة وفى جيبه نفقات السفر الى العاصمة !

ولم يكد يصل الى باريس حتى يمم وجهه شطر (المسرح الفرنسى) ، ثم دلف الى غرفة الممثل التراجيدى الشهير ـ فى ذلك الوقت ـ « تالما » ، اذ لم تكن ثمة عقبة تقف أمام هذا « الصاروخ » البشرى الخاطف ! .. وسر الممثل الشيخ بروح الفتى المغامر فسأله متلطفا :

ـ ما هو عملك يا صديقى ؟

ـ فى الوقت الحاضر أنا ناسخ عند موثق عقود ، يا سيدى .. لكننى أريد أن أكون كاتبا !

ـ ولم لا ؟ .. ان «كورنى» المؤلف المسرحى العظيم كان أيضا فى شبابه يعمل فى مكتب موثق عقود !

ـ شكرا يا سيدى .. ثم ، هل تتكرم بلمس جبهتى .. كى تجلب لى الحظ ؟

فضحك الممثل وأجاب وهو يضع كفه على جبهة الشاب :

ـ بكل سرور .. ها أنا أعمدك شاعرا باسم شكسبير وكورنى وشيللر !



وكان الممثل هازلا فى ضميره أكثر منه جادا بالطبع . لكن الأمر بالنسبة لديماس لم يكن هزلا .. « رباه .. شاعر باسم شكسبير وكورنى وشيللر ؟ ولم لا ؟ .. سوف أحقق النبوءة .. وسوف أثبتها لتالما وللعالم أجمع .. منذ هذه اللحظة ! »

ولم يكد يصل الى البيت حتى تناول الورق وشرع يقتبس مسرحية من رواية « والتر سكوت » الخالدة « ايفانهو » !

وحين أتمها طاف بها على الناشرين فلم يقبلها أحد . وأصاب المصير نفسه مسرحيته الثانية ، ثم الثالثة .. **ورغم هذا لم يتطرق الى قلبه اليأس فاستمر ينتج ، ويؤمل ، وينجب من صديقاته أطفالا غير شرعيين ! ويؤلف قصصا ومسرحيات ، محاولا أن يفرض مواهبه على سمع الناس وبصرهم فرضا ، وينتصر على عناد القراء والناشرين !** وحيثما كان ناشر أو صاحب صحيفة يرفض مقابلته ، كان يلتفت الى سكرتيرته ويقول : « شكرا يا مدموازيل .. ولكن همتى لا تثبط بسهولة .. سوف آتى مرة أخرى .. » !

شهامة ملك المسرح الباريسى !

• **وأخيرا** ، انتصر ، بفضل الحاحه الباسم ومثابرته المؤدبة .. فقبلت احدى مسرحياته المسماة « الملكة كريستينا » لتمثل على المسرح الفرنسى . **واختير الممثلون ، وبدأت البروفات ، وابتسم الحظ والمجد للمؤلف الشاب .. لكنه أضاع فرصته بيده فجأة ، حين سحب روايته ، كى يفسح المجال أمام مؤلف**

عجوز كان قد قضى حياته كلها فى محاولات فاشلة ، فى سبيل الظفر بتمثيل رواية من رواياته على المسرح ٠٠ وكان قد ألف آخر مسرحية يدور موضوعها حول حياة الملكة كريستيا أيضا ٠٠ فأشفق عليه ديماس وقال : « فلينعم الرجل بتحقيق حلمه مرة قبل أن يذهب الى القبر ٠٠ » ! ٠٠ وسحب روايته هو !

وشرع ديماس على الفور فى وضع مسرحية جديدة عن « هنرى الثالث » ، وعثر على مخرج لها ، فبات يترقب الليلة الأولى لتمثيلها بصبر نافد ٠ وفى ليلة ١١ فبراير سنة ١٨٢٨ أعد المؤلف ثياب السهرة مقدما ، وبدأ يرتديها فى الموعد المحدد كى لا يفوته من حفلة الافتتاح شىء ! ٠٠ وارتدى فعلا بنطلونه وقميصه وحذاءه ٠٠ وفجأة اكتشف أنه قد نسى أن يشترى الياقة المنشاة ، فاختطف مقصا وقص لنفسه ياقة من الورق المقوى ، ثم هرع الى المسرح ، وأطل من خلف الستار على الصالة فوجدها مكتظة بالنظارة ٠٠ **وظفرت الرواية بنجاح هائل ٠٠ ولم يكد يسدل الستار على الفصل الأخير منها ، حتى هزت المسرح عاصفة من التصفيق الشديد ، تحولت الى نوبة جنونية حين ظهر المؤلف الشاب فى مقصورته « برأسه المرفوع الى أعلى حتى لتكاد خصلة شعره الثائرة أن تشتعل بالنار من لمس النجوم » ٠٠ وهكذا صار الفتى « المولد » بياقته المصنوعة من الورق المقوى « ملك المسرح الباريسى » !!**

وتربع ديماس على عرش مملكته كأنما قد ولد ملكا ٠٠ فصار يوزع الابتسامات ، ويتقبل التحيات ، ويستنشق عبير النجاح فى جلال ومهابة الملوك !

وتتابعت المسرحيات ، والانتصارات ، ومن ثم ٠٠ العشيقات!

المحارب الثائر !

◆ ثم أتيحت له مغامرة من نوع جديد ٠٠

كان « شارل العاشر » قد أصدر لائحة تحد من حرية الصحافة

أثارت ثائرة المثقفين فى باريس ، وانضم ديماس الى الثائرين المسلحين . ولكن الثورة تمخضت عن خيبة أمل .. فان الثوار لم ينجحوا الا فى استبدال حاكم أسوأ بحاكم سيئ..فزهد ديماس فى السياسة ، وآثر العودة الى الميدان الآخر الذى نجح فيه : ميدان الادب .. فكتب مسرحية « انطونى » التى يدور موضوعها حول الثلاثى الخالد : امرأة ورجلين !.. **فهتفت باريس كلها لحبكتها ومواقفها « المكشوفة » التى تعالج الرذيلة بصراحة تامة .. وبلغت الحماسة بالمتفرجات فى الليلة الاولى حد تمزيق سترة المؤلف ، تحية واعجابا .. وهن يتهامسن : « أواه .. ياله من شاب جرئ رائع ! »**

واستمر « المولد » الجرئ الرائع ، ذو السترة الزاهية والاسنان البراقة ، يدور فى ساقية الاقدار التى لاتدوم على حال .. يوم له ويوم عليه !.. يوم تظفر رواية له بالنجاح ، ويوم يولد له طفل ، ويوم يهجر عشيقته ، ويوم يصاب بالكوليرا وينجو منها !.. ثم رواية أخرى ناجحة ، ثم اشتراك فى ثورة أخرى فاشلة ، ثم فرار الى سويسرا للنجاة من أمر بالقبض عليه باعتباره « جمهوريا خطرا » .. **ثم نزوة طارئة توحى اليه بأن يصير من رجال الدين : « ولم لا ؟.. لقد خلقت مسرحا جديدا ، فلم لا أؤسس نظاما دينيا جديدا ؟»!!**

لكنه نبذ الفكرة بالسرعة نفسها التى اعتنقها بها .. فقد كانت طبيعته البركانية أحد من أن تطيق عزلة الدير ، وملذات الدنيا أمتع من أن يستبدل بها وعود الآخرة !.. **ففضل أن يظل دنيويا وثنيا .. وأن يدفع الثمن !**

وظل وثنيا مستهترا الى آخر حياته .. يسامر الرجال ، ويغوى زوجاتهم ، ويكتب مسرحياته ، ويستمتع بالمجد ، ويواجه فشله وانتصاراته بعدم مبالاة .. فيتلقى ثناء النقاد بهزة من الكتف ، وانتقاداتهم واهاناتهم .. بابتسامة !

الطير .. فى القفص !

• **وفى** ٦ فبراير سنة ١٨٣٢ ظهرت فتاة موهوبة من (مونبارناس) تدعى « ايدا فيرييه » لاول مرة على خشبة المسرح ، فى رواية ديماس المسماة « تيريز » .. فلما أسدلت الستار ، ارتمت الممثلة فى أحضان المؤلف تهتف فى جذل : « مسيو ديماس ، لقد كنت سبب شهرتى فكيف أرد لك الجميل ؟ »

فأجابها وهو يبتسم لها ابتسامته الخلابة : « هذا أمر سهل للغاية ! »

وظلت « ترد له جميله » سنوات ! .. وذات يوم فوجىء أصدقاؤهما بزواجهما . واستكان ديماس لحياة البيت والأسرة، ولكن الاغلال اتسعت حول رقبته القوية ، فصار يتحرر منها أحيانا كى يقوم بمغامرات غرامية فى الخارج ! .. **وسمح لزوجته ان تبحث عن مغامراتها الخاصة فى داخل البيت ، فقد كان شعاره : « عش ودع غيرك يعيش » !!**

وهكذا عاش يبحث دائما عن ملذات جديدة ، وغراميات جديدة ، وهتافات جديدة من الجماهير .. لكنه بدأ يمل نجاحه كمؤلف للمسرح ، وكانت نيران الثورات قد أخمدت فى شتى البلاد ، فكان لا بد لنشاطه الخارق أن يجد لنفسه متنفسا جديدا .. ولكن أين ؟ .. وكيف ؟

واهتدى الى الميدان الجديد .. فكر أن يطرق باب تأليف القصص ذات المغامرات التاريخية .. انه سوف يبعث الماضى الميت الى الحياة مرة أخرى .. واذا كان «والتر سكوت» ملك المغامرات القصصية قد مات ، فليحى الملك الجديد « الكسندر ديماس » !

وعكف على روايته الأولى « الفرسان الثلاثة » يخلق وقائعها الشائقة ويمزج فيها التاريخ بالغرام مزجا رائعا ، مستعينا على تحقيق الوقائع التاريخية وتحرى حقائقها بشاب موهوب

تخصص فى الدراسات التاريخية يدعى « أوجست ماكيه » ٠٠ وكان مبدأ ديماس فى أبحاثه أن يتحرى الدقة فى احداث التاريخ الهامة دون وقائعه التافهة ٠٠ **واستباح « العدوان على حرمة التاريخ بشرط أن ينجب منه طفلا » ٠٠ على حد تعبيره !**

لا يتعب من التأليف ٠٠ والضيافة !

◆ **وظل** يعمل فى روايته بلا ملل أو تعب ، من السابعة صباحا الى السابعة مساء ٠٠ مرتديا قميصا مفتوحا عند الرقبة، والى جواره صينية عليها طعام الغداء ، الذى كان ينشغل عنه أحيانا فلا يمسه !٠٠ وحين يدخل عليه زائر يكتفى بتحيته بيده اليسرى بينما يده اليمنى ماضية فى الكتابة !

وكان دائما يكتب وهو حاضر الذهن ، فيسامر شخصيات روايته ، ويعيش معهم ، ويحدثهم ، ويضحك معهم !٠٠ ودخل مرة زائر انجليزى ، فلما سمع ضحكة طويلة صادرة من غرفة المؤلف قال لخادمه معتذرا : « سوف أنتظر حتى يخرج الزائر الذى يجلس مع سيدك » !٠٠ فأجابه الخادم : « ولكن سيدى بمفرده ٠٠ انه فقط يستمتع بنكتة لطيفة سمعها من احدى شخصيات روايته ! »

ورغم انشغاله طيلة النهار بالتأليف ، كان فى الليل يجالس أصدقاءه وصديقاته بنفس منتعشة وجسم نشيط ٠٠ وحين سأله بعضهم كيف يحتفظ هكذا بنشاطه بعد يوم شاق يقضيه فى شحذ ذهنه ، أجاب بأن الكتابة بالنسبة اليه ليست شحذ ذهن شاق كما يتصور الناس ٠٠ « **فانى لا أخلق رواياتى ، وانما هى التى تخلق نفسها فى أعماقى** » !

– وكيف ذلك ؟

– لا أعرف ٠٠ سلوا شجرة البرقوق كيف تنتج ثمارها ؟!

والواقع أنه كان يملك موهبة الخلق النادرة الغامضة ، الى جانب موهبة « الصداقة » الاشد ندرة وغموضا !٠٠ كان بيته

وقلبه مفتوحين أبدا للناس ٠٠ وكانت فترة الغداء فى بيته تبدأ فى منتصف الثانية عشرة ، وتنتهى فى منتصف الخامسة !٠٠ فقد كانت مائدته دائما تضم ضيوفا جددا يأتون على غيرانتظار، فيهرع خدمه الى حانوت القصاب يبتاعون منه مزيدا من اللحم ٠٠ وحين كان رب البيت يجد فراغا لمسامرتهم ، كان يتنقل بينهم مرحبا فى بساطة وانشراح ، بالمدعوين منهم والذين أتوا منهم بغير دعوة على السواء !٠٠ **وذات مرة سأله أحد ضيوفه أن يقدمه الى شخص من الحاضرين ، فأجابه معتذرا : «يؤسفنى انى لن أستطيع ذلك ٠٠ فان أحدا لم يقدمه الى حتى الآن ! » ٠٠ فقد كان المضيف لا يعرف ضيفه الطفيلى !**

وكان كرمه أشبه ببئر عميق لا قرار له يلقى فيه بكل ايراده ٠٠ فظل دائما غارقا فى الديون ، وكان المحضر من أكثر زواره انتظاما !٠٠ سأله صديق له فى أحد الايام أن يساهم فى التبرع من أجل دفن أحد الموتى الفقراء ، فأخرج من جيبه خمسة عشر فرنكا وسأل صديقه :

ـ ومن يكون الفقيد المسكين ؟

ـ محضر ٠٠

ـ اذا كان الامر كذلك فخذ خمسة عشر فرنكا أخرى وادفن محضرين !

مع الحرية ٠٠ فى كل مكان !

◆ **وبينما** كان « جيب » ديماس فارغا على الدوام ، كان مجده يرتفع بسرعة وانتظام ٠ وبعد أن كان يخرج من التاريخ قصصا، صار يخلق من القصص تاريخا !٠٠ ومنذ أصدر قصته الخالدة الحية بالشخصيات « الكونت دى مونت كريستو » ـ بمعاونة مساعده ماكيه ـ صار ادلاء مدينة (مرسيليا) يرشدون السياح الى البيوت التى عاش فيها « موريل » و « مرسيدس » ٠٠ والزنزانة التي قضى فيها « ادموند دانت » والأب « فاريا » سنوات طويلة من عمريهما ، فى سجن قصر (ايف) ٠٠ فقد

خلق ديماس من الضباب والبخار مبانى ومساكن صلبة وأشخاص أحياء !

وقد اتهمه أعداؤه بأنه كان يدير « فابريقة » للقصص !٠٠ والحقيقة انه كان يكلف ماكيه ومساعديه الآخرين بجمع الوقائع الجامدة لقصصه ، ثم يتناول الوقائع فينفخ فيها نار الخيال وأنفاس الحياة !٠

وهكذا عاش في غرفة مكتبه حتى مغرب حياته ، أشبه براوية القصص العربى الذى يسهر مع قبيلته تحت سماء الصحراء التى تضيئها النجوم ، كما وصف نفسه !٠٠ لكن كأس نجاحه امتزجت قرب النهاية بشيء من المرارة ٠٠ مرارة الحسد !٠٠ **لكن حسده لم يكن يخلو من فخر ، فان هدفه لم يكن غير ابنه « اسكندر ديماس الابن » ، الذى أصدر فى تلك الأثناء قصته الخالدة «غادة الكاميليا» ، فظفرت بنجاح ورواج فاقا أقصى ما حظى به الأب طيلة حياته ٠ ومنذ ذلك التاريخ، أخذ الأب والابن يتنافسان ، وكلاهما يحاول التفوق على الآخر ، وفى الوقت نفسه ، كلاهما يحب الآخر الى درجة العبادة !٠٠ قال الأب في احدى المرات وهو يمزح : « لقد ربيت ولدا ٠٠ تكشف لى فى النهاية عن أفعى !» ٠٠ ورد الابن التحية قائلا : « وأنا ربيت أبا ٠٠ تكشف لى فى النهاية عن طفل !»**

وقد ظل « الطفل » حتى النهاية شغوفا بالمغامرات، والضحك، والجرأة التى لا تقف فى طريقها عقبة !٠٠ فبالرغم من تقدمه فى السن ، واكتناز جسمه باللحم ، بقى ذهنه ثائرا كالعهد به ، فلم يكن يسمع بثورة تنشب فى مكان حتى يلقى بنفسه فى دوامتها !٠٠ وفى سنة ١٨٤٨ أبدى استعداده لقيادة الحرس الوطنى الى باريس ، لكن الحرس الوطنى رفض أن يتبعه !٠٠ **وفى ١٨٥٩ انضم الى « غاريبالدى » ، ولم يكتف بالتنازل عن ثروته البالغة خمسين ألفا من الفرنكات لقضية تحرير ايطاليا، بل أبدى استعداده للتضحية بحياته فى سبيلها !**



وهكذا ظلت قوته الخارقة ونشاطه العجيب قابلين دائما لان يترجما الى حركة .. من أى نوع . لم يكن يستطيع أن يخلد للراحة . وعند عودته ذات يوم من زيارة ثورية لايطاليا ــ وكان فى سن الثالثة والستين ــ استقبله ابنه فى المحطة ، وكانت الساعة العاشرة مساء ، قائلا فى اشفاق :

ــ لا بد انك تعانى تعبا شديدا من رحلتك يا أبى .. دعنى أصحبك الى البيت ..

ــ كلا .. بل أريد أن أرى « جوتييه » قبل أن أنام

وقاد ابنه من يده الى عربة أوصلتهما الى منزل الصديق القديم فى « نوينى » فوجدا البيت مقفلا ، واذ ذاك رفع الاب عقيرته بالصياح حتى أيقظ جوتييه من نومه

ــ من هناك ؟

ــ دوماس الاب .. ودوماس الابن !

ولم يخرج الاثنان من بيت الصديق الا فى الساعة الرابعة صباحا .. وحين بلغا بيتهما قال الاب لابنه :

ــ أريد أن تأتى لى بمصباح ..

ــ لماذا ؟

ــ عندى عمل يجب أن أنجزه !

وترك الابن أباه جالسا الى مكتبه ومضى هو لينام ! .. **وحين استيقظ بعد الفجر وجد فوق المكتب ثلاثة مقالات كاملة معدة لثلاث مجلات مختلفة .. ورأى أباه أمام المرآة يحلق لحيته وهو يغنى !**

– كيف حالك يا أبتاه ؟
– فى أتم نشاطى يا ابنى
ثم غمز له بعينه، واستطرد : «**اننا نحن الشبان ، لا نتعب سريعا مثلكم ٠٠ أيها الشيوخ !**»

الغرام الاخير !

◆ **وأخيرا** ، حطم «الشاب» قلمه فى سن الثامنة والستين وأخلد للراحة ٠٠ لا لأنه تعب من مغامراته ، بل لأنه كان يبحث عن تجربة جديدة ! ٠٠ وكان قد فرغ من مغامرة غرامية مع ممثلة أمريكية تدعى «ادا منكن» ، وكان غرامها أشبه بعاصفة قصيرة، عنيفة ، مكتسحة ، انتهت بمأساة ، حين سقطت المرأة عن جوادها فماتت لساعتها ٠٠ وعلى اثر ذلك توجه ديماس الى منزل ابنه

– **لقد جئت اليك يا ابنى ٠٠ كى أموت !**

ومنذ تلك اللحظة لاذ بالصمت !٠٠ وكلما كان أصدقاؤه يهزون رؤوسهم فى أسى ويقولون ان ديماس قد انهار وأصابه الانحلال ٠٠ كان ابنه يجيبهم :

– **ان عقلا مثل عقل ابى لا يمكن أن يصاب بالانحلال ٠٠ ولئن رفض أن يكلمنا بلغة الدنيا ، فلأن ذهنه مشغول بتعلم لغة الآخرة ٠٠ لغة الأبدية !**

عزيزى القارىء ...

هذا باب جديد أحسبه قد طاف بخيالك منذ زمن .. ففى كل شهر تخرج المكتبة العربية عشرات من الكتب، لعشرات المؤلفين ، فى شتى الموضوعات .. وأنت حائر لاتدرى أيها تقرأ وأيها تدع - فان وقتك لن يتسع لقراءتها جميعا ولا شك ، ومن العسير عليك ان تعرف ما يوافق ذوقك من المطبوعات من مجرد معرفة اسم الكتاب واسم كاتبه .. بل ان تصفح الكتاب بين يديك فى المكتبة التى تبيعه لن يكفى كى تعرف عنه ماتود معرفته من أبوابه وجزئياته..

لذلك رأيت ان افتح لك فى «كتابى» هذا الباب الذى يقدم اليك - على فترات متفاوتة - ملخصا لأهم كتاب ظهر خلال الفترة المنصرمة ، فى أسلوب يكاد يكون هو أسلوب كاتبه ، وبعبارات أكثرها عباراته ذاتها - أو على حد التعبير الانجليزى **In the author's own words** -كيما تلم المامة وجيزة بالكتاب ، فتقتنيه اذا راقتك مادته ووافقت هواك ، أو تقنع بهذه الخلاصة اذا آثرت عليه كتابا آخر .. وهكذا يستطيع كل قارىء ان يقتنى أقرب الكتب الى ميوله ومزاجه

وسبق أن قدمت لك فى هذا الباب :

ابو نواس : للعقاد

الهوى والشباب : بشارة الخورى

هذا أو الطوفان : خالد محمد خالد

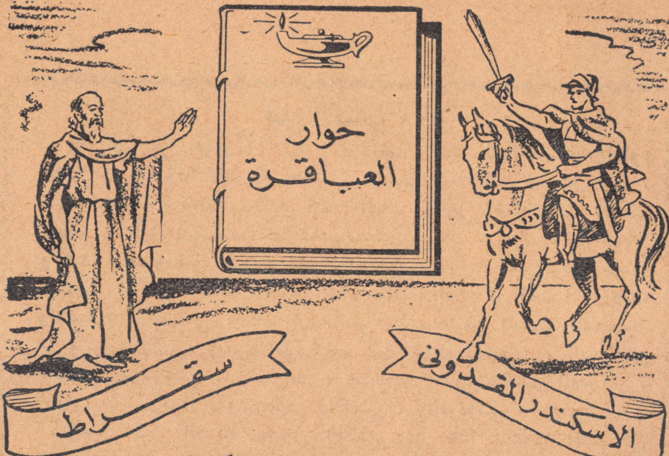
هؤلاء علمونى : سلامة موسى

واليوم اقدملك هذا الكتاب الرائع ، للمفكر الالمانى الكبير « باول ارنست »

نحن فى ركب الأدب



ظهر فى المكتبة العربية







حوار العباقرة!

للمفكر الألماني المعاصر: پاول إرنست

تعريب الأديب العراقي: الدكتور محمد بديع الشريف



هذا الكتاب ..

◆ كان من أهداف (كتابى) دائما ، تبسيط الفلسفة والعلوم الجافة ، وتيسيرها للقارىء بحيث يستسيغها ويهضمها فى غير عناء ، جهد الطاقة .. والكتاب الذى أقدمه اليك فيما يلى وضعه المفكر الالمانى المعاصر « باول ارنست » فى غضون عشر سنوات ـ بين سنتى ١٩١٢ و ١٩٢٢ ـ وأطلق عليه « الحوار المبتدع » ، وقد أجرى فيه حوارا فلسفيا رائعا على ألسنة عدد من أعظم عباقرة العالم فى الفلسفة والادب والاصلاح الاجتماعى ، بعد أن أضفى عليـــه من المسحة القصصية ما يشوق القارىء ويعينه على هضم آراء هؤلاء الخالدين ، الذين من بينهم : هوميروس ، وسقراط ، وديوجين ، والاسكندر المقدونى ، وزرادشت ، وبوذا ، وليوناردو دافنتشى ، والفردوسى .. وغيرهم ..

ويدين قراء العربية بفضل اطلاعهم على هذا الكتاب القيم الى الاديب العراقى « الدكتور محمد بديع الشريف » ، الذى ترجمه الى العربية وأطلق عليه « حوار العباقرة » ، وعن ترجمته أعددت لك هذا التلخيص لبعض فصول الكتاب الشائقة . والدكتور بديع أديب متمكن ، حصل على ليسانس الآداب من جامعة القاهرة ، ثم على الدكتوراه فى التربية والآداب ، والدكتوراه فى الحقوق ، من جامعات سويسرا وألمانيا . وقد شغل من قبل منصب الملحق الثقافى بسفارة العراق فى مصر ، ومنها نقل الى منصبه الحالى كمدير للمعارف العامة ببغداد .. و « كتابى » يحيى فيه ـ نيابة عن قراء العربية ـ الجهد الذى بذله فى تعريب هذا السفر الجامع

القـوة

◆ فى الحوار الاول ، يدور حديث بين شاعر اليونان الذائع الصيت « هوميروس » ، وأحد رعاة الغنم ، يظهر آراء صـــاحب « الالياذة » و « الاوديسا » فى الانسان الكامل ، وفى أن التربية لا تكون بالعنف، وانما بتفهم الميول النفسية !

هوميروس : قبل ستين عاما ، وقفت فى هذا المكان حين كنت حديدى البصر .. أما الآن ، فان تلك المشاهد تمر أمامى مرور الخيال ..

الراعى : ألست شقيا أيها الأعمى ؟

هوميروس : ما أنقص العمى منى شيئا .. فقد رأيت كل شيء استطعت أن أراه ، وحفظت ذلك سالما من المصائب التى ألقتها على الأيام ، بل لقد زاده الحفظ جمالا .. على أن فقدان البصر قد زاد بقية الحواس قوة على قوتها !

الراعى : أتستطيع أن تخبرنى من هو الانسان الكامل ؟

هوميروس : انك ترعى غنمك فوق هذه الأرض المجدبة التى كانت قبلا تنبت أشجار الزيتون ، وتموج بحقـــول القمح ، وحولها بيوت العاملين المجدين .. ومن حول ذلك مساكن الوجهاء ، وقصورالاثرياء ،التى كانتمراتع للهو ،ومواطن للمجد، ثم اقفرت وأجدبت .. غيرت معالمها حرب دامت سنين طوالا ، كان فيها قتل لا يعرف رحمة ولا يرعى ذمة : سلب ونهب وحريق وتدمير ..

الراعى : لو عرفت قصيدة هوميروس ، ماكنتاتهمتذلك العصر المجيد ، فان الآلهة وأولاد الآلهة كانوا يجولون فى هذه البطاح ، ويكافحون لجلب الخير وطرد الشر !

هوميروس : وا أسفاه ، ان هذه الآلهة كانت مزعومة ، وكذلك الأبطال .. انا هوميروس نفسه الذى تخيلهم .. أنظر الى السماء ، فانك لن تجد الا فضاء فارغا ، وانظر الى الشمس فانك لن ترى الا كرة ملتهبة ، ثم مد بصرك الى البحر فلن ترى سوى أمواج متلاطمة .. لقد خلقت لك آلهتك من الماء المتموج ، والهواء الفارغ ، ثم أصبح كل ذلك حقيقة لا غبار عليها فى نظر الناس ، ولو ان ما قيل فى ذلك كانجهالة جهلاء ،وضلالة عمياء !

الراعى : انك أعمى فقير .. ولكن حدثنى عن هذه القوة التى تعيش بها بين الناس !

هوميروس : اذا احتفل أولو الفضل والسعة وأولموا ، جئت القوم فغنيتهم بأمجاد السلف ، وأعمالهم ، وعاداتهم ، فأنتقل بهم الى عالم مملوء بالأعمال المجيدة ، فتنشرح صـــدورهم ،

وتتفتح نفوسهم ، وتدر أيديهم ، فينفحونني الدراهم ،ويقدمون لى الطعام .

الراعى : انها حرفة نافعة ٠٠ وقد لا تعرف أى أثر تترك أغانيك ، وكيف تغير كثيرا من الآراء والعقائد والعادات ٠٠ لقد بحثت كثيرا عن هذا الرجل الذى يمثل هذه القوة التى تعرفها ٠٠ انك تعلم اننى من الدهماء الرعاع ، وان السيد اذا أمر أحدنا بعمل ، قمنا به على أتمه مادام السيد موجودا ، فاذا غاب ، وأردنا أن نهمل ذلك ٠٠ فعلنا !٠٠ ولكن أمثال هذا المغنى هم الذين ينفذون الى قرارة نفوسنا ، ويعرفون أى طريق يسلكون اليها ويلقون فيها بما يريدون ، فيخلبونها ، ونقبل عليهم طائعين ، ونصغى الى تعاليمهم فننجزها بسرور لا مزيد عليه ، ثم يظل ذلك الأثر باقيا حتى بعد مماتهم !

العاقل

◆ كان سقراط من عظماء مفكرى اليونان ، وكان يعلم الناس حقيقة الحياة العملية ، ويلقنهم الفضائل مما يتداولونه فى هذه الحياة ، حتى اتهم بافساد عقائد الفتيان ، وأجبر على تناول السم !٠٠ وكان فى حياته شقيا بزوجته « كسانتيب » ٠٠ التى يبدأ بها هذا الحوار بينه وبين شخص ابتدعه خيال المؤلف وأسماه ألسيبياد !

سقراط : أتعتقد أن سقراط تزوج كسانتيب، ولم تتزوج كسانتيب سقراط ؟٠٠ وماتظن فيها ؟٠٠ هل فكرت فىأمرى حين تزوجتنى ؟

ألسيبياد (ضاحكا) : ظنت انها تزوجت رجلا مجدا ، يكسب رزقه ويحمل اليها الدراهم لتعيش فى ظله مع أولادها ٠٠ أما اليوم ، فهاهى ذى قد أعلمت الناس جميعا انك رجل عاطل ، تقضى نهارك فى حوار ومرح مع الفتيان ، بدلا من أن ٠٠ تعكف

على عملك ٠ وما أراها على حق ، ولكن لها أن تقول انها امرأة فقيرة تريد رجلا يعمل ويكسب ، لارجلا يتفلسف ٠٠

سقراط : لعلها تريد قصابا أو خبازا ٠٠ ألا ترانى على حق حين أقول انها امرأة غبية ، حمقاء !

ألسيبياد : لا ٠٠ لكن لكَ أن تقول : اننى رجل تأمل ، فرأى نفسه محتاجة الى زوج هادئة ، مرحة ، راضية ، اذ فى ظل هذه المرأة يمكن للمرء أن يفكر

وأقبلا على السوق ، فاذا فلاحة عرفت بأنها تربى الدجاج ، وتبيع البيض ، وتفخر بانتاجها !

سقراط : أتدرى بماذا أوحت هذه المرأة الى « ارسطوفان »؟ (شاعر عرف بشعره التمثيلى الهزلى) ٠٠ قال : دعونا نذهب الى دار هذه المرأة ثم نسأل دجاجها لنرى ماذا يقول ٠٠ اننى لا أشك فى انه يقول : « اننا بين يدى امرأة صالحة ، تنثر لنا الشعير المقشور فى وقت محدود عند الصباح وفى الظهيرة ، وتخلطه بحبوب البقول اللذيذة ٠٠ واذا قدمت لنا الماء قدمته عذبا صافيا ، وفى كل عام تطلى بيتنا بالكلس مرة أو مرتين !٠٠ وخلاصة القول اننا راضون عن هذه المرأة ، ولا نريد امرأة كسلى لا تحب النظام ، لاننا ما تعودنا الاهمال والفوضى » !٠٠ هكذا كان ينشد « أرسطوفان » فى شعره ، فكلكم ضحك به ، وسخر منه ، لانه استطاع ان يعبر عن أفكار الدجاج ٠٠



وتبين سقراط أن المرأة تعرض دجاجا مذبوحا ، فتقدم يسألها هل الأنفع لها أن تبيع الدجاج مذبوحا ، أو أن تعنى به لتحصل على بيضة وتبيعه فى السوق ؟!

الفلاحة : واحسرتاه ! ٠٠ ان هذا الدجاج الخائن كاد يقضى على من الحقد والموجدة ٠ فقد غرقأت احداهن (أى باضت بيضة لم يتكامل قشرها) فأكل الدجاج غرقأتها واستذوقها، وأخذ ، كلما باضت دجاجة ، ينقر البيضة ليأكلها ٠٠ فما حصلت بعد هذا على واحدة ٠ لهذا ذبحته !

وابتعدا ، فسأل سقراط صاحبه عما يعتقد فى الدجاج أن يقول لو انه تكلم ساعة ذبحته المرأة

ألسيبياد : انه يقول : « ان هذه المرأة الخائنة قد ذبحتنا ٠٠ انها سفاكة ٠٠ كان علينا ان نعرف نياتها من قبل » !

سقراط : ماذا تظن ٠٠ هل تغير الدجاج ٠٠ أم تغيرت المرأة ؟

ألسيبياد : ان الدجاج هو الدجاج ، والمرأة هى هى ، ولكن كل من فى هذه الحياة يعتقد أنه هو الموجود الاهم ٠٠ وليس هذا فحسب ، بل على غيره ان يشاركه هذا الاعتقاد ٠٠ على ان غيره هذا يعتقد كما يعتقد الأول : يعتقد ان الدجاج كان صالحا عند المرأة لانه كان ينتج لها البيض ، فلما احتفظ الدجاج ببيضه لنفسه ، أصبح خائنا !٠٠ وكانت المرأة صالحة حين كانت تقدم للدجاج الطعام ، فلما ذبحته عادت سفاكة خائنة !

سقراط : قسما ، ان الأمر يجرى هنا كما يجرى بينى وبين زوجتى كسانتيب !

ألسيبياد : ألا يحتمل ان تنشأ العداوة والبغضاء بين الناس ، كما نشأت بين الدجاجة والمرأة ٠٠ بل مثل ما بين سقراط وكسانتيب أيضا ؟

سقراط : ربما يكون الامر كذلك

ألسيبياد : لكن ، أيترك الرجل العاقل الناس يشتمون ، ثم يعمل ما هو الواجب ؟

سقراط : هذا ما أعتقد !

الحرب

◆ **وهذا حوار جميل بين الاسكندر المقدونى ، و «ديوجينيس» ، الفيلسوف الاغريقى الزاهد ، يظهر لنا معنى الحرب لدى الملك الطامح ، ومعناها لدى الفيلسوف القانع**

الاسكندر : اننى مثلك قانع اذا نظرت الى نفسى فقط .. فأنا اكتسى بالجلد ، وأنام على الحشايا ، وأجلس على موائد الجنود .. ولكنك تعلم ان فى النفس حاجات يتمنى المرء ان يحققها .. انى أحب الانسان الجميل ، وأحب الزهر ، وأحب الحرير والذهب والتماثيل ، وأشياء اخرى لها تأثير ينسى المرء نفسه عند مشاهدتها .. ان فى النفس حاجات بعيدة كل البعد عن نفس الفيلسوف

ديوجينيس : ما الانسان الحقيقى الا فيلسوفا !

الاسكندر : صدقنى يا ديوجينيس انه لا يوجد مجد يفوق مجد الحرب ! .. لن أرى الحرب قتلا للرجال أو قهرا للعباد .. اننى كلما تصورت تعبئة الجيش .. وأنا أتقدمه رافع الرأس ، عالى الصدر ، أخذتنى هزة الطرب للمجد . أتظن اننى أريد بعد ذلك ان أسفك دما أو أقهر انسانا ؟.. كلا ! انما أريد ان يستقبل صدرى سهام الرماة وسيوف الكماة ورماح الفرسان !

ديوجينيس : هذا هو الجنون أيها الملك . ان فى كل كائن حى غريزة تبعث فيه حب الحياة والدفاع عنها

الاسكندر : ان قولك حق ، ولكنى لا أعرف مكمن هذا الباعث الذى يحبب الى هذا الامر . ان الحرب ثرثرة ، ولكنها

ثرثرة يعقبها مجد ! .. انى زاحف الآن على بلاد العجم .. وسأفتح الممالك .. اننى أريد ان أفتح الممالك المملوءة بالذهب ، والعاج ، والابنية الشاهقة .. التى لا ترى أمثالها فى بلاد الاغريق .. ستسمع اذناى مالم تكن سمعت، وترى عيناى مالم تكن رأت .. أليس هذا مغريا ؟ .. أليست السعادة فى مثل هذا ؟ .. تمن يا ديوجينيس

ديوجينيس : لا أتمنى شيئا !.. انما اريد ان تتحول عنى قليلا لتترك لى شعاعا من أشعة الشمس !

الحرية

• ولد « ايبا » مؤسس مصنع زايس بألمانيا سنة ١٨٤٠ ، وتوفى سنة ١٩٠٥ .. وكان أستاذا بجامعة « ينا » ، وكان لبحوثه أثر عظيم فى تقدم صناعة العدسات . وقد جعل لعمال المصنع نصيبا فى أرباحه ، جعلهم يعملون على تقدمه . وهذا حوار بينه وبين كاهن فى ساعة احتضاره .. فى منتصف الليل

ايبا : ان الخط الذى يمثل وقوع الجرائم يمتد موازيا للخط الذى يمثل أسعار مواد العيش .. (يسمع صوت غناء فى الشارع من ثملين) انهما عاملان من عمالى يغنيان .. انك ترى كيف يتصرفان بوقتهما كما يفعل التلاميذ . لقد زدت أجر العمال كى يتمكنوا من تقليد الطلاب !

الكاهن : ان أبناء الطبقات الفقيرة يقلدون دوما أبناء الطبقات الغنية !

ايبا : نعم .. ولذلك عشت كما ترى .. ودبرت منزلى مع اسرتى كما يدبر منزله رجل من عامة الناس ، وصرفت معظم دخلى لحماية العلم ، ولم أوص فى وصيتى لأولادى الا بالنزر القليل ، ووقفت معظم مالى على المصنع لخير العمال والعلم . لقد أردت أن يعيش العمال كلهم مثل معيشتى ، وظننت ان العلم يحرر بنى الانسان . كذلك ظننت انى

حررت نفسى ، ولكننى ما كنت حرا ٠٠ لقد كنت عاملا يربح ربحا عظيما ٠٠ ومع ذلك كنت فخورا بالفضيلة ٠ اما الآن ، فقد وضح عندى – وأنا على فراش الموت – ان العلم يكون به بنو الانسان حياتهم الخارجية ، وهذا لا يمكن ان يكون تحررا ٠ ان الأمر منوط بالناس أنفسهم ٠٠ ماذا يريدون ان يفعلوا بالحياة الحرة ؟ ٠٠ الواقع ان أكثرهم ينغمس فى العبودية !

الكاهن : هل أردت ان تكون حـرا ؟٠٠ ان المرء هو الذى يقيد نفسه ٠ ان من يريد ان يكون حرا فعليه ان يحرر نفسه من « ذاته » ٠ انك عرفت ذلك ورغبت عن كثير من حاجاتك ، ثم قمعت نوازل الاطماع فى نفسك ، ورسمت لها وضـعا تعيش فى دائرته وتعتقد انه فضيلة ٠٠ ان المرء يستطيع ان يحرر نفسه من « ذاته » فقط ، ولكن ، ما الذات ؟ ٠٠ انها مجهولة لدينا ٠ اننا لا نرى الحبال التى أوثقتنا بها ٠ الحيوان الاعجم هو الذى لا يعرف العبودية أو الحرية ٠٠ أما نحن البشر فقد جعلت لنا الحرية « وظيفة » يراد منا حلها وفهمها ٠٠ هذا هو معنى حياتنا ٠٠ ان نحل هذه الوظيفة !

ايبا : ان لها حـلولا كثيرة ، ولكل انسان حل واحـد فقط ٠٠ أما أنا فلم أجد الحل لوظيفتى بعد ٠ أيكون يأسى حلا؟

الكاهن : فلتنس انك أردت أن تفعل الخير !٠٠ وفكر فى روحك التى وجب عليها أن تسلك طريقا تلائمها ٠ لقد أودع الله فى الانسان كل شىء : أودع الخير والشر ، والصواب والخطأ٠ فاذا قدر لك الله محلا فى الحياة فانك لا تستطيع أن تخرج منه٠ انك لن تسير الا فى طريقك الذى رسم لك !

المجد

◆ كان « فردريك هيبل » من فحول شعراء الالمان فى القرن التاسع عشر ، وكان يعنى بالميول النفسية ، ويجعل لها المحل الاول فى قطعه

المسرحية ، ويوحى الى أبطال قصصه بروحية الانسان الكامل • وفى هذا الحوار - بينه وبين فتى ثرى وآخر فقير - يتحدث عن المجد !

هيبل (للفتى الثرى) : قص علينا حكيم صينى مثلا عن فنان ابتكر عملا بديعا ، فأجمع الناس على أنه من صنع الشيطان • وقد سأله القيصر عن سر الابداع فيه ، فأجابه : « حين عزمت على العمل ، منعت نفسى من أن ينفذ اليها ضعف يحول دون استثمار قواها ، وجمعت قواى حتى أستطيع أن أهيىء لفكرى فضاء هادئا يستريح فيه •• وبعد ثلاثة أيام نسيت كل شىء يتعلق بما يمكن أن أناله من أجر •• وبعد خمسة أيام نسيت كل مجد يمكن أن يصيبنى من وراء ذلك •• وبعد سبعة أيام نسيت هيكلى وأطرافى • وهكذا تحرر فنى من جميع العوارض ، ثم ذهبت الى الغابة العليا ، وشرعت أتأمل هياكل الأشجار فيها ، حتى اذا وقع نظرى على شجرة معتدلة القوام تراءى لى فنى فى هذا الجمال فبدأت عملى • هذا هو السر الذى ظن الناس أنه من صنع الشيطان !

وشكا اليه الفتى الفقير مايقاسيه من الزمان •• فهو مدرس يعانى من الرؤساء ، وتهفو نفسه الى مجتمع يلائمه ، فيطرى «هيبل» قصائد الفتى ، وينبهه الى انه تعوزه التجارب فى اظهار مايريد ، ثم يسفه له مجالس الامراء وعلية القوم

هيبل : اننى أتصور ان مجالسهم لا تختلف عن مجالس الدهماء !•• وقد يترفعون عن اتيان الرذائل ، الا أنهم مع ذلك مأفونون •• انهم تابعون لرؤسائهم الذين يسيئون اليهم ، ومع كل هذا لا يفهم هؤلاء القوم شيئا من عملهم • اننى تابع لقوم لا يفهمون شيئا مما يعملون : هم أصحاب دور التمثيل ومحررو الصحف • انهم يقفون منى موقفا لا يقفه الموظف من خادمه • اننى أعيش من كد زوجتى التى تحترف التمثيل كما تعلم • ولو لم تعمل زوجتى لكسب عيشى لاضطررت الى أن أضحى بوقتى فأكتب فى جريدة من الجرائد • أما أنت ، فاننى

لا أظنك تطلب شيئا لا ينال ٠ انك تريد الحرية ، وهذه لاينالها الا الفنان ٠ ان الحرية شيء لا وجود له فى الخارج ٠٠ انها تكمن فى المرء نفسه ٠ والحر هو الذى يريد أن يكون حرا !

الفتى الثرى (ممتعضا) : لكن ايها الطبيب ٠٠ والمجد ٠٠؟

هيبل : المجد ؟٠٠ اذا مضى على موتى خمسون عاما فسوف أناله !٠٠ المجد ! ان المجد لا يكلل الا من لا يستحقه ٠ أما الذى يحتقر المجد فهو الذى يستحقه ! ٠٠ لما كنت شابا مثلكما ،كان المجد يتراءى لى شيئا محبوبا ٠٠ انك تسألنى دوما عن المجد ، وقد قلت لك مرارا : ان المجد حماقة اذا كان فى وسام أو لقب، أو اذا كان الأغرار البلداء يمدحون عملى ويثنون عليه ٠وبعبارة أوضح ٠٠ ان يقرأنى فتى غر مولع بكتابتى ولا يفهمنى !٠٠ان فكرة المجد تستقر فى ناحية واحدة ، تلك هى : أن يجد المرء مجتمعا يلائمه ويفهمه ، وألا يعيش بمعزل عن الناس كماكان قبلا ، وان يصل بعد عمل حى طويل الى السعادة التى ينشدها ٠٠ تلك هى ان يحيا فى نفس كل فرد من بنى وطنه ٠ لقد كان لى فى الماضى مجتمع ، وسوف يكون لى فى المستقبل مجتمع آخر !

الخلود

◆ كان «زرادشت» مصلحا دينيا ايرانيا ، قيل انه عاش حوالى سنة ١١٠٠ قبل الميلاد ٠ وكانت عقيدته مبنية على : النور ، والظلام !٠٠فاله النور واله الظلام في صراع دائم ، ومن آمن باله النور وعمل صالحا ،فانه يخلد ويعيش حياة رضية ٠ ومن آمن باله الظلام ، نزل الى الدرك الأسفل وبقى معذبا متألما ٠ وفى هذا الحوار عرض لآراء زرادشت عن الخلود !

زرادشت : كنت ذات ليلة سائرا فى سهل مترامى الارجاء ، فسمعت همسا ، فأصغيت ، فاذا هى الأرض تقول : « اننى أنبت العشب فترعاه الأنعام ، وأنبت الأشجار فيقطعها الانسان ويتخذها وقودا ، فأسكت دوما على مايفعلون ٠ ان

الكائنات الحية ترى الساكت جمادا ، وماكان جمادا فهو مباح يأخذه من يشاء . فلماذا خلقتنى ياربى وأوجبت على أن أتجمل بالصبر ؟ » ! .. وسمعت وحى الاله ينزل الى فؤادى مجيبا سؤال الارض : « هكذا خلقتك ، وعليك أن تتجملى بالصبر والسكوت كى تأكل الأنعام عشبك ، ويقطع الانسان أشجارك » ! .. فقالت الأرض : « ربى ، اذا كنت خلقتنى لهذا ، فلك الحمد على ماصنعت ، ولك منى الصبر والسكوت »

فيستاسبا (أمير) : لقد قلت كلاما كثيرا ، لم يعرفه أحد من قبل أن تقوله . أما الآن فقد عرفه الناس، وسوف يرددونه . ان كلماتك سوف يحفظها الناس ولا ينسونها . واذا مرت عليهم آلاف السنين فسوف يعرفونها ويرددونها أيضا . ولكنهم اذا طال بهم الامد فلن يعلموا انها كانت من كلماتك .. فبماذا تنفع هذه الذكرى اذا لم يعرف الناس ان قائل تلك الكلمات زرادشت .. وبماذا تنفع الذكرى اذا انهارت سلطتى عندانطفاء حياتى ؟!

زرادشت : ان السلطة تنهار عندما تنطفىء الحياة ، لأن السلطة لا تقوم الا فى الوجود الحقيقى .. ان كلماتى حقيقية مثل سلطتك ، غير انك قلت ان كلماتى لن تنسى . وقد يحدث انها تنسى ، أو تحرف ، أو لا تفهم . ولكنها لم تكن الشىء المهم .. فالمهم هو ذلك الشىء الآخر الذى لم يكن حقيقة ، والذى لا يمكن ان أقول عنه أكثر من انه ليس حقيقة !

فيستاسبا : وانت تعنى بهذا الشىء الآخر انه فيك ، أو أنت هو ؟

زرادشت : حين كنت أمشى تلك الليلة فى ذلك السهل ، وسمعت ماهمست به الارض ، وما أوحاه الله الى فؤادى فى جوابه اليها ، لم أكن أنا الذى سمع ذلك .. ومن نقل اليك ذلك الكلام ومن يتكلم الآن هو أنا ! .. ان ذلك السامع ماكان الا وعاء صب فيه شىء ما .. شىء لم يكن حقيقيا ، لأن الحقيقة

ان الأرض لم تتكلم ، وان الله لم يلهم قلوبنا • فاسأل الناس هل سمعوا مثلما سمعت ؟•• انهم سيضحكون ويقولون : « ان زرادشت فيلسوف تأمل ثم ابتدع فكرة جديدة فسلكها فى خيال شعرى ، أو انه احس بها فنظمها من فوره شعرا »•• ويقولون : « ان الارض فيها نواة ملتهبة ، ولها قشرة صخرية يابسة ، غير المطر والهواء وجهها فنشأت صفحة الأرض التى أنبتت العشب والأشجار » • هذه هى الحقيقة التى ينطق بها هؤلاء الناس ، وانهم على حق فيما يقولون

فيستاسبا : انك تقول : « ان هذه هى الحقيقة » •• فاذا كان الامر كذلك ، أفلا يجب أن يظهر تأثيرها ؟•• ان سلطتى تتلاشى بعد موتى ، وربما يختفى اسمى أيضا •• وكذلك الأمر بالنسبة لك ، فكيف ؟•• ان كل مؤثر لابد أن يستمر تأثيره •• فالقوة لا تتلاشى •• ان سلطتى تتلاشى اذا مت •• وكذلك اسمى ، ولكن مافعلته هو الخالد ، لأن كل مؤثر جديد يحدث دائما عن مؤثر جديد آخر !

زرادشت : انك على حق ، فان كل شىء حقيقى يكون حقيقة، وكل علة تكون لها نتيجة ، ثم ان هذه النتيجة تكون علةلنتيجة أخرى جديدة • ولكن تأمل فى نفسك ماقلته ، تجد انه لم يكن ماكنت تعنيه حين كلمتنى بصوت شجى ، وحين كنت تحن الى الخلود دون أن تلفظ هذه الكلمة • أى عندما قلت هذه الكلمة وشعرت بها وقصدت أن زرادشت خالد •• ان زرادشت خالد مادام هو تلك الأرض الساكنة ، ومادام هو القمر الهادىء ، والحيوان الأعجم ، ثم هو بعد : الانسان !

المحبة

◆ كان « سيربيرو دافنتشى » ـ والد الفنان الايطالى الموهوب«ليوناردو دافنتشى » ـ كاتب عدل فى (ميلانو) ، فى أواسط القرن الخامس عشر • وقد ترك « ليوناردو » تحفا فنية تفصح عن عبقرية نادرة • وفى

هذا الحوار الذى يصور العلاقة بين الاب والابن ، يروى « سيربيرو » لابنه كيف وقع فى هوى الفتاة التى صارت فيما بعد أما للفنان ، وكيف انهما فى رعونة الهوى انجبا أحد الخالدين !

سيربيرو : ان الجانب الواضح لفعلتى كان رعونة ، ولعله لم يكن واضحا ٠ والحقيقة فى ذلك انه كان غراما يسير فى ليلة ظلماء ، لا يهدف الى غرض ٠ وكان يدفعنى الى السير فى ذلك الطريق الموحش ـ الذى التقيت فيه بالفتاة ـ نداء روح تريد أن تستقبل هذا الوجود ٠٠ هى روحك يابنى !٠٠ وذلك الحب الذى كان يغمر قلب « كاترين » فأجلسها على تلك الصخرة تنتظرنى ، وهى تضطرب بالخوف وتسعد بالأمل ، ماهو الا حب الأم للولد الذى تنتظره ٠٠ اليوم تحقق لى أن طيشى فى أيام الشباب وحب « كاترين » الذى ساعد هذا الطيش ، أمر من عند الله لكى تولد روحك ٠٠

ليوناردو : اننى أقبل يديك يا أبت ، فاننى الى اليوم لم أعرف معنى هذا كله !

سيربيرو : انك سوف تعرف ذلك حين تصير أبا !٠٠ ستعرف كيف يرى الأب نفسه مطبوعة فى ولده ، وكيف يعرف نفسه فيه ، ثم يتأكد نجاحه فى صورته التى أظهرتها الطبيعة فى طفله ، وكيف يتطور هذا الكائن الجديد الذى يستقبله وقلبه يخفق ، لأنه لا يعرف مايكمن فى هذا الجنين ، ولا يستطيع أن يسأل الغيب عما ستؤول اليه هذه النبتة ، ثم يقف على التل ويبتعد رويدا عن الحياة غير مكترث بنفسه ، ناظرا اليها ليرى كيف تتلاشى وكيف ينمو طفله ٠٠ اننى لا أموت وأنا انسان هنا الآن ! ولكننى باتحادى بك ، أتلاشى من حيث تنمو أنت !

ليوناردو : أيكون حب الاب لولده غير حب الأم لولدها ؟

سيربيرو : كل منهما يحب فى ولده ما له فيه : الاب يحب الروح ، أما الأم فتحب كل ماعدا ذلك ، ولذلك كان للأب الحق فى أن يحكم على ولده بالموت !

موت الفردوسى

◆ كان أبو القاسم منصور الفردوسى ، أكبر شعراء الفرس فى القرن العاشر • وقد كتب « الشاهنامة » - وتتألف من ستين ألف بيت من الشعر - بأمر من الشاه محمود ، على ان يوهب عن كل بيت قطعة من العملة الذهبية • وقد قضى فى تأليف كتابه ٣٧ عاما ، فلما أتمه ، أرسل اليه الشاه قطعا من العملة الفضية بدلا من الذهبية ، وكان قد فرغ من الاستحمام والساقية تقدم له النبيذ ، حين وصلت اليه منحة الشاه ، فغضب وقسم المال بين الساقية وصاحب الحمام ، وهجر المدينة هائما ينظم القصائد فى هجاء الشاه • ثم عاد الى مسقط رأسه (طوس) ، وعاش فيها حتى مات • وفى ذات يوم ، كان الشاعر جالسا فى احدى الحانات ، تنادمه ساقية جميلة فى الثامنة عشرة من عمرها ، وتحكى له عن رؤيا تواتيها بين الحين والآخر ، ويخيل اليها فيها ان رجلا بشعا يراودها فترده ••

الساقية : اننى فتاة حرة •• أليس كذلك ؟ لست ملكا لأحد ؟•• اننى أستطيع ان أتصرف فى شئونى تصرف الأحرار



الفردوسي : عجيب !••انها بغى وتتصرف فى أمرها كما تريد • كيف ؟ أكانت حياتى حلما ؟ هل تصرفت فى حياتى مثلما أردت ؟•• ان هذه البغى تفعل ما تشاء ، وأبصارالرجال تشخص اليها اذا تبخترت فى الأسواق ، فاذا امتدت اليها يد لا تريدها ثم أكرهت على ذلك ، أفاقت من حلمها • هكذا تعيش حرة •• لقد كنت أفعل ما أشاء ، وما أجبرت على

شىء فى حياتى غير مرة واحدة ، ذلك حين أرسل الى الشاه محمود بستين ألف « تومان » فضى وما استطعت قتله ٠٠ وربما أردت هجوه ولم أرد قتله ٠ لقد هجوته وسيبقى عاره الى الأبد ، حين يصبح اسمه طبلا فارغا ٠٠ ولو قتلته لاستيقظت من حلمى كما استيقظت هذه البغى !

الساقية : ان مجلسك اليوم ممل يا فردوسى

الفردوسى : كلما فكرت فى محمود صعد الدم الى رأسى ، واحمرت عيناى من الغضب ٠٠ فانه لم يعامل شاعرا مثل هذه المعاملة الشائنة التى عوملت بها ٠٠ ولم أستطع ان اثأر !

الساقية (تقف ثم تهرب) : انى أخافك يا فردوسى

طفل يمشى فى الشارع يتغنى بهجاء الفردوسى لمحمود :

واذا أبصرت ذا العرش الحكيم أشعث الهامة مغبرا سقيم
أدعوه : ربى أصله نار الجحيم واضىء قلبى بالنور العظيم

الفردوسى : ماذا أصابنى ؟ هل أفقت من حلمى ؟ هل هذا هو الموت ؟ (ثم اغمى عليه ووجهه يتهلل بشرا ٠٠ واسلم الروح !)

الثراء ٠٠ والفقر

◆ كان بوذا أميرا ، ترك ملكه وجاهه وهو فى التاسعة والعشرين، وانطلق متقشفا ينشد المعرفة ٠ واستطاع ان ينشىء مذهبا يدعو الى انكار الذات والترفع عن الشهوات والملذات ، واستهجان الفوارق بين الطبقات ، والحث على محبة الناس ٠ وفى هذا الفصل ، تخيل المؤلف ان فقيرا جاء الى بوذا يطلب منه ان يسمح له بالانضمام الى تلاميذه ٠٠ وكان حطابا ، عثر زميل له على جرة مملوءة بالذهب تحت شجرة فأثرى ، أما هو فلم يواته الحظ !٠٠ ومع أن زميله ساعده ليصبح تاجرا ، الا انه لم يوفق ، فعاد الى زميله ينشد عونه ، ولكن هذا أنبأه بأن القدر لم يكتب له السعادة ، فعليه ان يعود حطابا ، اذ لا بد للمجتمع من حطابين يوفرون للناس الوقود !

بوذا : لم يكن صاحبك على باطل

الفقير : نعم ، ولـكننى أسأل نفسى : لم يكون صاحبى تاجرا غنيا ، واكون أنا حطابا فقيرا ؟ أهذه عدالة ؟

بوذا : لا ، ليست هذه عدالة ..

الفقير : قلت لنفسى : ألم يكن باطلا ان يكون صـديقى ثريا وأكون أنا فقيرا ؟ .. اذن العالم كله يستند الى الباطل. ان هذا غير ممكن ، ولا بد من وجود مساواة ! .. ولكن بعد ان فكرت مليا ، وجدت ان صديقى ينوء بالهموم من جراء ثروته ، وهو يخشى خداع تاجر ، أو سطو سارق .. ثم عليه ان يتصنع الطلاقة للناس الذين لا يهمونه ، لـكى يجتذبهم اليه .. وفضلا عن ذلك فليس عنده وقت كاف ليهتم بأسرته وتربية أطفاله .. والناس ينظرون اليـه طامعين فى دراهمه ، فهو على حذر منهم جميعا ، مما يجعله سىء الظن ، ويتبع هذا كثير من الامور ! .. وأخيرا وجدت العالم لا يستند الى باطل .. اعنى ان الثراء له ضرر يعدل غيره ، واننى لذلك راض بفقرى !

بوذا : يحكى عن الثعلب انه عندما رأى ان العنب ليس فى متناوله ، قال : « اننى لا أريد العنب لان العنب حامض» !.. ألى باطل يستند العالم أم الى حق ؟.. انها مسألة فجة . ان الدجاجة تلتقط الدودة ، والثعلب يفـترس الدجاجة . هذا هو الذى يجب ان يكون ، لان الدجاج يعيش على الديدان، والثعلب يعيش على الدجاج . ولكن الطبيعى ان الدجاجة لا ترضى ان يفترسها الثعلب ، كما ان الدودة لا ترضى ان تلتقطها الدجاجة ! .. ولو استطاعا الكلام لقالت الدودة ان الدجاجة ظالمة ، ولقالت الدجاجة ان الثعلب ظالم .. ولكن هذا هو رأى الدجاجة والدودة ، اذ ان الثعلب لا يعتقد ان الدجاجة ظالمة فى التقاطها الدودة .. وكذلك أنت .. فقد أردت ان تكون ثريا .. وقلت على المرء ان يقسم ثروته ،

ولما رأيت ان محاولة ذلك كانت عبثا ٠٠ عزيت نفسك بقولك : انه لا يمكن ان اكون غنيا ، لانه متى كان المرء غنيا أصابه ضرر كبير ، فمن الأفضل ان أظل فقيرا ، ولذلك كذبت نفسك ٠ ومهما يكن من شيء فانك توصلت الى الراحة التي هي خير لأمثالك !

الفقير : ألم تر أيضا ان الحياة الدنيا متاع الغرور ؟

بوذا : انني كنت ابن ملك ، وقد انتصرت في احدى الحروب ، ودخلت عاصمة ملكي ٠٠ وخلفي جيش يطيعني ٠٠ وبنات المعبد يرقصن في الشوارع ، وزوجتي المخلصة تنتظرني ٠٠ الأثرياء وضعوا ثرواتهم بين يدي ، فكان كل شيء أمامي ، وقلت لنفسي انه لم يبق لي رغبة لم تتحقق ٠٠ ومع ذلك نزلت عن جوادي المطهم بالذهب ، ونزعت حلل الديباج ، ولبست ثياب الوبر ٠٠ وتركت المدينة الى الغابة بعد ان تخليت عن كل شيء ٠٠ أما أنت فلم تضح بشيء ٠ هذا هو الفارق بيني وبينك ٠ ان العالم متاع غرور لرجل مثلي ، لاني كنت أهدف الى شيء من وراء هذا العالم أريد أن أصل اليه ، ووجدت ان كل شيء دنيوي يقف في طريقي ٠ أما أنت فقد قلت انك وجدت لك سلوى ٠٠ أتعني انك تستطيع ان تصير بوذا ، لانك قلت ان العنب حامض ؟!

حب النساء

◆ **كان كازانوفا ــ في شيخوخته ــ مفلسا ، بينما خليلته « فرانشيسكا » في البندقية تحسب الدقائق في انتظار عودته حتى تتمكن من دفع أجرة الدار ! ٠٠ وكان يجلس الى الدوقة العجوز « اليزابيث ريكه » وهو مشتت الفكر لا ينصت الى حديثها ، ويتمنى في الوقت نفسه لو استطاع ان يقترض منها أربعة (دوكاتن)**

الدوقة : أتأذن لي ان أزورك بين الفينة والفينة ٠٠ سوف

لا أزعجك مطلقا ، ولكن ما أحلاها ساعة أكون فيها بين يديك ، صديقة لطيفة ترعاك ، وتخفف عنك آلامك ، وتعنى بك فى أواخر أيامك !

كازانوفا : لقد قال همستر هويس (فيلسوف هولندى) : « أليس كافيا ان نعرف اننا نستطيع ان نبدأ شوطا آخر فى هذه الحياة ، وان الموت بدلا من ان يقطع هذا الشوط يحثنا على اتمامه ، لان الأمر منوط بقوة ارادتنا التى لا تنثنى ؟! »

وتدلف الى الغرفة فتاة تدعى « كلرشن » .. سنها لا تزيد على الثامنة عشرة .. جميلة لعوب .. وتقول ان اباها ـ الذى يعنى بحديقة قصر الدوقة ـ وضع الورد الذى أوصى به كازانوفا فى عربة الدوقة ، وأمرها ان لا تعود بدون ثمنه .. فيصيح فيها كازانوفا مغضبا ، فتبكى

الدوقة : أيها الصديق العزيز .. انك فى حيرة ، هذه الساعة .. شعورك النبيل .. وآراء همستر هويس .. ان حقيقة حالى لا تختلف عما أنت عليه (تضع أربعة دوكاتن على المكتب وتنصرف مسرعة)

كلرشن (فى استحياء) : أيها السيد .. ان أبى قد هددنى وسيضربنى ان لم أعد اليه بثمن الورد

كازانوفا : أيضربك ! أيتها الطفلة المسكينة ! .. (يمسح خديها بيده ويضمها الى صدره ويجلسها فى حجره)

كلرشن : أيها السيد كازانوفا .. ماذا نصنع لو رأتنا أعين الرقباء ! .. هذا عجيب ! .. اننى أرى عندك مالا وفيرا .. فان عينى لم تقع بعد على مثل هذا . ولكن لا اكذبك .. عندى (دوكاتن) واحد أدخره ..

كازانوفا : أتريدين هذه الأربعة ؟ .. هاهى ذى .. خذيها ودعينى أقطف من هذا الجمال قبلة !

كازانوفا (بعد ان تخرج الفتاة) : ما أبدعها من طبيعة !..

(يتناول رسالة فرانشيسكا المؤثرة) : « ٠٠ لقد ألصقنى العوز بالتراب ، وعيناى لا تنظران الى أحد سواك » ٠٠ أجل ٠٠ ان فرانشيسكا مسكينة ! ٠٠ ألا يحتمل ان تكون كلرشن قد أحبتنى أكثر منها ؟!

ولكن كلرشن عادت مع خطيبها يشكرانه ، فان الدراهم التى حرم منها فرانشيسكا ليهبها للفتاة ، اجتذابا لقلبها ، أكملت ما كان ينقصهما كى ٠٠ يتزوجا !

الفـوضى

◆ يدور الحوار التالى بين « كريشنا » ــ الذى كان أميرا هنديا بلغ من صلاحه ان اتخذه قومه الها ــ و «أرجونا» ، أحد أبطال الأساطير ٠٠ انهما يمثلان الاله والانسان ، اللذين يبقيان على مر العصور والأجيال والأحداث !٠٠ وفى نفس الانسان شك لا يلبث الاله ان يحمله على ان يصارحه به

أرجونا : اذا ولد اله من آلهتنا فى السماء ونزل الى الأرض وعاش بين البشر ، فانه يطلع على أكاذيبهم ، ولكنه لا بد ان يعاملهم كأنه يثق بهم ، لانه يعيش بينهم ٠٠ ما أصعبها حياة تلك التى يحياها اله بين البشر !٠٠ انه يتركهم يخدعون بعضهم بعضا ثم يمر بهم مبتسما ، غاضا بصره عما يفعلون !

كريشنا : أجل ! ٠٠ هذا خلق الهى !

أرجونا : اننى سأحدثك عن سيرة رجل من أبناء هذا العصر اسمه « ألكسندر دوماس » ــ يقصد أديب فرنسا فى القرن التاسع عشر ــ انه من أبلغ كتاب الروايات ، بيد ان فى أعماق نفسى شعورا قويا يجنح بى الى احتقار هذا الانسان ، دون ان أعرف لذلك سببا ٠٠ اذ اننى كلما أمعنت النظر فى حياته وجدت فيه خلقا ساميا من أخلاق الآلهة !

ويروى « أرجونا » كيف ان « دوماس » وصل الى باريس فقيرا ، لا يملك غير عشرين فرنكا ، فاستطاع بمواهبه ان يكسب الكثير ، ولكنه بسط يده كل البسط ، ولم يرد طالب حاجة ، حتى انه لم يكن يملك ـ حين أدركه الموت ـ سوى عشرين فرنكا .. فضحك وقال : لقد جئت لا أملك سوى عشرين فرنكا ، وهاهى ذى باقية كما هى ، والناس يلومونني ويزعمون انني مبذر . أليس هذا خلقا الهيا .. ان أترك الدنيا بمثل هذه النكتة ؟!

كريشنا : كان دوماس يستصغر النـاس ، ويحبهم لانه يستصغرهم .. وللمرء ان يسمى مثل هذا الرجل الذى يموت ميتة كهذه ، وتنتهى حياته بمثل هذه النكتة : « مصحصحا » ، لا يكترث للحياة .. (والمصحصح هو الرجل المهرج)

أرجونا : ما زلت فى شك من أمر ديماس .. ان دوماس ليس شاعرا ، وانما هو كاتب له مواهب شاعر . وكثيرا ما فكرت فى ان له روح الشاعر أيضا . ولكن أين يكمن النقص فيه ؟

كريشنا : لقد ضرب المسيح يوما مثلا برجل أعطى عبـده دينارا لكى يصير العبد مرابيا . وانك لتقول ان لدوماس مواهب الشاعر ، فهل رابى بهذا الدينار ؟

أرجونا : كلا ! .. لقد بسط يده فقعد ملوما محسورا .. لو ان هذا الرجل جمع مواهبه وضم بعضها الى بعض لأتى بشىء بديع ، ولقد أخطأ لانه لم يفعل !

كريشنا : هل هذا الخطأ ذنب ؟ أيستطيع المرء بعده ان يحترمه ؟ .. اذا نزل الاله على الارض ورأيت الناس يكذبونه وهو يبتسم ، فاعلم انه راض عنهم ، وانه يفعل ما تقتضيه وظيفته ! .. ان الشاعر الحق هو الذى يصور فى شعره حال القوم الذين نشأ منهم وبينهم ، فيكون شـعره قطعة من طبيعته .. أما دوماس، فانه لم ينظم شعرا ينبع من طبيعته ! .. لقد لقنتك ان : « اكمل واجبك ولو خذلتك فيه قوتك .. اذا أديت واجبك كما تتطلبه حرفتك فقد أبرأت ذمتك ..

لا تتركن واجبك الذى تفرضه عليك حرفتك ، ولو كانت هذه الحرفة خاطئة ٠٠ ان الخطأ يغطى كل فعلة كما يغطى الدخان لهيب الشعلة ! »

أرجونا : قولك الحق ! ٠٠ وانني لأعتقد ان هذا الرجل صورة أصيلة لعصره ٠٠ فمن أين صيغت قواعد أخلاق هذا العصر ؟

كريشنا : أتريد أن تعرف موطن العلة ؟٠٠ لقد عميت أعين الناس وصاروا لا يرون واجبهم فى تنظيم حياة الفرد فى نوعه ، ومواهبه ، وثروته ، وطبقته ٠ واستبدلوا الفوضى بالنظام والنواميس ، وشاعت هذه الفوضى بين العامة فأفسدت خلقهم ، وأغرت الخاصة فانغمروا ٠٠ وهكذا تحطمت الجهتان، فان الدهماء يعتقدون ان هذه الفوضى صارت نواميس تنفع الانسانية ، واختفى لذلك منهم التواضع ٠٠ أما الخاصة فقد شق عليهم العمل ، وأغضوا عن اتباع الاغراء الذى يجذبهم الى الترفع ، وأخذوا يبذلون شطرا من طاقتهم ليحافظوا على بقائهم فى بحران هذه الفوضى !!



كتاب الشهر

فى داخل افريقيا

(نهضة مصر فى عهد الثورة)

للكاتب الأمريكى الكبير "چون جنتر"

الكتاب الذى يقرأه العالم هذا الشهر

◆ استطاع « كتابى » فى الساعات الاخيرة قبيل مثوله للطبع ، أن يحصل على نسخة من هذا الكتاب الجديد الذى صدر فى أمريكا منذ نحو أسبوعين ، ونقلت البرقيات مقتطفات منه نشرت فى أبرز مكان من الصفحات الاولى لأكبر صحف العالم ، نظرا لما يتمتع به مؤلفه من مكانة سياسية وصحفية « عالمية » احرزها منذ أكثر من خمسة عشر عاما حين بدأ يصدر سلسلة كتبه المشهورة عن كل قارة من القارات ، ودولها ، وشعوبها ، وزعمائها ، وأحوالها السياسية والاجتماعية ٠٠ الخ ٠٠ وقد كان الكتاب الاول من هذه السلسلة بعنوان : « فى داخل أوربا » ، ثم تلاه أشقاؤه : « فى داخل آسيا » ، و « فى داخل أمريكا اللاتينية » ، و « فى داخل الولايات المتحدة »

٠٠ واليوم جاء دور قارتنا الشاسعة « افريقيا » ، فصدر عنها هذا الكتاب الجديد الذى هو أضخم كتب السلسلة جميعا ـ اذ تبلغ صفحاته ٩٥٠ صفحة ـ وقد بلغت فيه عبقرية « جنتر » الذروة ، اذ استطاع أن يلم بأحوال كل ركن من أركان القارة الكبيرة ـ التى تربو مساحتها على أربعة أمثال مساحة الولايات المتحدة الامريكية ـ وأن يرتاد مجاهلها ، ويكشف غوامضها ، فقطع فى زيارته لأرجائها نحو ٤٠٫٠٠٠ ميل ، زار خلالها ١٠٥ من بقاعها ، وتحدث الى أكثر من ١٥٠٠ شخص ، فى مختلف دولها ! ٠٠ تحدث الى ملوك ، وحكام ، وثوار ، ووطنيين ، وغاصبين ، وعبيد ، وأحرار ، من البيض والسود !

٠٠ دخل « جنتر » افريقيا من (مراكش) ، فكان كفاح المراكشيين البواسل فى سبيل حريتهم ، خير عنوان ـ خط بالدماء ـ لانتفاضة القارة الكبيرة ٠٠ القارة التى شاء لها الاستعمار أن تعيش قرونا فى الظلام ، فنهض أبناؤها اليوم يشقون الحجب الى النور ٠٠ ورآهم « جنتر » بعينيه فى شمال افريقيا ، وفى مصر ، وفى كينيا ، وفى الكونغو ، وفى كل مكان ٠٠ فعاد يصف كفاحهم المجيد ، ويسجل ما سمعه منهم عن مخازى الاستعمار ، دون أن يستغرقه الماضى فينسيه الحاضر ٠٠ ودون أن يستأثر باهتمامه التاريخ وتسجيل الأحداث ، فيلهيه عن وصف الطبيعة والتضاريس والجو والثروات ٠٠ كل ذلك فى أسلوب قصصى ممتاز ، جذاب ٠ وقد زار جنتر أجزاء من افريقيا فى رحلاته الاربع الاولى اليها ، فى أعوام ١٩٢٦ ، ١٩٢٩ ، ١٩٣٦ ، ١٩٤٣ ٠٠ فلما حل عام ١٩٥٣ زار القارة بأكملها زيارة تفصيلية استغرقت عدة شهور ٠٠

ولقد اخترت لك فى هذه المرة من فصول الكتاب الستة والاربعين ، الفصلين اللذين تحدث فيهما عن مصر ، ونهضتها الجديدة بعد الثورة ـ (على أن



أوافيك بأهم فصول الكتاب الأخرى تباعا فى الأعداد القادمة) - ولا شك انه مما يثلج صدر كل مصرى ، وكل عربى ، أن يقرأ العالم أجمع - سواء فى الطبعة الانجليزية أو ترجمتها الى شتى اللغات الحية - هذا التمجيد الرائع لثورة مصر وقائدها العصامى الباسل ، الذى علم الدول الكبرى كيف تحترم بلادنا وارادتنا ، وتحسب حسابا للسياسة الرشيدة المستقلة التى تنتهجها حكومتنا ، سواء فيما يتصل بمشكلاتنا الخاصة ، أو مشكلات العرب المشتركة ، أو مشكلات السلم العالمى على وجه العموم !

المؤلف

◆ وقد ولد « جون جنتر » فى مدينة (شيكاغو) بأمريكا ، وتخرج من جامعتها ، ثم احترف الصحافة ٠ ولم يلبث أن عين مراسلا أوربيا لجريدة « شيكاغو ديلى نيوز » ، فطاف بأنحاء أوربا وتولى الاشراف على مكاتب الصحيفة المذكورة فى جميع العواصم الكبرى على التعاقب ٠ وقد خرج من جولته تلك بمادة كتابه الأول « فى داخل أوربا » ، الذى أصدره عام ١٩٣٦ فلم يلبث أن صار « أشهر وأروج كتاب فى بابه ، فى تاريخ الطباعة والنشر ! » ٠٠ وقد شجع نجاحه الهائل « جنتر » على كتابة مؤلفاته التالية من نفس السلسلة ، عن قارات : آسيا ، وأمريكا اللاتينية ، ثم عن الولايات المتحدة ٠ ولكى يجمع مادة كتبه هذه ، زار أكثر بقاع العالم ، والتقى بأشهر ساستها ، وحقق ماضى وحاضر كل بلد منها ٠٠ وخلال الحرب العالمية الثانية ، اشتغل مراسلا لشركة الاذاعة الأهلية ، ومجلة « ريدرز دايجست » ، واتحاد صحف أمريكا الشمالية ٠٠ ومن مؤلفاته الاخرى ، غير السلسلة السابق ذكرها : لغز ماك ارثر ، ايزنهاور ، روزفلت ، وراء الستار ، يوم الغزو ، نصف الليل المضطرب ، أيها الموت لا تتباهى !٠٠ كما انه كتب عددا من القصص الطويلة الشائقة ٠ وهو يلقب اليوم : « أشهر مخبر صحفى سياسى فى العالم ! » ٠٠ فتعال معى نقرأ ما كتبه عن مصر :

- ١ -

« لقــد كان أكثر الأمور الخاصــة
بافريقيا ظلاما ، هو جهلنا بهـــا »
« جورج كيمبل »

« كل منا قادر ـ بطريقته الخاصة ـ على أن يأتى بمعجزة »
الرئيس جمال عبد الناصر

◆ **وقع** أهم حدث فى تاريخ مصر الحديثة فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، حين استولى علـــى أزمة الحكم حفنة من الشباب العسكريين المتحمســـين • ومنذ ذلك الحين أخـــذت الأحداث تتدفق فى سرعة عظيمة • ويتلخص الموقف الحاضر فى ان هؤلاء العسكريين لا يزالون يحكمون البلاد ، ويحسنون حكمها

ولقد ظل الصراع على الحكم ثلاثين عاما ـ أو تزيد ـ محصورا بين ثلاثة أطـــراف : البريطانيين ، والقصر ، والوفد • ولكن انقلاب ١٩٥٢ قضى على هذه المحاور التقليدية الثلاثة للقوى ، فأصبح على مصر أن تهيىء نفسها لوضع جديد لتوازن القوى • فلقد طردت الثورة الملك « البدين » ، وألغت الالقاب ، وأعلنت الجمهورية ، وحلت الأحـزاب السياسية القـــديمة ، وأنشأت هيئـــة التحرير ، وحـــاربت الاقطـــــاع ، ووضعت قانونا للاصلاح الزراعى أخذت فى تنفيذه ، وسعت لمعـــاقبة المسئولين عن الفساد •• وقصارى القول ، ان الثورة فتحت صفحة جديدة فى التاريخ المصرى ، كلها نشاط وعمل ••

ان الآمال عظيمة ، والحكم حازم ، رغم ان الثـــورة كانت مضطـــرة الى أن تحـــارب سادة الاقطاع والارستقراطية القديمـــه ، ولقـــد وجدت الســـــند الاكبـــر فى الجيش

و « الشـــارع » ـ أى السواد الأعظم من الشعب !٠٠ ولكن الشعب كان جائعا ، فكان على « عبد الناصر » أن يمده بالقوت ٠ وكانت الشيوعية تتسلل الى « الشارع » ، وكذلك غيرها من مثيرى الفتن ٠٠ بل لقد تسرب الشيوعيون الى صفوف الاخوان المسلمين ٠٠

مدبر الثورة ٠٠ ومنفذها

◆ **ولقد** انبعثت الفكرة الاصلية للثورة ، ونمت ، ونفذت ، على يدى ثائر من أبرز قادة الثورات المعاصرين ، هو جمال عبد الناصر ، الذى يحكم مصر اليوم ، مع انه لم يعد ان يكون شابا فى السابعة والثلاثين من العمر ٠ وتزداد الحكومة الجديدة ثباتا ورسوخا شهرا بعد آخر ٠٠ والمنبع الاول الذى يستمد منه عبد الناصر سلطانه ، هو أنه يصـدر فى أعماله عن غاية وهدف : تحرير عامة الشعب (الجمهور) وتقدمه ٠ انه يتيح للشعب ما لم ينله من قبل الا فيما ندر ، وأعنى به : الامل ٠ فلا عجب فى أن المصريين يسمون حركته « الثورة المباركة » ٠

لقد ظل البريطانيون يسيطرون على حكم مصر سيطرة كاملة ـ أو انهم حاولوا ذلك على الاقل ـ زمنا طويلا ٠ ثم جاءت فترة رأوا فيها من مصلحتهم أن تقوم حكومات مصرية ، تكون لينـة ومطواعة فى أيديهم بقدر الامكان ٠ فكان أى خلاف بين المصريين من صنع أيديهم ! على ان كل هذا انتهى ، فان أهم ما أذاع صيت الثورة حتى الآن ، هو ان بريطانيا لم تعد ذات سلطان مباشر فى مصر على الاطلاق

وقد وقع ـ منذ تولى العسكريون الحكم ـ حدثان لهما أهمية دولية فائقة ، هما : اتفاقية ١٢ فبراير سنة ١٩٥٣ التى أتاحت الحكم الذاتى للسودان ، والاتفاقية التى تلتها فى ١٩ أكتـوبر

سنة ١٩٥٤ ، والتى تعهد فيها البريطانيون بالجلاء عن قناة السويس

وهكذا أصبحت مصر سيدة نفسها ٠٠٠ أخيرا !

مصر تتحرر ٠٠ بعد ٢٥ قرنا من العبودية !

◆ ان مصر جد معروفة ، حتى أننا لا نجد حاجة الى الافاضة فى الحديث عنها • فالمصريون ينتمون الى أعرق حضارة عرفها الجنس البشرى ، ولهم أطول تاريخ قديم ، ترجع سجلاته الى ستة آلاف عام أو أكثر ! على انهم خلال أغلب هذا التاريخ ، كانوا يخضعون لسلطان غزاة من الخارج : اثيوبيين ، وفرس ، ويونانيين ، ورومان ، وعرب ، وأتراك ، ومماليك ٠٠ وهكذا ظلت البلاد تحت حكم الاجانب منذ سنة ٥٢٥ قبل الميلاد ، حتى سنة ١٩٣٦ ، حين منحها البريطانيون استقلالها ٠٠ بل ان الطبقة الحاكمة « المصرية » خلال الـ ١٥٠ سنة الاخيرة ـ حتى عام ١٩٥٢ ـ كانت أجنبية الى حد كبير ٠٠

وهناك قول مأثور ، بأن « الاقوام التى تعيش فى دلتا الانهار ، تكون في العادة رخوة ، لينة » ٠٠ وقد سمعت ان هذا القول انطبق على المصريين فى عدة مرات • فهم قوم وديعون للغاية ، أو انهم ـ على الاقل ـ كانوا كذلك حتى أيقظتهم القومية الحديثة • ولقد قال لى مسئول بريطانى : « هؤلاء أسهل شعوب الارض قيادا وخضوعا للحكم ، لو وجد من يعرف كيف يحكمهم ! » • على ان عالما عربيا مبرزا وصفهم لى بهذا القول : « اننا كالنيل ، فنحن لسنا أهل عنف، ولكنا شديدو الثبات والاتزان • ولقد تنتابنا الفورات أحيانا ، ولكننا لا نلبث أن نعود الى حياتنا العادية • ان حياتنا مستمدة من النيل ، فنحن نشعر بأننا جزء من مجرى ثابت ، قوى ، مستمر ٠٠ فالنيل يتدفق بيننا فيهبنا القوة والصبر • ولو ان سياسيا مصريا اشتط فى غروره ، فاننا نسقطه من الحكم بضحكنا ، اذ ننسج حوله بعض نكات ، فلا يلبث أن يجد نفسه فى عزلة تامة • ان الطريق الوحيد الذى يوصلك الى المصرى هو قلبه ! »

ويبدو ان المصريين لم يتغيروا كثيرا على مر القرون • وانك لتستطيع أن ترى فى كل مكان ـ سيما فى الوجه القبلى ـ أناسا هم صور حية لرمسيس ونفرتيتى ٠٠ على ان من المدهش ان المصريين لا يعتزون كثيرا بميراثهم الفرعونى ـ وان كان التعليم المصرى يوجه عناية كبرى اليوم للتاريخ القديم للبلاد ، محاولا أن يثير فخر القوم به ـ ومع ان مصر رأت غزاة كثيرين يتقلبون عليها ، الا أن أهلها ظلوا على طول المدى متشابهين ، متجانسين الى درجة تبعث على العجب •

ويتكلم المصريون اللغة العربية ، فمصر هى « عاصمة » العالم العربى ، بيد ان المصريين ليسوا عربا ٠٠ ان لهم صفات عربية قوية ، كما ان القاهرة هى

المركز الخصيب للثقافة العربية فى العالم ، ومع ذلك فان أهلها شعب فذ ، قائم بذاته ٠٠ والاغلبية الساحقة من المصريين مسلمون بطبيعة الحال ، ولكن فى مصر طائفة من أهم الطوائف المسيحية ، هم الاقباط ، الذين ينتمون الى كنيسة من أعرق الكنائس المسيحية فى الدنيا ٠ وهم مفـــرطو التحفظ ، والنشاط فى الاعمال وفى الوظائف الحكومية ٠ وكثيرا ما يوصفون بأنهم « أقدم » المصريين ، بحكم انهم سلالة الذين لم تختلط انسابهم بالعرب بعد الفتح الاسلامى لمصر ٠ (وقد كانت احدى زوجات النبى محمد قبطية) ٠ وما زال هذا التقليد ساريا الى اليوم ، اذ يحدث بين وقت وآخر أن تتزوج قبطية من رجل مسلم ٠ وقـد اتخذت الثورة خطوات فذة لتعزيز الرابطة المتينة بين الاقباط والمسلمين ٠٠ كما فعلت المثل مع اليهود المصريين ٠٠ ومن الشعارات التى اتخذتها : « الدين لله والوطن للجميع »

لمصر ماض مجيد ٠٠٠ وحاضر مجيد !

◆ على ان مصر ليست ذات ماض فحسب ، بل ان لها حاضرا ٠ فهى بـلاد مشبوبة الحيوية ، والتفوق ، تتفجر بالواقعية المعاصرة ٠ ففيها شبكة حديثـة للسكك الحديدية ، والطرق الجيدة ، ولها تجارة مزدهرة مطردة الاتساع ٠ وقد بلغ دخلها القومى مستوى عاليا بالنسبة لافريقيا ٠٠ كما ان لها صحافة واذاعة ذاتا صوت مسموع ٠٠

والقاهرة هى أكبر المـدن قاطبة فى افريقيا ، ولعلها أغناها وأرقاها ٠ وقـد ارتفع عدد سكانها من حوالى مليون نسمة ـ منذ عشرين سنة ـ الى أكثر من مليونين ونصف مليون اليوم ٠ كما انها أكبر مدينة فى العالم الاسلامى ، وتبلغ مساحتها ضعف مساحة باريس ! وليس فى افريقيا سوى مدينتين يربو سكان كل منهما على مليون نسمة ، وهما مصريتان : القـاهرة ، والاسكندرية التى أنشأها الاسكندر الاكبر سنة ٣٣١ قبل الميـلاد ٠ وفى القاهرة أكبر معهـد اسلامى للعلم فى العالم : الجامعة الازهرية ٠٠ وبها شوارع تبدو كأنها انتقلت اليها من شيكاغو ٠٠ كما ان بها شوارع يحف بها نخيل ينهض على جذوع نحيلة الى حوالى مائة قدم ، ثم تنتشر فروعه كمظلات خضراء ٠٠ وأعظم ما بهر بصرى فى حياتى ، من تحف الفن ، تلك الحلى والاوعية الذهبيـة التى استخرجت من مقبرة « توت عنخ آمون » ، والتى تعرض الآن فى مكان بارز بالمتحف المصرى ٠ ويتحتم على عاملات التليفون فى فنادق القاهرة أن يعـرفن خمس لغات ، وفى بعض الاحيان ستا !

ولقد تغيرت القاهرة عما رأيتها ـ منذ حوالى عشرين سنة ـ تغيرا يفوق كل ما يصدقه العقل ! ولا يقتصر هذا التغير على مجرد ادخال اضـواء « النيون » وتكييف الهواء ـ وهو جد نادر فى معظم افريقيا ـ والبنايات الحديثة الشاهقة

على ضفاف النهر .. بل ان الامر يتعدى ذلك الى الكثير من المظاهر الاخرى للمدن الحديثة . ولقد كانت الاحياء الراقية من القاهرة حتى نهاية الحرب الاخيرة على نسق المدن البريطانية ، كما كانت هناك كل أشكال الوشى والزخارف الشرقية ، فكان الشرق والغرب يلتقيان فى مزيج تسوده الروح الدولية ، ولكن الأساس كان بريطانيا .. أما اليوم ، فلم يعد للاشياء البريطانية وجود يذكر . وقد أخليت الثكنات البريطانية منذ عهد طويل ، ولم يقدر لمندوب سام بريطانى أن يجوس خلال طرقات القاهرة بموكب مصفح منذ سنة ١٩٣٦ . وأصبحت المقاهى والمشارب تحفل بالمصريين لا بالانجليز !

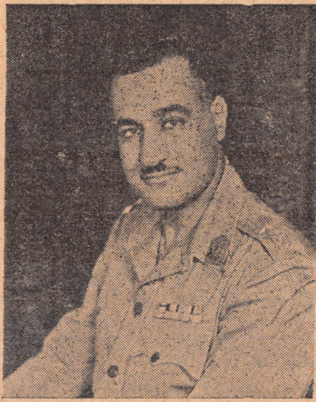
بقيت كلمة عن الاهرامات .. فالهرم هو أبعد الاشكال المعمارية عن الانهيار. ويتألف الهرم الاكبر من ٢ر٥ مليون حجر ، ويقدر وزنه بحوالى أربعة ملايين و ٨٨٣ الفا من الاطنان !

(.. ثم يمضى المؤلف فيتحدث بعد ذلك عن كيف تسنى بناء الهرم ، وعن ايمان المصريين الاقدمين بالحياة الاخرى ، وحرصهم على أن تكون قبورهم منيعة ، وفنهم فى التحنيط .. الخ)

مشروعات « عظيمة » و « جليلة »

◆ والعماد الأكبر لحياة مصر هو القطن .. فبدون القطن (والنيل) تذوى البلاد . وتنتج مصر أرقى أنواع القطن الطويل التيلة فى العالم ، ومنه تجنى ما لا يقل عن أربعة أخماس عملاتها الاجنبية ، وبالتالى وارداتها . وقل بين الدول من اوتيت بنيانا اقتصاديا أوهى من هذا ! .. واذا تعذر على « لنكشاير » أبتياع القطن من أمريكا ، فان صناعةالنسيج البريطانية تولى وجهها شطر مصر ، ومن ثم اتخذت بريطانيا من القطن المصرى اداة لألاعيبها السياسية سنين عدة .. وظل بوسعها - الى عهدقريب - أن تتحكم فى البلاد ، بالحد من مشترياتها من القطن ! ولكن حكومةالثورة تسعى - جهد طاقتها - لتوسيع القاعدة التى يقوم عليها صرح الاقتصادالمصرى ، بالتخفيف من استناده واعتماده على محصول واحد للتصدير . ومن أمثلةما يتخذ فى هذا الصدد ، القيام بأبحاث واسعة عن البترول ، تساهم فيها عدة شركات أمريكية . ويعتبر السماح بهذا ، دليلا على تحول ملموس فى سياسة القاهرة ، فان عبد الناصر يبغى - فوق كل شئ - أن يسد الهوة السحيقة بين الغنى والفقر فى مصر ، ومن ثم فان حكومته لا تستطيع أن توزع الثراء على نطاق واسع ، ما لم تخلق ثروة جديدة

ومشروعات عبد الناصر - فى هذا الصدد - واسعة الطموح ، بل عظيمة جليلة . ومع ان تعزيز النظام السياسى مقدم على ما عداه ، الا ان عبد الناصر وزملاءه لا يكفون قط عن التفكير فى التقدم الاقتصادى الطويل الاجل للمستقبل،



حتى يتسنى رفع مستوى المعيشة لعامة الشعب بأسره . ولقد سألت أربعة من المصريين - متباينى النشأة والتفكير الى حد بعيد - عن أشد ما تحتاج اليه البلاد ، فأجابوا جميعا بكلمة واحدة : « الانتاج » . وبين المشروعات ، مشروع هائل سيتكلف أكثر من ٥٠٠ دولار ، ويستغرق بناؤه عشر سنوات ، هو مشروع السد العالى ..

(وهنا أسهب «جنتر» فى الحديث عن النتائج الصناعية والزراعية للمشروع ، بما هو معروف لكل مصرى)

تركة مثقلة بالمشكلات !

◆ وتعانى مصر من الجهل والمرض . فمن المحتمل أن ثلاثة أرباع السكان لا يعرفون القراءة والكتابة ! بيد ان هذا التقدير مضلل ، والواقع ان نسبة الامية بين الذكور وحدهم تبلغ ٥٠ فى المائة تقريبا . ومع ذلك فمن الواضح ان من المتعذر الى أقصى درجة أن تستطيع حكومة دستورية اتقان عملها - بل أن تستطيع العمل اطلاقا - ما لم يتسن زيادة هذه النسبة . فالتعليم (فى جميع الدول الافريقية) هو أهم المشكلات التى تواجه الحكومات وتتطلب حلولا عاجلة. ولقد كانت ميزانية التعليم فى سنة ١٩٢٠ - تحت الحكم البريطانى - لا تكاد تبلغ مليونا من الجنيهات ، أما اليوم فقد تجاوزت ٢٠ مليونا ! بل اننى سمعت كثيرا من المصريين - المتحمسين للتقدم - يتخوفون من السرعة الهائلة التى يمضى بها التوسع فى التعليم ، سيما المرحلة الجامعية منه ، خشية أن لا يجد الجامعيون أعمالا كافية تستوعبهم .

ان كثيرا من الدول الشرقية تمر بفترات - طويلة كانت أو قصيرة - قد تحتاج فيها الى حكم الفرد .. على ان أكبر مبرر لعبد الناصر فى نظام حكمه هو انه انما يعمل كوكيل أو مندوب للشعب حتى يتم تعليمه الى الدرجة التى تمكن أفراده من تولى مسئوليات الحكم .. وانى أعتقد أن عبد الناصر رجل أوتى أسسا قوية من حسن النية والذكاء ، والوطنية ، بحيث لا يحتمل أن يقع فى الاخطاء التى كثيرا ما يرتكبها الحكام الذين يتحملون مسئولية الحكم بمفردهم

(ثم تحدث «جنتر» بعد ذلك عن تفشى الامراض المتوطنة فى مصر ٠٠ وانتقل الى وصف طبيعة أرض مصر ، ودلتا النيل ، وواديه ، والواحات ، واعتماد الزراعة على الرى ، والنسبة الكبيرة المطردة التى يتزايد بها السكان ، حتى أصبحت نسبة كثافتهم فى وادى النيل أعلى نسبة فى العالم - اذ بلغت ١٦٠٠ نسمة للميل المربع الواحد ! - ومن ثم لم يعد من حل للمشكلة سوى توسيع رقعة الارض الصالحة للزراعة ، أو تقليل عدد السكان ، وكلا الحلين ليس سهلا٠ بيد ان ثمة علاجا يحتمل النجاح تتجه اليه آمال عبد الناصر ، هو : التصنيع)

فساد الحكم السابق فى مصر

◆ ومضى المؤلف يتحدث عما كان فى مصر من سوء توزيع للملكية الزراعية ، اذ كان ٣٦ فى المائة من جميع الاراضى الصالحة للزراعة فى أيدى نصف فى المائة من السكان !٠٠ الى أن قال :

ولم يكن « باشوات » مصر - الى عهد قريب - أغنى طبقة من نوعها فى العالم - بالنسبة لبقية الشعب - فحسب ، وانما كانوا أكثرها فسادا أيضا ! ولقد كان القول الشائع - حين زرت مصر أثناء الحرب - هو ان أربعين مليونيرا كانوا يظهرون فى كل شهر ، وكانوا يدينون بهذا الثراء الى الغش والفساد ٠ وكان الملك السابق هو أكبر ملاك الارض طرا ٠ ولقد ظهر من أحد الاحصاءات ان ٥٠ فى المائة - تماما - من الدخل القومى كان يؤول الى ١ر٥ فى المائة من السكان ! ٠٠ ومن العوامل « المثيرة » ان ملاك الارض من أبناء الطبقة الراقية لم يكن لديهم فى الواقع أى اهتمام بالبلاد ، اللهم الا فيما يتعلق بابتزاز مالها ، اذ كانوا ينحدرون من أصل تركى ، وكانوا يأنفون من أن يعتبروا أنفسهم مصريين !

وعلى النقيض من ذلك ، كانت الملايين المغمورة من الفلاحين فى حال من التعاسة تجل عن الوصف ٠٠ فما أن استولت الثورة على أزمة الحكم ، حتى بادرت الى وضع نظام « الاصلاح الزراعى » ٠ ولقد بلغ الغباء ببعض الناس أن همسوا فى تظاهر بالحزن : « انها الشيوعية ! » ٠ والواقع ان ليس من مهد كان يصلح لان تفرخ فيه الفتن الشيوعية أكثر من المجتمع المصرى قبل أن يتداركه الاصلاح ٠٠ كما ان خير دفاع ممكن ضد أى زحف شيوعى مقبل ، هو مشروعات الاصلاح المختلفة ، التى يسعى البكباشى عبد الناصر لتنفيذها ٠ وهذا ما يتضح لاصحاب « النوايا السليمة » بجلاء ٠٠

حفنة من التواريخ

◆ ١٨٠٥ - ١٨٤٩ : يبدأ تاريخ مصر الحديث بالحاكم المستبد العاتى محمد على ، مؤسس الاسرة التى بقيت الى أن طردت الثورة

فاروق الحقير • وقد كان محمد على يذهب الى درجة الوحشية فى بعض تصرفاته أحيانا ـ ولعل مذبحة المماليك الغادرة أشهر الادلة على ذلك !

وقد أصدرت الحكومة المصرية فى سنة ١٩٥٣ قانونا بمصادرة ثروة جميع أحفاد محمد على ، بعد أن قررت قبل ذلك انهاء حكمهم واعلان الجمهورية

◆ ١٨٨٢ : بدأ الاحتلال البريطانى لمصر ، وقد دام ٥٤ سنة

(وهنا أورد « جنتر » تاريخ الاحتلال) ـ وقد أعلن اللورد « جرانفيل » عقب الاحتلال مباشرة ، فى سنة ١٨٨٣ ، ان بريطانيا تعتزم سحب قواتها من مصر « بمجرد أن تسمح حالة البلاد بذلك » •

وقد كتب البكباشى عبد الناصر فى صحيفة « السياسة الخارجية » فى يناير سنة ١٩٥٥ : « عمد البريطانيون منذ البداية الى امتصاص قوة مصر ومعنوياتها • وسيطرت الشركات الاجنبية بسهولة على الطبقة التجارية الناشئة فى مصر ، اذ كانت تعمل متحررة من كافة الضرائب تحت نظام الامتيازات الاجنبية » •• ثم قال : « كانوا ـ أى البريطانيين ـ يقولون دائما أنهم يعتزمون الجلاء ، وكانوا دائما يجدون عذرا للبقاء : فزعموا أولا أنهم انما يبقون فى مصر ليحموا الاجانب من المصريين ، وان كان الاجانب لم يطلبوا حمايتهم قط• ثم زعموا انهم مضطرون للبقاء لحماية الاقليات المسيحية واليهودية من المسلمين ، متجاهلين أن المسيحيين واليهود انضموا الى المسلمين فى المطالبة بانسحاب القوات البريطانية من مصر ••• »

◆ ١٩١٤ : ما أن نشبت الحرب العالمية الاولى حتى وضعت بريطانيا مصر « تحت الحماية » ، فقطعت بذلك ارتباطها بتركيا نهائيا ••

◆ ١٩١٨ : ظهر الى الوجود أول الاحزاب الوطنية الكبرى فى افريقيا الحديثة ـ وهو الوفد ـ تحت زعامة سعد زغلول الذى لم يكن يمل أو يهدأ فى عدائه للانجليز ••

◆ ١٩٢٢ : اضطر الانجليز الى أن يمنحوا مصر اتفاقية تتيح للبلاد استقلالا محدودا ، وانتهت بذلك الحماية •• ووضع الدستور ••

◆ ١٩٣٦ : وقعت معاهدة مصرية انجليزية تنهى فترة طويلة من التوتر ، والتآمر ، والتمرد المشبوب •

◆ ١٩٤٢ : ظلت مصر محايدة ـ من ناحية المظهر القانونى ـ وان كان البريطانيون ، والامريكيون ، قد استخدموا القاهرة كقاعدة أهلية لعملياتهم فى كل مكان فى الشرق الاوسط • وكان مما يخدم غرض الحلفاء أن تظل مصر فى الوضع الذى يطلقون عليه : « حليفة غير محاربة » • وفى ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ حدثت المناورة المتهوسة ، وحاصر البريطانيون قصر عابدين بالدبابات !

◆ ١٩٥١ : ألغت مصر معاهدة ١٩٣٦ ، وان ظل البريطانيون يحتجون بأن الغاءها عمل « غير قانونى » !

◆ ١٩٥٢ : فى ٢٦ يناير أحرق الغوغاء جزءا من القاهرة ، وجرت حوادث سلب ونهب ٠ ولا يعلم أحد حتى اليوم عن يقين من الذى دبر هذه الحركة ٠٠

◆ ١٩٥٢ : فى ٢٣ يوليو ، قامت الثورة الحالية

- ٢ -

« ٠٠ كان العالم العربى قد عرف ما الذى يبغى أن يتخلص منه ، ولكنه لم يكن قد عرف بعد ما الذى يعتزم أن يقيمه ويشيده ٠٠ لقد كانت المشكلة مشكلة اعادة الكرامة الانسانية لمصر ٠٠ »

جمال عبد الناصر

رجل من جليد ٠٠ ونار !

◆ ولد جمال عبد الناصر فى ٥ يناير سنة ١٩١٨ ، ونشأ نشأة بسيطة ٠٠ وقد بدت ميوله الثورية القومية مذ بلغ السابعة عشرة ، فقبض عليه عدة مرات لاشتراكه فى مظاهرات الطلبة ٠ وقد التحق بكلية الحقوق فترة ، ثم قرر أن يكرس حياته للجيش ، فتخرج فى الكلية الحربية فى سنة ١٩٣٨ ٠ وبعد ذلك خدم زمنا فى السودان ، ثم حارب اليهود فى فلسطين ٠٠ وهو يذكر أنه خلال حملة فلسطين كان يدرك تماما أن المعركة « الحقيقية » يجب أن تكون فى مصر ذاتها ٠٠

وهو مسلم تقى ، لا يقرب الخمر قط ٠ وله اهتمام شديد بالمسائل السياسية فى كافة أرجاء العالم — (حتى انه يعتبر السياسى الافريقى الوحيد ، وواحد من الساسة القلائل فى العالم ، الذين يشتركون بانتظام فى مجلات السياسة الدولية ، ومنها مجلة FOREIGN AFFAIRS التى يحرص على أن تصله أعدادها بالبريد الجوى فور صدورها !)

وهو لا يحفل بنفسه ، أو بحياته ، اذ يوجه كل اهتمامه الى حياة مصر ٠٠ ويصفه عارفوه بأنه رجل من ٠٠ جليد ٠٠ ونار ! ٠٠ ولقد ذكر فى كتابه : « فلسفة الثورة المصرية » ، انه وزملاءه اقتنعوا فى فترة من الزمن بأن مصر لن تنقذ الا ب « العمل الايجابى » ، الذى تمثل لهم اذ ذاك فى الاغتيال السياسى ٠٠ ولكن شد ما كان ارتياحه حين تبين فشل هجومهم الاول ، فبدأ يفكر :

« اننا نحلم بمجد الوطن . ولكن أيهما اهم : أن نقضى على هؤلاء الذين يجب القضاء عليهم ، أو أن ندفع الى الامام اولئك الذين يجب أن يتقدموا ؟ » .. وكان لا يكف عن التفكير فى ضعف بلاده ، ومهانتها ، وذلها . كان لابد من انقاذ مصر ، لا من البريطانيين وحدهم ، بل ومن نفسها أيضا .. كان يجب أن تقوى ، وتتحد ، وتتحرر ، بروح جديدة نظيفة .. بمحو الانانية والفساد .. ولكن كيف ؟

وانتهى عبد الناصر الى تزعم هيئة الضباط الاحرار ، التى كانت تتألف من حوالى ٤٠٠ شاب ، معظمهم من صغار الضباط .. « ولم يكن الجيش هو الذى حدد دوره فى الاحداث التى جرت ، بل ان العكس أقرب الى الصواب .. فان الاحداث وما ترتب عليها هى التى حددت دور الجيش فى الصراع الاكبر لتحرير الوطن » .. ويمضى عبد الناصر - فى كتابه - فى تحليل المهيئات والحوافز التى دفعته الى تدبير الثورة .. وهو فى هذا يعتقد ان بذور الثورة كانت منبثة فى نفسه منذ الطفولة ، ويذكر بصدد ذلك انه كان اذا ما رأى طائرة فى السماء - وهو طفل - ينطلق صائحا : « يا عزيز ، يا عزيز ، داهية تاخد الانجليز » !

(ويمضى « جنتر » فى سرد قصة قيام الثورة وخلع فاروق وطرده ، مما هو معروف لكل قراء العربية ، ومما سبق أن قرأوه مسجلا بقلم الرئيس جمال عبد الناصر . ثم يستطرد قائلا :)

بقى شىء واحد يمكن أن يقال عن فاروق بثقة تامة ويقين ، وهو ان ما من نفس فى مصر أسفت لرحيله .. ومن المحتمل ان ليس ثمة نفس حية ترجو عودته !

فعل فى عامين ، أكثر مما فعلوا فى ١٥٠ عاما !

◆ ولقد أشاع أعداء الثورة فى البداية ، ان ٩٠ فى المائة من أعضاء الثورة فاشيون ، و ١٠ فى المائة شيوعيون . وكان هذا تجنيا مبالغا فيه ، اذ ان الحكومة اذا كانت قد اتخذت اجراءات بدت شديدة ضد الرأسمالية ، فانما كان ذلك لان الرأسمالية الخاصة كفت عن أن تكون عاملة مثمرة .. والواقع ان الثورة كانت أقل استبدادا وتطرفا من اولئك الذين عارضوها . ومن الجائز أن تكون أساليبها استبدادية ، ولكن هذا ليس هدفها الاساسى . فالانضمام لهيئة التحرير - عند ما تألفت - كان اختياريا ، وليس اجباريا .. ولم تكن ثمة دعوة للقوة حبا فى القوة ، بل ان كل جهد وجه فورا لانشاء نظام الاصلاح الدستورى ، وتمهيد الطريق لانتخابات حرة ، واعادة الحكم النيابى .. فقد كان الجيش حاميا للشعب ، وكانت الثورة باسم الشعب . (وهنا أوضح « جنتر » كيف وفقت الثورة فى القضاء على أعدائها ، وفى التغلب على الصعاب التى صادفتها . وبين كيف ذهب انكار الذات بجمال عبد الناصر الى الدرجة التى

جعلته يتوارى فى أوائل الثورة ، فلم يبد للملأ قبل ١٨ يوليو سنة ١٩٥٣ ، حين غدا نائبا لرئيس الوزراء ، ووزيرا للداخلية .. ثم استطرد المؤلف :)

ان أشد ما يحتاج اليه عبد الناصر هو الوقت ، والهدوء السياسى ، وليس من سبيل الى الاول الا بالثانى ! وهناك شىء واحد يمكن أن يقال عنه دون ما جدال : ذلك هو انه فعل لمصر فى عامين أكثر مما فعلت الاسرة المالكة فى مائة وخمسين عاما ! بل ان مجرد تفانيه وأمانته ظاهرة تذهل الطراز القديم من المصريين ، حتى انهم يعجزون عن أن « يفهموه » ! ..

سياسة مصر الخارجية فى عهد الثورة

◆ ان الذى يجعل مصر من أهم الدول فى العالم - لا فى افريقيا وحدها - هو موقعها الجغرافى كجسر بين القارات .. فهى تسيطر على الجزء الشرقى من البحر الابيض المتوسط ، وتشرف على الطريق البحرى القصير بين أوربا وكل من جزر الهند الشرقية والصين . فضلا عن أنها ذات موقع حيوى بالنسبة للدفاع عن الشرق الاوسط . بل ان البكباشى عبد الناصر يعتبرها جزءا من آسيا الجنوبية الغربية . وفى الواقع انه لا يفصلها عن آسيا غير البحر الأحمر وشبه جزيرة سيناء .

وللسياسة الخارجية المصرية عدة نواح وأهداف ، الى جانب اخراج الانجليز من السودان ومن السويس :

◆ الجامعة العربية : وتعتبر مصر أهم عضو فيها . وهى نوع من التكتل لتوحيد سياسة العرب ، وتشجيع القومية العربية . وترجو مصر أن تحقق أقصى ما يمكن من الترابط بين الدول العربية فى الشرقين الادنى والاوسط ..

وتتمتع مصر بنفوذ كبير فى الامم المتحدة وفى كل مكان آخر ، اذ تتبنى القضية العربية على أوسع نطاق - بغض النظر عن تفكك الدول العربية فيما بينها - وقد دأب المصريون على مؤازرة الامانى القومية فى مراكش وتونس ، مما أوجد توترا شديدا بين مصر وفرنسا . ولقد اتفقت مصر والمملكة السعودية فى صيف سنة ١٩٥٤ على « توحيد مواردهما فى الصناعات العسكرية ، والتسلح والدفاع ، والتدريب العسكرى » .. ولقد حج البكباشى عبد الناصر الى مكة فى أغسطس سنة ١٩٥٤ وأعلن ان على المسلمين فى جميع ارجاء العالم أن يجعلوا من الحج اداة قوية للوحدة السياسية .. وهو تصريح لم يسبقه مثيل فى التاريخ الاسلامى ..

المؤلف « الامريكى » ينصف مصر بصدد الاسلحة !

◆ الحياد والولايات المتحدة والدفاع عن الشرق الاوسط : رفضت مصر أن

يكون لها أى شأن بما اقترحته الدول الغربية من انشـــاء حلف دفاعى للشرق الاوسط ، فأهمل المشروع ، اذ انه بدون مصر يغدو عديم القيمة ٠ وقد شرح عبد الناصر الأمر مرة قائلا : « على مواثيق الدفاع المشترك ، بين العالم العربى والدول الغربية ، أن تنتظر ، حتى يتغلب العرب على الشك المتأصل فى نفوسهم ازاء نوايا الغرب الاستعمارية »

وقال لنا أستاذ كبير بجامعة القاهرة : « لماذا يأبى الامريكيون فهم الحقائق ؟ ٠٠ اننا نعرف انكم فى الاحوال الدولية الراهنة ترون من واجبكم أن تكونوا مع البريطانيين ٠ ولكننا لا نستطيع أن نثق فى البريطانيين بعـد ، ومن ثم فلن نستطيع أن نثق بكم ٠ ثم انكم فى الوقت ذاته ترتكبون فى كل مكان عين الخطأ الذى ارتكبتموه فى مراكش ٠ انكم تجمعون بين التصريحات الافلاطونية المعربة عن تأييدكم للامانى القومية الاسلامية ، وبين المساعدة العسكرية المباشرة للذين يفرضون على القومية الاسلامية ربقتهم ! ٠٠ انكم يجب أن تتبينوا أن من الخير لاغراضكم عمليا ان تكسبونا أحرارا ، لاننا اذ ذاك نكون أقوى وأفضل ، والا فما قيمـة مراكش لكم الآن ؟ ٠٠ أما لو انكم فاوضـتم السلطان بدلا من مفاوضتكم لفرنسا ، لكانت مراكش قد غدت صديقة شاكرة ، مخلصة لكم »

ومما زاد المـوقف تعقيدا فى مصر ، ان البريطانيين لم يوافقوا على تدفق الاسلحة الامريكية الى مصر أثناء المفاوضات بصدد الجلاء عن السويس ٠ ويضيف أهل القاهرة الى هذا ان المعونة الاقتصادية الامريكية منعت عمدا عن مصر لحمل المصريين على قبـول الحلف الدفاعى للشرق الأوسط ٠ واشتدت الأزمة عندما حاول عبد الناصر أن يبتاع أسلحة قيمتهـا ثلاثة ملايين ونصف مليـون من الدولارات ، من أسبانيا ، فأوقف الضغط البريطانى على مدريد هذه الصفقة ! ٠٠ وفى الوقت ذاته ، اتجهت الولايات المتحدة نحو الشمال والشرق ، فأتاحت أسلحة للباكستان ، ووقعت هذه حلفا هاما مع تركيا ٠٠ ثم جاء البيان الخاص بتوقيع العراق حلفا للدفاع المشترك مع تركيا ـ ومعناه خرق لحياد الجامعـة العـربية ـ وما لبث الاتفاق الانجليزى المصرى التاريخى بشأن السـويس أن تحقق ، فبدأت القاهرة ـ نتيجة لذلك ـ تبدى ودا نحو الغرب ٠٠ ولكنها أعلنت قبولها للمعونة العسكرية « اذا كانت غير مقيدة بشروط »

مصر وسياستها تجاه روسيا

◆ الاتحاد السوفييتى والشيوعية : بين القاهرة وموسكو علاقات «مضبوطة» كما يقول الديبلوماسيون ٠٠ أى العلاقات الصحيحة المناسبة ٠ وقـد صرحت مصر بأنها على استعداد لأن تتعاون مع كل الدول التى على جانبى السـتار

الحديدى ، ما دامت تعضد أهدافها ، وما دامت لا تقيد حريتها وكرامتها ! ولقد قال لى أحد القاهريين المبرزين : « ان مصر تخشى كلا من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى ، على السواء ، فى الحرب الباردة القائمة ٠٠ »

اما فى الميدان الداخلى ، فان مصر ضد الشيوعية على خط مستقيم ، وفى اصرار حازم ٠ وقد حرصت الحكومة على أن تخمد كل نشاط شيوعى مستتر ٠ وقد ذكر البكباشى عبد الناصر فى مقاله فى مجلة « الشئون الخارجية » - الذى أشرنا اليه من قبل - : ان الشيوعية لن تستطيع التسلل الى أى جزء فى الشرق الاوسط وافريقيا ، لو ان أمريكا انتهجت سياسة جريئة فعضدت اولئك الذين يتوقون للخلاص من السيطرة والاستغلال الاجنبيين ٠٠ وان « الاستقلال الحقيقى هو أعظم دفاع ضد الشيوعية أو اى نوع آخر من التسلل أو العدوان »

مصر « أب وأم » للحركات الوطنية فى افريقيا

◆ مسلك مصر نحو افريقيا السوداء : ولهذا المسلك ناحيتان : أولاهما ان مصر قوة عظيمة تكمن وراء انتشار الاسلام فى العالم ، وهى - بطبيعة الحال - ترجو أن ترى أكبر شطر ممكن من افريقيا السوداء يتحول الى الاسلام

اما الناحية الثانية ، فهى ان مصر تعتبر نفسها أما وأبا للحركات الوطنية فى اى مكان فى افريقيا ٠٠ ولقد كتب البكباشى عبد الناصر فى كتابه « فلسفة الثورة » يقول : « ليس بوسعنا أن نقف جامدين - مهما تكن الظروف - ازاء الصراع الدموى الرهيب الذى يدور فى افريقيا اليوم بين خمسة ملايين من البيض و ٢٠٠ مليون من الافريقيين ٠٠ ولسوف تظل شعوب أفريقيا تتطلع الينا ، نحن الذين نحرس الباب الشمالى للقارة ، والذين نمثل همزة الوصل بينهم وبين العالم الخارجى ٠٠ »

(وتناول « جنتر » بعد ذلك قناة السويس وتاريخها ، والقاعدة البريطانية فيها ، والنزاع الذى دار بين مصر وبريطانيا بشأنها حتى تم توقيع اتفاقية الجلاء ، وكيف ان الولايات المتحدة حرصت على تفادى وصول هذا النزاع الى ساحة الامم المتحدة حتى لا يعد سابقة تبيح للامم المتحدة أن تتدخل بشأن « قناة بناما » ! ٠٠ وانتهى فى ختام الفصل الذى خصصه من كتابه للحديث عن مصر ٠٠ الى القول :)

٠٠ وهكذا ، وللمرة الاولى - منذ سنة ١٨٨٢ - لن تجد مصر على أرضها فى سنة ١٩٥٦ حامية بريطانية ٠٠ وللمرة الاولى منذ حوالى ٢٥٠٠ سنة ، ستظفر بالسيادة القومية الكاملة !

« وفى الاعداد القادمة ، أقدم لك بعون الله فصولا أخرى من هذا الكتاب الشائق »



دنيا الحب .. والسعادة!

للكاتب الألمانى الأشهر "اميل لودفيج"

تلخيص : عبد المنعم محمد الزيادى

نحو « دائرة معارف » ، للحب والسعادة !

◆ فى أعداد سابقة من « كتابى » ، لخصت لك فى هذا الباب كتابين قيمين ، هما : « فن الحياة » للمفكر « الفرنسى » أندريه موروا ، ثم « غزو السعادة » للمفكر « الانجليزى » برتراند رسل .. وقد عالج كلاهما الموضوع من زاويته الخاصة ، حسبما أملى عليه تفكيره وآراؤه .. واليوم أقدم لك كتابا للمفكر « الالمانى » الاشهر أميل لودفيج ، أدلى فيه بدلوه بين الدلاء ، وساهم بآرائه الناضجة وفلسفته الخاصة فى دراسة هذا الموضوع الحيوى الهام الذى يلمس العصب الحساس فى حياة كل فرد . وقد قسم لودفيج كتابه الى أربعة أبواب ، هى حسب الترتيب الذى وضعه لها : (١) ـ فى الحب . (٢) ـ فى السعادة . (٣) فى العظمة .. وأخيرا جعل للباب الرابع عنوانا غامضا هو : « ذات يوم » !

وفيما يلى أقدم لك الفصول الاولى من هذا الكتاب الشائق ، على أن أتبعها ببقية الفصول فى العددين القادمين .. كيما تكتمل لك ـ الى جانب الكتابين السابقين ـ دائرة معارف وافية للحب والسعادة

مقدمة المؤلف

◆ فى اللوحات التى رسمها كبار الفنانين ، تلمس دائما أثرا لشخصية الفنان . فالتصوير « الموضوعى » البحت لا وجود له ، واذا وجد فلا بهجة له ! والفنان ـ سواء كان وسيطه خرقة وفرشاة ، أو قلما وقرطاسا ـ انما يسكب جزءا من نفسه فى العمل الذى يبدعه . والملاحظ المدقق يسعه أن يستشف شخصية الفنان من طابع رسمه أو كتابته ..

ولا بد أن قراء « لوحات » التراجم التى صورت فيها ـ فى بعض كتبى السابقة ـ حياة عدد من العباقرة ، قد استشفوا فلسفتى الخاصة من مناصرتى شخصيات معينة ووقوفى موقف العداء من أخرى ، ومن اهتمامى بشرح آراء معينة وتحويرى وتبديلى فى أخرى ! .. ولقد انقضت خمس عشرة سنة منذ محاولتى الاخيرة أن أكون كاتب تراجم ، وها أنذا أعود اليوم فى صورة أدبية مختلفة .. فبعد أن صورت الكثير من الشخصيات فى القصص والتراجم ، **أصور فى هذه المرة « نماذج » من نظراتى الى الحياة .. وهى نظرات أقرب الى الأحاسيس والانفعالات منها الى المبادىء الفلسفية أو المنطقية ..**



وقد انتقيت هذه الاحاسيس والانفعالات من بين تجاربى ، وصورتها تصويرا رمزيا ، لاعتقادى أن التصوير الرمزى هو أمثل السبل لتحليل المشكلات !٠٠ وهكذا سيرى القارىء فى الصفحات التالية تلميذا مخلصا لأبيقور ، ذلك الفليسوف الذى أساء الناس فهمه ، والذى أحس أنه أقرب الى من سائر فلاسفة الاغريق !٠٠ وسيشهد القارىء دنيا فرد مشتط فى الايمان بالفردية ، يحاول أن ينتقل من دراسة القلب الانسانى الى دراسة الطبيعة جميعا !٠٠ وانها لدنيا لا أثر للمأساة فيها ! ٠٠ وسيجد القارىء أيضا أن الذى يبدى هذه الآراء ، ويصور تلك الأحاسيس ، انما هو رجل أوربى ، يستهدف سعادة الفرد أكثر مما يستهدف سعادة المجموع ٠٠ رجل لا يهتم بالكبح والقمع ، بقدر ما يهتم بالاقدام ، وبالعاطفة ٠٠

فالمثل العليا الثلاثة التى يدور حولها وجودى : الحب ، والسعادة ، والعظمة ، قد فصلت هنا فى أضيق نطاق ممكن ، كصور منتقاة من شريط الحياة ٠٠ **وفى ختام كتابى رسمت لوحة ليوم من تلك الايام الناعمة التى قضيتها فى بيتى بين العمل واللهو ٠٠ ومن يدرى ؟ فربما خرج امرؤ من هذا الكتاب بدرس قيم فى وسيلة اصابة المثل العليا التى أسلفتها ، لابالجرى وراء باطل اللهو ، وانما بالعمل المجدى ، وبالنأى عن زخرف الحياة !**

وعلى أى حال ، ها أنا أدعوك الى زورقى حيث أتأهب لمد الشراع كى يذهب يتهادى ، لا فى خضم المحيط ـ كما قد تظن ! ـ وانما على صفحة بحيرة منعزلة من بحيرات سويسرا !٠٠ نعم ، سيقلع زورقى فى صبيحة يوم من أيام الصيف ، يحدوه النسيم العليل ، فيمضى يختال على مرأى من التلال ، والأحراش ،والقرى الصغيرة ، وربما ظللته أحيانا سحابات الصيف البيضاء

اميل لودفيج ـ كاليفورنيا

البــاب الاول

فى الحب

١ ـ كيف نقع فى الحب ؟!

◆ **فى** خلال فترة الاستراحة باحدى المسارح ، نهض من مقعده رجل لا يشف مظهره عن سنه ٠٠ لقد أوشكت أعضاؤه أن تتجمد فنهض يخفف من توترها ٠٠ ذلك انه حين انتقل به مشهد الممثلة الاولى ـ البريمادونا ـ المتدفق بالحيوية الى عالم آخر ، وملأ حفيف ثوبها الفضفاض سمعه وبصره ٠٠ وعنــدما تأرجحت نغمات الكمان بين الصعود والهبوط ، أحس كأن جسمه قد من رصاص !٠٠ غير أن تألق الأنوار فى جنبات المسرح ، ودوى التصفيق ، عادا به رويدا الى نفسه ، فقام تاركا مكانه ، محركا رجليه ، مصلحا من شأن سترته ورباط عنقه !

٠٠ لكنه لم يلبث أن عاد وشيكا الى مقعده ، وتناول منظاره المكبر ـ وهو فى حال من التــوتر النفسى لا يريد أن يسلم بها ـ ورفعه الى عينيه وجعل ينظر من خلاله حواليه ٠٠ لم يكن يبحث عن شخص بعينه ، وانما كان ولا ريب يسعى الى استبقاء المشاعر التى تملكته ٠ الى استبقاء ما رأى وما سمع ٠ كان كيانه متأهبا منتظرا ، على أتم استعداد لتلبية أول حافز ٠٠

وفجأة كف عن التلفت ! ٠٠ فقد ارتسم فى عدستى منظاره رأس امرأة ، كانت تميل قليلا الى الوراء ، وقد توجهــا شــعر كستنائى ، وأضاء شعاع جانبى نصف محيــاها !٠٠ وكانت تريح احدى ذراعيها على حافة المقصورة ، بينما غيبت الأخرى فى طيات ردائها المخملى الاحمر ، الذى يحاكى لون النبيذ ، وبدا فى عنقها المائل شريان نافر ! ٠٠ وكان وضع رأســها ينسجم تماما مع روح اللحظــة ، فقد قربت ما بين رأسها وكتفها ، مع

انثناءة خفيفة ، كما لو كانت تستمع الى صوت يأتى من خلفها ٠٠ وما كان خلفها أحد ، بل كان « اللوج » خاليا الا منها ، فقد تركه رفقاؤها الى الممشى الخارجى ٠ لقد أحس كل انسان عند ما أضيئت أنوار المسرح ، برغبة فى أن يقول شيئا ، ومضى يشبع رغبته ٠٠ غير أن وحدة الرجل وصمته هنـــا ، ووحدة المرأة وصمتها هناك ، صنعت أول قنطرة خفية بينهما !

لقد اكتملت الأحلام التي أثارتها الموسيقى فى نفس الرجل بوقوعه على هذا المشهد ٠ غير أنه لا الحلى ، ولا الكبرياء ، ولا الابتسامة ، بل ولا مايسمونه عادة بالجمال ، هو الذى أسره ! شيء واحد فقط أخذ بمجامع قلبه : هو روحها التى شفت عنهـا انثناءة رأسها ، فلاقت من روحه استجابة ! أحس بالرابطـة تجمعهما على بعد المسافة بينهما، وأحس كأن قلبه صحا بل صار أتم ما يكون صحوا ٠٠

لقد قدر لقصة غرام أن تبدأ ، ما فى ذلك ريب !

ثم فتحت الابواب فى الطابق العلوى ، وعاد النــاس الى أماكنهم فى المقصورة ، وحركوا المقاعد وفرقوا بينها ٠٠ وارتدت المرأة سريعا الى نفسها ، وكأنها أفاقت لتوها من سحر الموسيقى ، فوقفت ٠٠ ورسم المنظار المكبر شكلها جميعا !٠٠ لم تكن أنحف من السيدة التى بجوارها ، لكنها وهى تسوى ثنايا ردائهـا المخملى ، وتمر بأصابعها فى رشاقة عليه ، حركت صور الحب ، الدائبة التغير فى مخيلة الرجل ٠ أحس لكل حركة من حركاتها اثارة جنسية ينتظمها الاحساس العام بالحب الذى تملكه !٠٠ ثم أخلت هيئة الجد المرتسمة عليها السبيل الى ابتسامة ، عندما التقطت لها السيدة التى بجانبها وشـاحها الذى سقط على الارض عفوا ، وهنالك جرى فيض جـديد من الأحاسيس والعواطف ، فى قلب الرجل ، كفيض النهر ! ولم تلبث الأنوار أن تخافتت ، وعلا صوت الموسيقى ، وطواه الفصل الثالث فى ضباب وردى جذاب ٠٠ وفى مكان مغنية « الأوبرا » ، أو على

الأصبح أمامها ، ارتسمت له صورة المرأة المجهولة ، صامتة كالطيف ٠٠ وفى نهاية المنظر ، عنـــدما جلست البطلة على الأريكة ، انثنى رأس المرأة جانبا ، وكأنما أمالتهوراء الانشودة الذاهبة ، وبدا كأنها ترتوى من الموسيقى ومن حظها فى الحياة معا !

وسرعان ما تحولت الصور المضطربة فى رأس الرجل الى صورة واحدة واضحة : لقد قرر أن يهرع الى مدخل المقصورة عندما تنتهى « الأوبرا » ٠٠ وهناك وقف بقلب واجف ، كقلب شاب أوشك فى يقظته أن يحقق رؤيا تمثلها فى حلمـــه ! ٠٠ لا بد انها ستمر به ، وينبغى أن يكون ذلك فى مكان يغمره النور ٠ أما أنها لن تكون متعجلة ، فقد أدرك ذلك من نموذج سلوكها ٠٠

٠٠ وبالفعل كانت آخر من ترك المقصورة ، ولكنها لم تحس حتى بوجوده ! ـ وكان واقفا فى مكانه وقد أذهلته الطريقة « الرجعية » التى أصلحت بها من شأن أسفل ردائها ، اذ رفعته الى مافوق ركبتها بقليل ! ـ ولكن شكرا لله ، لقد نسيت وراءها « البروجرام » !٠٠ وخطـا الى جانبها ، ثم سـبقها بقليل حتى أصبح فى مواجهتهـا ، وتدلت احدى يديه الى جانبه ممسكة بقبعته ، وامتدت يده الأخـرى اليها بالكتيب ! ٠٠ وسد أمامها الطـريق ، وخوطبت فى صمت فكفت عن المسير ٠ وفى أعـلا سترة قصـيرة مفتوحة الأزرار رأت رأسا نبت فيه شعر قصير، يضرب لونه الى لون الرماد ٠٠ كما رأت شفتين جميلتين ركبتـا



فى وجه تبدو فيه الحنكة والتجـــربة ، وعينين صافيتين تشفان عما وراءهما ولا تحجبان شيئا ٠٠

ووقف الغريبان لحظة أحدهما تجاه الآخر ، يربط بينهما ذلك الكتيب الذى امتدت به يد الرجل اليها ٠ ولما كان الرجل لم يقل شيئا ، فلم تحتج هى الى أكثر من أن تنحنى بأدب ٠٠ ثم مضت !

لقد قررت تلك اللحظات التى انقضت مصير شخصين لم ير أحدهما الآخر من قبل ٠٠ وقضت عليهما ـ لفرط العجب!ـ بأن يذكرا احدهما الآخر ٠٠ وبسبب نظرة واحدة ، ولحظة عابرة ، انشغلت منافذ حياة كل منهما بصاحبه ! ٠٠ لقد كان الاثنان ، الى لحظات مضت ، غريبين احدهما عن الآخر ٠٠ أما الآن ، فقد طبع كل منهما شخصية صاحبه بطابعه !!٠٠أكانت الموسيقى هى الرباط الذى ربط بينهما ؟ كلا ! بل لقد استأثرت الوحدة بهذين القلبين برغم كل ما سلف فى حياتهمـــا من تجارب ٠ استأثرت بهما فى هذا الوقت بالذات من تاريخ حياتهما ، وفى هذا المساء بالذات دون سائر الأمسيات ، فخفقا بالأمل وبالحسرة ٠٠ ولأنهما خفقا معا فى توافق وانسجام فقد جمع الحب بينهما !

٢ ـ الحب « معركة » بين جسدين !

• **فالحب** اذن ظاهرة «جسمانية » فى كل الأزمنة ، وفى ظل كل الأجواء ، وعلى مر جميع مراحل العمر !٠٠ والحب قد يقع بغير تمهيد نفسانى ـ بل هـــو كذلك فى آلاف من الحالات ـ ولكنه لا يقع قط بغير تمهيد جسمانى ! ٠٠ حتى بطلة أشد حالات الحب روحانية ، حتى « بياتريس » ، لم تخلد الا بسبب مظهرها الجسمانى : فعندما رآها « دانتى » الشاب فوق الجسر وأسره منظرها ، جعل من هذه الرؤيا شغل حياته الشاغل ٠ ومن المحقق أن اعوجاجا بسيطا فى عظمة الأنف ، أو صدرا هابطا منبسطا ، أو حتى رداء منفرا ، كان ولا ريب

كفيلا بأن يصد الشاعر العظيم فى تلك اللحظة الحاسمة ،ويعوق انطلاق خياله !٠٠ ومن المحقق أيضا أن روح « بياتريس » شعت من ناظريها ، وتبدت فى لمحات بصرها ، ولكن أنوثتها هى التى حركت « دانتى » ، وهى التى كان يضمها فى خياله ويعانقها فى أحلامه عندما رفعها الى السماء ملاكا طاهرا ، بينما كانت تلد الطفل تلو الطفل لرجل آخر !!

وبين هوى « بياتريس » الطاهر العذرى ، وبين « سيدة الاناشيد » التى وصف شيكسبير قصة هواها ، ومثلت على المسرح ٠٠ بين هذين الطرفين الأقصى والأدنى ، اللذين قد يميل الهوى بينهما الى هذا الجانب أو ذاك ، تقع دنيا بأسرها ! ٠٠ ومع هذا فالطرفان يجتمعان تحت لواء حقيقة واحدة ، هى أن المظهر الجسدى لامرأة قد جذب اليه رجلا ، وأيقظ فيه شاعرا نائما ٠٠ تماما كما فعل رأس المرأة المائل فى دار الأوبرا !

وليس ثمة حب بغير احساس بالفوز فى حلبة سباق ! ٠٠ ويتمثل هذا الفوز فى تقارب الاثنين ، وامتلاكهما أحدهما الآخر فى النهاية ، ويبدو هذا الفوز واضحا جليا فى أبسط صوره ، وأدناها الى الطبيعة ، فى «لعبة الحب» عند الحيوان ٠٠

هو سباق ، نعم ٠٠ ولكنه ليس سباقا بين روحين ، أيهما أقوى وأغنى وأسمى ، بل هو فى واقع الامر سباق يوشك أن يكون صراعا بين جسدين ٠٠ والذى ينكر ، أو يسعى جاهدا الى اجتناب الحب على هذه الصورة ، لن يفهم الحب قط !

وبينما الرجل يعترك فى الحب ويلهو معا ، اذا هو يصل من الحياة الى أرقى مراتبها ، بل انه ليقترب هنالك من الآلهة !

فالاختيار اذن ، واحراز قصب السباق ، هما عنصرا الحب الأساسيان ٠٠ أما الاحساس بأننا فى حلبة سباق ، وهو الاحساس الذى نستشعره فى كافة مخاطراتنا ومغامراتنا ، فهو عامل مميز للروح الانسانية فى كل حالاتها ، ومنها « حالة »

الحب ٠٠ واذا كان القديس ، والفيلسوف ، والبحاثة ،والأب، والصديق ، يرفعهم احساسهم بالتسابق ، الى مصاف الروح المجردة ، حتى أنهم قد لا يعرفون من مواقع الانتصار غير الموت، نجد أن العاشق هو وحده الذى يلتزم حدود العالم الجسدى ، ولهذا فهو وحده الذى يدرك النهاية التى يحق له عندها أن ينعم ويهنأ ٠٠ النهاية التى لا يصل اليها فى أى سباق آخر ! **فكل معركة بين شخصين لابد أن تنتهى بانهزام أحدهما ، الا المعركة بين الحبيبين فهى تنتهى بانتصارهما كليهما !**

وان هذه المعركة لتبدأ بنظرة !٠٠ فالشىء الذى أسرع بهذين الشخصين ، فى دار الأوبرا ، أحدهما الى رحاب الآخر ،وجعل من غريبين مثلهما شخصين لن يلبثا حتى يشكلا حياتيهما من جديد ويؤثران أحدهما فى حياة الآخر ، لم يكن فى البداية سوى نظرة ، أو قل نظرتين التقتا فقالت احداهما للأخرى : « أحبك » !

وانها العين التى تجرى الاختيار أولا ٠ ويستوى أن ترى العين الشخص حقيقة ، أو ترى « نموذج » روحه ، وطابع شخصيته ٠٠ فالعين ولا شك رسول « التجاذب » بنوعيه : « الروحى » ، بين النفوس ، و « المادى » بين الاجساد ٠٠ وتنفرد العين بهذه الخاصة دون سائر الحواس الاخرى ٠٠فانه لا يحدث الا فى القليل النادر أن يجتذب صوت يشدو أو يتردد فى أسلاك التليفون أو على أمواج الأثير ، شخصا آخر الى صاحب الصوت !٠٠ يقول «جيته» : **« ليت شعرى : لم هذه الحواس جميعا ؟! انهــا لا تجدى السعادة الا اضطرابا وتعقيدا ! ٠٠ عندما أراك أود لو فقــدت السمع ٠٠ واذا ســمعتك وددت لو فقدت البصر ! »**

ويعبر « كازانوفا » فى أحد آرائه المتعمقة ، التى رفعته ــ رغما عنه ــ الى مصاف فلاسفة الحب ٠٠ يقول عن أهمية « النظرة » ، والمقدرة على التعبير بها : **« ان امرأة مجــردة من**

الثياب ، مستلقية أمامنا وهى مغطاة الوجه ، لن تثير فينا اهتياجا ٠٠ ولكن امرأة كاملة الثياب ، سافرة الوجه ، قد تثير فينا ذلك الاحساس الجنسى الخفى الذى يبدأ عنده كل حب !٠٠
فالرجل الذى يقبل أن يمتلك امرأة محجبة الوجه ، ولا يستطيع أن يمتلكها الا ووجهها مغطى ، قد يفقد عقله لمجرد التفكير فى انه لا يعرف لمن وهب نفسه !٠٠ ولا ريب أن كل رجل قد جرب ، ولو مرة ، السحر الذى يفيض من عينى امرأة كاملة الثياب أو من ابتسامتها ٠٠

ومن ناحية أخرى ، فان جسد شاب قوى مكتمل النمومستلق على أريكة ، تلتقطه عينا المرأة ووجهه مغطى بمنديل يقيه حرارة الشمس ، يفتن المرأة أقل بكثير مما تفتنها ابتسامة وجه معبر لشاب مكتمل النمو يمر بها فى اللحظة عينها ! »

ذلك أن للحركة فى هذا المجال أهمية عظمى ، فمنظر الشخص النائم يستدعى الاحترام ، تماما كما يستدعيه منظر الميت ، ولهذا السبب كان آلهة الاغريق اذا هبطوا على فتيات عرايا نائمات ، لا يجرؤون على أكثر من تقبيلهن ٠٠ فالحب أشبه بمعركة مستعرة الأوار ، كل حركة فيها تثير أعصاب الشخص الذى جمحت به الرغبة ٠٠ أما السكون ، فيسير بالرغبة الى التضاؤل والانحلال !

والحركة تولد بدورها الحركة ، فان اثنين يترجلان عن جواديهما ، بعد وقت أمضياه فى الركض ، خليقان بأن يشدا جواديهما الى جـذع شجرة ، ثم يهويان الى الأرض المكسوة بالحشائش ويحتويان احدهما الآخر ، وكأنهما يتابعان ماكانا عليه من حركة رتيبة منظمة ٠٠

٣ ـ هل نحب من يشبهنا ، أم من يخالفنا ؟

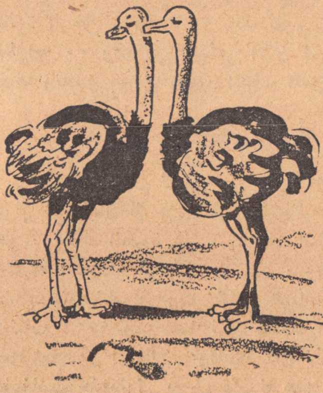
◆ ولكن ، أين يا ترى أودع سر الاختيار ؟! ٠٠ ما الذى يجتذبنا بعضنا الى بعض ؟ أهو التشابه ، أم التناقض ؟ ٠٠ هل نحن نحب لأننا نريد أن

نغير ما بأنفسنا ، أم نحب لأننا وقعنا على شريك تلائم ميوله ميولنا ؟

كلا الاحتمالين جائز ، وكلاهمـــا يوصـــل الى نتيجة ٠٠ فكثيرا ما نصادق شخصا قد قرب اليه صديقين ظلا دائما غريبين أحدهما عن الآخر : فهو قد قرب أحدهما اليه لتشابه ما بينهما ، وقرب الآخر لتناقض ما بينهما ! ٠٠ فالرجل الاسمر يبحث عادة عن فتاة بيضاء أو شقراء ، ولكنه يجد نفسه ، ولو مرة - لفرط دهشته - منجذبا الى سمراء يخالها الناس أختا له !

وكما أن الصداقة بين شخصين متشابهين فى الشكل والخلق تكون فى العادة اهنأ وأوثق من الصداقة بين شخصين متناقضين ، فكذلك الحب بين أنموذجين متناقضين ، غالبا ما يكون أقصر أجلا ، وان كان أكثر شدة وعنفا ! ٠٠ وعلى هذا فالزواج الناجح بين نقيضين جائز فى حالة ما اذا نما الشخصان معا ، واذا ضحى كل منهما بشىء من نفسه فى سبيل الاتفاق والوئام ٠٠ فى حين أنهما فى البداية ، عند ما استحوذ الواحد منهما على فؤاد الآخر ، كان تناقضهما هو مصدر هذا التجاذب بينهما ! ٠٠ ذلك أن اجتماع طبيعتين متناقضتين ينجم عنه حتما تطاير شرر العاطفة وشبوب نار الحب ، وهناك يختلط الأمر عليهما فلا يدرى أحدهما أهو « التيار الموجب » أم هو « التيار السالب » !

أنظر الى هذا الطاووس الذهبى وأنثاه ٠٠ انه يندفع وراءها رافعا تاجه فوق رأسه ، ولكنها تناوئه وتصده ، ثم تنفلت منه وتنطلق تسابق الريح ، فيندفع وراءها ، حتى يتمكن أخيرا من أن يضيق عليها الخناق فى ركن صخرى ٠٠ وهناك يحك ريشه العلوى الذهبى بريشه السفلى الأزرق ، وفجأة يطلق صرخة الفائز المسرور ، ويحتويهـــا فى نشوة وحماسة ٠٠ فتنزعج هى ، ويكاد يغشى عليها ، ولكنها مع ذلك تستشعر السحر والنشـــوة ! ٠٠ مثل هـــذه المناظر الرائعة ليس لها شبيه عند الانسان ٠٠ والواقع ان عمل الحيوان لا يبدو أحقر وأدنأ من عمل الانسان الا عندما يمسك الحيوان بأنثاه ، ويعتليها ، ويهزها ، ثم يتزاوج معها ٠٠ أما الانسان ، فهو وحده الـــذى تزود لكل الاحتمالات بســيل لا ينقطع من الاحلام والافكار ، ولذا فانه وحـــده الذى يســعه أن يرقى بهذه الغـــريزة الى أقصى مراتب النشـــوة النفسية ٠٠



شرراة الحب قد تتولد من مجرد التقاء العيون !

◆ ومع هذا كله ، فعندما تشب نار العاطفة ، تكون كلها حسية مادية ! فمنذ اللحظة التى تدفع فيها قوة غريبة مجهولة بشخصين أحدهما فى اتجاه الآخر ، عن طريق التقاء الأعين ، يجد كل من الاثنين نفسه غارقا - رغما عنه - فى لجة من المشاعر الحسية .. فالشىء الذى يسر الفتى ، ويسعده ، يدفعه الى الرغبة القوية فى ادخال السرور على فتاته وازجاء السعادة لها ، ومحاولة أن يكون عند حسن ظنها به فى كل كلمة يقولها أو حركة يأتيها !.. وهذا الاحساس البسيط الأول غالبا ما يتعقد فى حضور الغرباء أو بسبب العادات والعقائد والتقاليد التى أنشأها المجتمع . فاللحظة التى يتعارف فيها اثنان بواسطة ثالث ، فيحنى كل منهما رأسه للآخر - وقد لا يصافحه ! - هذه اللحظة الخاطفة تكون حافلة بمخبئات الاقدار ، فان روحين سابحتين فى مداريهما قد يلتئم شملهما فى تلك اللحظة نفسها فتصبحان روحا واحدة ! .. وقد تتقرر عندئذ ليالى بل سنين من الهناءة والسرور .. وقد يقدر لأطفال وأجيال أن تولد وتنسل !

واذا اختار كل منهما الآخر حبيبا ورفيقا ، صارا عندما يتحدثان معا - سواء عن الحرب أو الموسيقى - تجيش فى نفسيهما أحاسيس « الطاووس » الذهبى ومشاعره ! .. واذا كانا خبيرين بالحب وليسا جديدين فى ميدانه ، فسيعرف الواحد منهما فى الحال ما يحس به الآخر وما يفكر فيه ! .. فمثلا قد ترتفع يد المرأة النحيلة الرشيقة رويدا الى فتحة ثوبها العليا لتسويها بعد أن استقرت نظرة الرجل عليها ! .. وقد تغرى هذه الحركة الرجل على أن يتابع سياحة نظراته .. وها هى تستقر الآن فوق نهديها .. فأفكار الرجل تتبع حركة يدها وتحدو به الى تصور الدفء الذى تحسه الآن أصابعها !

سحر المرأة وأين يكمن ؟

◆ والواقع أن لا شىء فى بداية علاقة الحب - وأحيانا طوال مرحلته كلها - يؤثر فى خيال الرجل أكثر مما يؤثر ثديا المرأة ! .. ولا شىء قط فى جسده هو ، يملك المقدرة على مثل هذا التأثير فيها ! وهنا يتضح السبب فى هذه الحقيقة الصادقة فى كل الأزمنة ، وفى كل البلدان ، وهى أن المرأة لا يمكن أن يستثيرها مرأى رجل كامل الثياب ، كما يستثير الرجل مرآها وهى كاملة الثياب ! .. ومن هنا نرى معاهد الازياء فى كل الازمنة قد اختصت المرأة بعنايتها دون الرجل - وقديما كان نساء العصور السالفة يرتدين أردية مخملية فضفاضة جذابة لم يعرف عصرنا هذا لها مثيلا !

وعلى ذكر ثديى المرأة ، يغلب على الظن أن الطبيعة لكى تعوض عن الخفاء الذى ضربته على المصدر الأول للاثارة الجنسية فى المرأة ، قد أبرزت هذا المصدر التالى له فى الترتيب وأظهرته بوضوح شديد ، حتى أن أيدى الفنانين - على مر العصور - كدت فى تصوير نهدى المرأة وابراز مفاتنهما ، الامر الذى يبين مدى عمق الصلة وتوثقها بين الفن والحب ..

والواقع أن كل ما يبدو من جنس لعين الجنس الآخر قد يكون هو سبب اعجابه به واختياره اياه ! .. فنظرة المرأة تلمح ، ضمن ما تلمح ، شعر الرجل ، وأنفه ، وترقب كيف يضع يده فى جيبه ، وكيف يمسك بعود الثقاب ، وكيف يتخطى حجرا ملقى ، ونوع الحذاء الذى ينتعله .. الخ .. وفى تلك اللحظات الحائرة المضطربة ، قد تعطل الاختيار وتعوقه طريقة الرجل فى القبض على عصاه وهو يلعب « الجولف » ، أو طريقة المرأة فى رفع يدها عن فتحة ثوبها ووضعها على حافة المدفأة ! .. وكثيرا ما تفرق بين المصائر ، طريقة المرأة فى ترطيب شفتيها بطرف لسانها ، أو ضحكة الرجل الصاخبة التى جاءت فى غير موضعها !.. كما ان تلطفا زائدا ، وترفقا جاوز الحد يبدر من أحدهما أو يجلسان جنبا الى جنب فى السيارة ، أو محاولة تبدر مبكرة عن موعدها ، قد تقضى على كل شىء وتبدده هباء !

٤ - الحب يرهف احساس أغلظ الناس !

◆ واذا لم يكن الحب بمثابة « سباق » بين الجنسين ، فكيف اذن تغنى الشعراء من زمن الفراعنة الى اليوم - وسيظلون يتغنون الى الابد - بهذه السلسلة الطويلة من المعانى ، بادئين باللحظة التى تم فيها الاختيار الاول ، منتهين الى اللحظة التى تم فيها التسليم الاول ؟! .. الواقع أن الحب هو الشىء « الفنى » الاوحد الذى يتذوقه أبعد الناس عن الفن ، ولو مرة واحدة فى حياته .. فالرسالة أو الزهرة التى انهالت عليها القبلات قبل ارسالها ، قد ذرعت الدنيا طولا وعرضا ، وقربت أقل الناس حظا من الخيال الى دنيا الشعراء ولو لبضع دقائق .. يعود بعدها الى دنيا الواقع ، ويهبط من عالم الروح الى عالم المادة ، فيلجأ الى أحاديث التورية الملتوية ذات الوجهين .. والى التعبيرات التى تطلق على المعنى القريب وتومىء الى المعنى البعيد .. أو تطلق على الواضح البين وتهدف الى الخفى الخبىء !.. ها هما الحبيبان واقفان مثلا فى ركن غرفة يتأملان لوحة فنية ، فاذا الرجل يمتدح فى حماسة تلك الفتاة العارية التى رسمها « أمالول» . واذ ذاك تفهم رفيقته توا أنه يتمثل فى هذه اللحظة صدرها ؟ .. ثم أنظر اليه . انه فى الوقت نفسه يضع يده فى جيبه ، ويقف وقد شد عضلات جسمه فأظهر فارع قوامه ورشيق قده ، ووضع أمام عينى رفيقته النموذج الكامل لرجولته .. بل انه يتخطى هذا كله الى ابتسامة

عريضة يفتر لها فمه عن أسنان بيضاء ناصعة ، كى تستشف رفيقته من وراء ذلك كله مقدار حيويته ومبلغ قوته !

وهناك مئات من التقاليد والاعتبارات الاجتماعية تنأى بالحبيبين عن المتعة الحسية فى مرحلة مبكرة من حبهما ، وتجعل السباق من أجل الحب يتقدم بطيئا متعثرا ، فيمتد بامتداده أجل المتعة النفسية التى يجنيها الرفيقان مثلا من اجتراع كأسين من النبيذ معا ، أو من تناول قطع الحلوى ، أو من العودة الى البيت سيرا على الاقدام !

فاذا ما تم الاختيار ، جعل كل من الرفيقين يدبر الفرص التى تمكنه من الاقتراب من صاحبه : فقيام الرجل من مقعده منتفضا ليساعد فتاته على ارتداء معطفها ، كى يلمس كتفيها ! ٠٠ وتحفز المرأة وهى تلتقط من الرجل منديلها الذى أسقطته عمدا ، لكى تلمس يده ! ٠٠ ومرورهما معا من باب ضيق يحتم احتكاكهما ٠٠ مثل هذه اللحظات التى تسنح لهما منذ الساعات الأولى التى تعقب اتمام الاختيار ، تثير فيهما رعدة ونشوة لا يدانيها حتى الاتصال الجنسى المطلق فيما بعد !٠٠ (فضلا عن أن الأزياء العصرية ـ التى تكاد تكشف عن معظم أجزاء الجسم ـ قد حرمت الرفيقين من الاستمتاع باللحظات المثيرة التى كان يكفلها فى الماضى اجتماعهما الأول !)

الشك يحيى الغرام !

◆ وللشك دور كبير فى انماء الحب فى مرحلته الاولى ! ٠٠ فأنت ترى الرفيقين قبل المساء الذى حدداه لاتمام الاختيار ، وقد أغلق كل منهما باب غرفته دونه ، وجعل يردد لنفسه كل عبارة فاه بها رفيقه ، ويستعيد كل نغم من نغمات صوته ، ويتمثل المواضع التى تفوه بها رفيقه بهذا اللفظ أو ذاك ٠٠ أجل ! فالشك ما يزال حيا فى قلبى الطرفين ، وهما ما زالا يتساءلان : أترى الأمر كله لا يعدو أن يكون خيالا ؟!٠٠ أما المرأة فان الشك يجعلها تسائل نفسها وهى ماثلة أمام المرآة تصلح من زينتها : « ترى هل لا يزال يحبنى ؟ » ٠٠ وهى تتصور فى موقفها هذا أنها تسائله ، ولكنها فى الوقت نفسه تسائل نفسها : « هل أحبه حقا ؟! » ٠٠ وبينما هى تعرض فى رأسها الصغير مئات الأجوبة المتناقضة المتباينة ، اذا بها تستسلم للكرى ، وهنالك يأتيها رفيقها بالجواب الصحيح على أجنحة الاحلام !

٠٠ أو لعله يأتيها بالجواب حقا على أجنحة الهواء ٠٠ فقد تمتد يده فى تعثر فتمسك بسماعة التليفون ، ويفاجئها نداؤه ، ولكنها تتمالك نفسها وتتصنع الاتزان فلا تندفع وراء أسئلته ، بينما يبتسم كل منهما لنفسه فى شىء من الاضطراب ! ٠٠ أجل فالتليفون أصبح عاملا مهما من عوامل الاتصال ، وانه ليهيىء للحبيبين فى هذا العصر الحديث نوعا طريفا حقا من أنواع الوصال !

وتلك الطريقة المصطنعة التى ترد بها على أسئلته ، وذاك النغم المتعثر الذى يحدثها به عن أشياء تافهة بينما هو يضمن صمته بين كل عبارة وأخرى هدفه الحقيقى ، وهذا الخيال الذى يجمح به يريد أن يصور له كيف تبدو الآن وهى تخاطبه ، وهذه الفكرة الساحرة التى تداعبه وتوحى له أنها ستدعوه ليذهب اليها ! تلك هى وسائل سباق الحب ٠٠ غير أن الحواس الخمس هنا قد تخلت عن أعبائها للاذن وحدها فلم تقو الاذن على حمل هذا العبء كله ، فقوى بذلك ساعد الشك !

وفى الاجتماع التالى تقوم الحواس الخمس كل بنصيبها الطبيعى ، ولكن ميدان عملها يطول ويعرض ، وتتسع فيه المنافذ ، وتتعدد السبل ٠٠

٥ - أهمية اللقاء الثانى !

◆ المرء مجبول على التعجيل برؤية منظر ساحر ، أو الاستماع الى لحن رائع ، أو الالتقاء بحبيبه مرة ثانية !٠٠ فان الرهبة والاضطراب ، والدهشة والتساؤل ، والشك والنشوة ، تحول كلها دون أن يستمتع المرء فى المرة الاولى برؤية « روما » مثلا ، أو الاستماع الى « السيمفونية » الخامسة لبيتهوفن ، أو - على الأخص - الالتقاء بالحبيب الذى اختاره ! ٠٠ أما زوال الدهشة ، والاطمئنان الى حسن الاختيار ، وتحول الجبن والحياء الى ابتسامة رقيقة ، فلا يحدث كله الا عند الالتقاء الثانى بالأشخاص أو الأشياء التى اجتذبتنا !

أجل ! ٠٠ فنحن ينبغى ألا ننسى سحر اللقاء الثانى ، الذى هو فى الواقع بمثابة اللقاء الأول الذى نعيش فيه بكامل حواسنا وجميع كياننا ٠٠ فهناك ينساب سيل من الأطياف والخيالات والأحلام التى تؤكد لنا ، وتقرب الى ادراكنا ، أننا قد امتلكنا حقا الشخص الذى وقع عليه اختيارنا فى اللقاء السابق !

واللقاء الثانى هو الذى يسعنا فيه تقدير الموقف تقديرا واضحا بينا ، وتحليله تحليلا منطقيا ومعقولا ، والتفكير فيه تفكيرا قويا سليما ، ينتهى بنا الى الانصات لصوت قلوبنا وهى تصرخ فينا أننا أحسنا الاختيار فلم نزل ولم نخطىء ٠٠ ومن ثم نذهب نحاول ، من هيئة ثيابنا ، وأسلوب حوارنا ، أن نؤكد للرفيق المختار أنه بدوره قد أحسن اختياره فلم يزل ولم يخطىء !

ثم تجمح بالرفيقين الرغبة فى التعجيل بقطع الطريق ، فاذا هما يضربان صفحا عن كل ما بدر منهما ولم يرق لأيهما : كعبارة أفلت بها اللسان أو حركة زل بها الجنان ، واذا هما تحت ستار ابداء رضائهما التام ، يحاول كل منهما استدراج صاحبه عن طريق التساؤل الكثير الى كشف النقاب عن الماضى الخبىء !

.. والزيارة الأولى !

◆ ولعل زيارة الرجل الاولى لمنزل المرأة التى اختارها ، من الأهمية بمكان كبير .. فهنالك يسعه أن يتعرف على حقيقة ذوقها ، وحبذا لو كانت لها حجرة خاصة بسيطة بدلا من قاعة فسيحة يزدحم فيها الأثاث والرياش .. كما انها عند زيارتها الاولى لمنزله تنتهى الى رأى فيما ينقصه ، وفيما يسعها أن تمده اليه من عون ..

والرجل فى مثل هذا الموقف يكون موضوعى النظرة والرأى : فكونها تفضل اللون الأحمر على ما سواه من ألوان ، ينبئه عن ميولها بأكثر مما ينبئه تفضيلها الديموقراطية على ما عداها من النظم !.. واذا كانت ترعى طائرا فى قفص ، فانه يستخلص من هذا مقدرتها على ابداء العطف - وحبها الشديد لنفسها فى الوقت نفسه ! - كما ان الطريقة التى تحمل بها قطها وتضعه على ركبتيها وتمرر أناملها عليه ، توحى الى الرجل بأكثر مما توحى اليه آراؤها فى الحرب العالمية الثانية !.. فالعقل قلما يساعد على انماء الحب واذكائه ، بل قد يخنقه فى مهده !

وقلما « يصمت » المرء فى هذا اللقاء الثانى .. انه يتكلم ، ولكنه يحمل كلماته كل ما وسعت الكلمات من المعانى الخفية !.. وفى اللحظة التى ينتقل فيها التخاطب من لفظ « حضرتك » الى التخاطب بلفظ « أنت » .. تنبعث القشعريرة فى جسديهما كما انبعثت عندما تلامست الأيدى ! وتصطبغ الرغبة الجنسية فى الحبيبين عندئذ لأول مرة بصبغة روحية ، وغالبا ما تبدأ الشفاه التى فرغت توا من التقبيل ، بأول استعمال للفظ « أنت » ! .. ولكن حتى الى هذه المرحلة ، يكون الطريق ما زال محتاجا الى مزيد من التمهيد .. فان شك الرجل ، وخجل المرأة ، والتباطؤ والتلكؤ من كليهما ، قد تحول كلها دون تلاقى الشفاه ، وتطوح بالقبلة الى موضع من الخد الأسيل ، أو الشعر الداجى ، ظل يجتذب الرجل زمنا طويلا ! .. وهكذا يظل الاثنان يحسان أن السباق ما زال جاريا ، وان فرصة التراجع متاحة ، الى أن تتلاقى الشفاه .. فليس غير القبلة الحارة الصادقة خاتم يوقع ميثاق الحب بين الرفيقين !

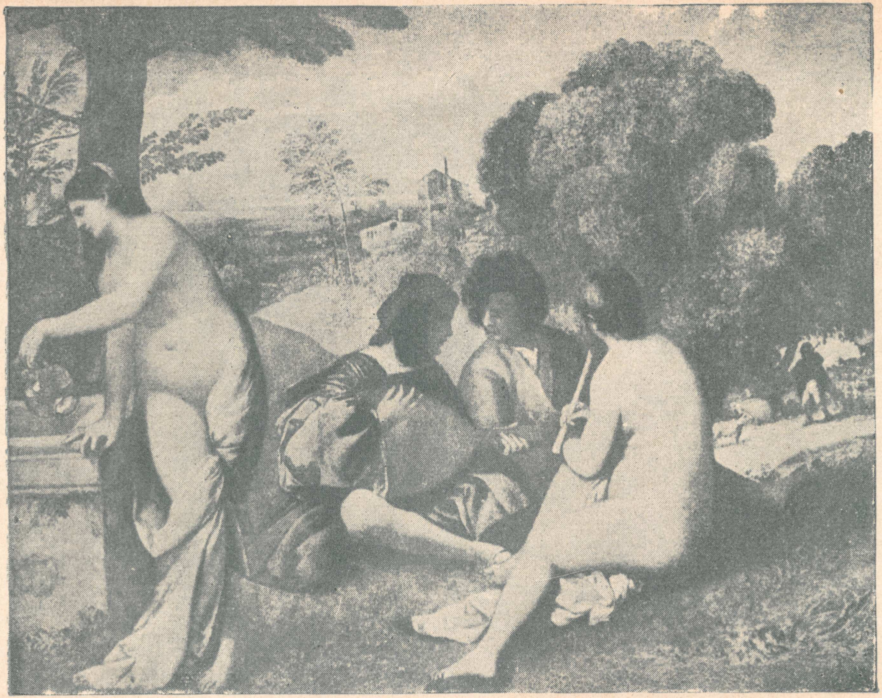
القبلة الاولى .. والقاء السلاح

◆ والقبلة الاولى هى نقطة التحول الدقيقة فى كل قصة غرام .. فهى تؤثر فى علاقة الحبيبين أحدهما بالآخر أكثر مما يؤثر التسليم النهائى ،



امرأة من نساء الليل !

لوحة فوتوغرافية للفنان « يوجين روبين دي رايس »



موسيقى الطبيعة .. وموسيقى الانسان

(لوحة بمتحف «اللوفر» ، للفنان « جيورجيونى »)

ذلك ان القبلة فى حد ذاتها تنطوى على معنى التسليم النهائى . وهنا يختلف الكفاح من أجل الحب عن أى كفاح آخر ، فهو كفاح روحى يبذل فيه المرء من نفسه وروحه ، وان لاح أنه يغنم ويكسب !.. فبينما المحب تزيده كل لحظة تمر عليه فناء فى محبوبته ، لانه يعيش فى حياتها ويستنشق عبير انفاسها - ومن ثم فحياتها أيضا تزداد غنى وثراء مستمدين من حياته - اذا بالقبلة الاولى ترفعهما كليهما الى عالم طلق منزه من كل غرض .. وتقودهما النشوة ، والرهبة المستعذبة التى تتملك على الاخص الحبيبين الحديثى السن ، الى أبواب الفناء ، حيث يحسان فى تلك اللحظة أنهما قد وصلا من منافذ الحياة الى منفذها الأقصى .. وهذا هو السر فى أن العاشق ينزع الى الوحدة ويهفو الى العزلة ، كى يحقق فى سماء خياله اتصاله الروحى بمن يحب ، تماما كما ينشد الناسك العزلة ليعبد الله ، أو كما يخلو الفنان لنفسه كى يؤلف لحنا ..

ولعله يسعنا أن نتخيل ذلك الحب الذى يرتفع الى سماء القبلة الاولى فيود الحبيب لو انتهى أجل الحب كله هناك ، فلا يعود يتعرض بعد ذلك لما يبخسه قيمته ، ويسلبه جوهره .. فالقبلة الاولى هى جوزاء سماء الحب ، ولن يدانيها بعد ذلك فى المنزلة شىء !

ومع هذا كله فالرومانطيقية لا تبدأ الا بعد القبلة الاولى ! فقد لا تمر سوى لحظات ، وقد تمر أعوام ، بين القبلة الاولى وبين القاء المرأة سلاحها .. وتقريب أمد هذه الفترة أو اطالتها يعتمد دائما على شخصيتى الرجل والمرأة ، وعلى تجربتهما ، وما كان لهما من ماض .. فالأمر كله يعتمد على الذوق دون العاطفة .. وقد طالما تعثر العاشقان الغريران فى تلك الفترة التى أعقبت القبلة الاولى ، لقلة حظهما من الخبرة والتجربة . بل ان مجرد تفكير العاشق « الغرير » فى أنه سيهوى من علياء سماء الروح المنزهة الى ارض الجسد المغرض ، قد يدفعه أحيانا الى الانتحار !

الحب الأول ، ينتشى به الشاب والفنان !

◆ وأكثر من ينتشى بالحب الأول هم ذوو المشاعر المرهفة ، والأنفس الفائقة الاحساس ، الذين يطوح بهم الحب الى عالم الطفولة المرح السعيد ، ولكنهم فى الوقت نفسه يحسون أنهم قد ألقى بهم فى عالم غريب عنهم ، وان يكن أبهج وأغنى !.. أما بين من تجاوزوا عهد الشباب ، فلا يعدل الشاب فى نشوته بالحب ، الا الفنان !

ولما كان الرجل يجرب احتدام العاطفة وشبوبها فى زمن الصبا ، فهو لذلك خليق - اذا ما تقدم به العمر ، واستقر به المطاف ، واطمأن الى الحياة - أن يرجع الطرف الى زمن الصبا الذى انقضى ، وعلى شفتيه ابتسامة

هى مزيج من الاشفاق والسخرية مما يسميه حبه الأول !٠٠ فتراه وقد اتزن عقله ، واكتمل ادراكه يتندر ويتفكه بما جرى له فى عهد الصبا الجائش المضطرب ٠٠ ومن هنا كانت الصخرة التى تتحطم عليها كثير من الزيجات : فالمرأة اذا تقدم بها العمر لا تسخر من الحب ولا تستهزىء به ٠٠ فهى على نقيض الرجل لا تميل الى النظر الى الحب كمجرد متعة للخيال والقلب ! وأشد ما تلتهب عاطفة المرأة فيما بين الثلاثين من عمرها والخمسين ، أى فى ذلك الوقت نفسه الذى ينشغل فيه الرجل بالكفاح من أجل الوجود ، والثروة ، والمركز ، والشهرة ٠٠

وهذا التباين فى مراحل العاطفة بين الرجل والمرأة مرجعه الى الطبيعة الحيوانية فى كل منهما : فالرغبة الحيوانية الجامحة فى الرجل تسعى الى أن تنطلق وتتحلل من ذلك الضغط الكبير الواقع عليها ٠ ولهذا فالرجل أقل ميلا ، بل أقل مقدرة على اطالة زمن الحب من المرأة التى تدفعها الرغبة الحيوانية الى الحصول من الرجل على أكثر وأكثر ٠٠ وهذا هو السبب فى أن الحب هو العنصر الذى لا تستغنى عنه المرأة أبدا ، فى حين يستطيع الرجل أن يستغنى عنه ، ان لم يكن على الدوام فلفترة مؤقتة على الأقل !

وبينما الطبيعة تقود المرأة فى المسالك التى تؤدى الى الحب ، ذلك الحب الذى لا تستبين أثاره الا بانجاب الأطفال ، اذا بالرجل يقنع من هذا كله بالتخفيف من ضغط حوافزه ورغباته ! وقد يحطم الرجل الزواج بدافع من كبريائه وغروره ، أو لكى يقنع نفسه بأنه ما زال شابا وان تقدمت به السن ٠٠ وقد تحطم المرأة الزواج أيضا ولكن بالاندفاع وراء خيالها !

واذا كان زمن شبوب العاطفة فى الرجل يتقدم زمن شبوبها فى المرأة ، فليس بعجيب اذن أن ينشأ الحب بين شاب وبين امرأة تفوقه سنا ٠ ومثل هذا الحب يثمر أحسن الثمر ، الا أن معظمه ينتهى الى مأساة ٠٠ فالمرأة المكتملة تستمتع بلذات الحب من جديد فى ظل الشاب ، وترتفع بها طبيعتها كامرأة ناضجة الى مراتب من السعادة لا توصف ، كما أن الشاب بدوره يسلم ، فى ظل امرأة تكبره سنا ، من الارتباك والرهبة التى تصاحب زواج اثنين حديثى السن ٠٠ وتتجلى روعة الحب كفن يمكن اكتسابه والتدرب عليه، فى شاب وفتاة حديثى السن ارتبطا بالزواج ، ثم أخذا ـ بعد مضى وقت قصير أو طويل ، أو ربما بعد أن أنجبا أطفالا ـ فى التعلق بأهداب الحب واكتناه أسراره !

وفى العدد القادم ، نقرأ معا الجزء الثانى من هـذا الكتاب الممتع !



مدرسة الوالدين

للباحثة الفرنسية
الدكتورة سوزان برونيه

فتياتنا.. المراهقات!

تلخيص : كليم أبو سيف

الخفقات الأولى .. لقلوب المراهقات !

◆ اذا سمعت ناقوس الخطر يدق فى منزلك ، ذات يوم من أيام الربيع ، فاعلم ان ابنتك أصبحت على عتبة حياة جديدة ، لن تلبث ان تلجها ، وقلبها يخفق خفقاته الاولى ، المضطربة ، المترنحة !.. انها قد انتقلت من مرحلة الطفولة الى مرحلة المراهقة .. وآن لك ان تتساءل : ما العمل ؟.. هل هى فى حاجة الى رقابة ؟.. أم الى حراسة ؟.. أم الى حبس فى منزل مغلق عليها ، لا يزورها أحد ، ولا تزور أحدا ؟!

ان البحث الذى أقدمه اليك اليوم ينير أمامك السبيل ، فى هذا الأمر الذى يعد جد حيوى ، بالنسبة الى كل أسرة تضم بين أفرادها فتيات . وهو من البحوث التى قدمتها الباحثة الفرنسية الدكتورة « سوزان برونيه » ، فى سلسلة المحاضرات التى نظمتها « مدرسة الوالدين » بجامعة باريس ..

انتبهوا .. لقد تغيرت ابنتكم !

◆ **كثيرا** ما نسمع الآباء والامهات يكررون هذا القول عن بناتهم :

« لم يعد فى الامكان فهمهن ، فقد تغيرن تغيرا تاما » !.. واذا بفتياتنا يجبن على هذا الاحتجاج ـ وهن نصف مستسلمات، نصف متمردات ـ بشكواهن من آبائهن وأمهاتهن قائلات : « ان آباءنا وأمهاتنا لم يعودوا يفهموننا » !

ونحن نعترف بأنه ليس من اليسير ادراك التغيرات العميقة التى تطرأ على فتياتنا ، فيما بين الثانية عشرة والعشرين ، ولكننا نتساءل : « ألم يسبق للأم أن مرت بهذا البوغاز ، واجتازت هذه المرحلة ؟.. فكيف يصعب عليها اذن فهم ابنتها ، وهى تجتاز نفس المرحلة ؟ » .. وما نلبث ان ندرك ان استعادة الذكريات ليست بالأمر السهل ، فقد غيرت التجارب التى مرت بالأم من أفكارها وعقليتها ! .. الا أنه من حسن الحظ أن ظهر اخصائيون ، كرسوا أنفسهم سنين

عديدة لدراسة مشاكل المراهقة والمراهقين ، فأصبح فى مقدورهم أن يقدموا الى الآباء والامهات ، ثمار بحوثهم ، ونتاج دراساتهم ..

.. ان ابنتك ياسيدتى لم تعد طفلة .. فأنت لا تستطيعن معاملتها الآن على أساس هذا الوهم !

انظرى اليها .. ودققى النظر !..

لقد تغيرت سحنتها .. كذلك وجهها قد شابه التغير !

.. وانكم لتخطئون أيها الآباء والامهات ، اذا ظننتم ان البلوغ يقصر تفاعلاته وتأثيراته على جسم الفتاة فقط .. انه يغير من معالم معنوياتها ، بقدر ما يغير من ملامح مادياتها !.. والفتاة بعد ، هى أول من يلحظ هذا التحول ، وأول من يحس بوجوده !

أيها الآباء .. وأيتها الامهات ..

أنظروا اليها ، ودققوا النظر .. ألا ترونها وقد أصبحت تميل الى العزلة ؟.. ألا ترونها وقد باتت منطوية على نفسها ، متيقظة الى انفعالاتها الجديدة ، شاعرة بها ، واعية لها ؟!

أحلام المراهقات !

◆ **لقد** كانت للفتاة فى الماضى ، وقبل أن تبلغ هذه المرحلة ، أسباب مسراتها .. ومنغصاتها أيضا . ولكنها سرعان ما كانت تسدل عليها ستار النسيان ، لانها الحشائش التى تنبت فى مرتع الطفولة . أما الآن ، فهى غيرها بالامس ، اذ بدأت تشعر بغير ما كانت تشعر به فى طفولتها ، وأصبحت نهبا موزعا بين أحاسيس غامضة ، متناقضة : فهى تارة حزينة دون أن تعرف لهذا الحزن سببا .. وهى تارة مبتهجة دون أن تعرف لهذا الابتهاج سببا !.. وهى فى كلا الحالين تتذوق الحزن ، كما تتذوق الابتهاج ، بلذة ومتعة بالغتين !

ولو أنكم نفذتم ببصائركم الى اطواء حياتها الداخلية



الجديدة ، وفتحتم صفحات هذا الكتاب وقلبتموها ، لأمكنكم أن تروا كيف تتعاقب على نفسها المشاعر المختلفة : فيوما هى حالمة ، محلقة فى سماء من الخيالات صافية الأديم ، ويوما هى شاردة العقل ، مشتتة الذهن ، وقد تلبدت نفسها بالغيوم ! ٠٠ فهذه « جانين » حالمة ٠٠ فى أى محيط هى سابحة ، وفى أى جو هى محلقة ؟٠٠ انها تتخيل الدنيا مثيرة ، وتحس بما حولها شيقا ٠٠ انها فى قارب مع فتى جميل ، جرىء ، مفتول الساعدين ، لا يهاب شيئا ٠٠ وهما يسبحان معا فى ضوء القمر الذى يغمرهما بأشعته الفضية، والأمواج تهدهد القارب الذى احتواهما ، كما تهدهد الام وليدها بحنان

٠٠ وهذه « دانييل » تهيم على وجهها فى مستقبل غامض مغلق ، مغلف بالأعاجيب ٠٠ فهى تتخيل نفسها فى حجرة ذات ستائر قرمزية أو بنفسجية أو وردية ، وقد استيقظت من نومها متأخرة ، وأخذت تتمطى فى سريرها ، متثاقلة مسترخية ٠٠ ثم هاهى تسحب نفسها من فراشها رويدا رويدا ، حتى تقف على قدميها أمام المرآة !٠٠ فماذا ترى فى المرآة ؟٠٠ انها ترى نفسها جميلة ، جذابة ٠٠ وقد بدأ الرسام الأعظم يخط على جسمها ووجهها ، بريشته السحرية، أولى سطور الفتنة والجمال !

فعلام تدل كل هذه الأحلام والخيالات التى تتفتح براعمها

فى ذلك القلب الصغير ، وتلك النفس البكر ؟.. انها تدل جميعا على شىء واحد ليس الا ، وهو : الرغبة فى استثارة الاعجاب .. وفى استثارة الحب .. اعجاب الآخرين بها ، وحبهم لها .. فى عهدها الجديد !

والخيال سراب ، لا يعرف المستحيلات ، ولا يؤمن بالصعاب !.. فكل شىء فى خيالك ممكن يا فتاتى المراهقة : قوارب من ذهب ذات مجاذيف من زمرد .. وقصور قائمة على أعمدة من ماس ، رصعت سقوفها بالزبرجد وطعمت أرضها بالياقوت !

ومن هنا ، كانت تلك الحساسية المرهفة المفرطة ، وذلك الشعور المضاعف بالحزن والخيبة ، عند أهون صدمة .. ومن هنا كانت هذه الوثبات الخاطفة من النقيض الى النقيض: من الحزن القاتل الى الفرح الشامل .. ومن الأمل الباسم العريض الى اليأس المطبق الحالك البغيض !

فتاة اليوم .. وفتاة الأمس

◆ وتختلف الفتاة المراهقة ، فى عنف مشاعرها وتدفق أحاسيسها واشتعال روحها ، عن الفتى المراهق اختلافا هائلا . لذلك تنظر الفتاة الى الفتى فى هذه السن ، فتجده تافها ، لا يكترث به ولا يؤبه له !



ومن يدرى .. فقد تكتب فتاتنا مذكراتها – كما يحدث هذا كثيرا – بين سن الرابعة عشرة وسن الثامنة عشرة ، وتستغرق فى الكتابة استغراقا تاما عدة شهور .. وهى تدون فيها ذكريات حالمة ، ناعمة .. كصداقة حارة ، أو اكتشاف للربيع ، أو ظهور بواكير الحب الأول !

ولكن حذار أن يقرأ هذه المذكرات أحد سواها ، لانها لا تكتبها ليطلع

عليها الفضوليون ، وانما لتزيل بكتابتها الغموض عن نفسها ، فتصبح قادرة على تفهم انفعالاتها الجديدة !

ثم تمر الأزمة ، وتهدأ العاصفة الصغيرة ، وتنطفىء الجذوة الدافئة .. فلا يدهشنا ان نراها وقد نسيت تلك المذكرات ، التى لم تكن فى حينها الا متنفسا لأحاسيس اضطرمت بين ضلوعها .. بل لا يدهشنا أن نراها تمزقها ، لانها لم تعد ترى فيها ما يستحق الابقاء عليها أو الاحتفاظ بها !

ولكن ، ما تلبث فتاتنا ان ترهف سمعها لنداء الحب !.. يحدث لها هذا ، فى الوقت الذى تعاملونها فيه ـ يا حضرات الآباء والامهات ـ كأنها لم تزل طفلة صغيرة ، وفى الوقت الذى تبدأ فيه قوائم نفسها فى الاهتزاز من شعور جديد تضطرم به نفسها ، كصداقة تحسها نحو رئيستها أو احد أساتذتها مثلا ، فاذا بها مسحورة بشخصية تكبرها سنا ، ترى فيها مثلها الأعلى المنزه عن العيوب ، ولا تنقطع عن التفكير فيها تفكيرا مشوبا بالغيرة حينا وباليأس حينا آخر !

وهذه « الشعلة » تعتبر « زيا » قديما فى نظر فتيات هذا الجيل المتحررات، الرياضيات ، اللواتى يكشفن عن سيقانهن وصدورهن ، ويرسلن جدائلهن ليعبث بها الهواء !.. فهن يختلفن عن بنات الجيل القديم ذوات الخواصر المنطقة ، والثياب الطويلة حتى القدمين !.. ورغم ذلك ، فان فتاة اليوم المتحررة ، ما تزال تعرف الصداقة المستقلة ، وتتذوقها ، بل وتستعذب مذاقها . والفرق بين فتاة اليوم وفتاة الأمس ، فى هذا الصدد ، أن الاحساس المبكر بالحب عند فتاة الأمس كان « اختبارا اجباريا » ، بينما هو عند فتاة هذا الجيل « تربية عاطفية » !

الغذاء العاطفى .. يسيل اللعاب !

◆ ان جوع مشاعر الفتاة المراهقة ذو سعار شديد !.. فهى لا تتورع عن التهام أى غذاء لتشبع نهم عواطفها .. فتارة تختلف الى مائدة عامرة بالقصص الحافلة بحوادث الغرام والمغامرات ، وتارة أخرى تختلف الى الأفلام السينمائية التى تروى أساطير الفروسية والفرسان .. الى غير ذلك من ألوان الغذاء العاطفى الذى كلما التهمت منه قدرا ازدادت شهيتها عنفا وقسوة !!

ولو أنكم تصفحتم بعضا من أعداد الصحف والمجلات التى تعالج شئون المرأة ، لرأيتم ان أكثر ما يجذب التفات الفتاة فى هذه السن ، هى الامور التى تتعلق بالمغامرات العاطفية .. فهى تحملق فى هذه الأسئلة اذا وقع بصرها عليها :

« هل تستطيع فتاة أن تحب رجلا متزوجا ؟.. أنه لم يكتب الى منذ لقائنا

الأخير ، فهل أبدأ أنا بالكتابة اليه ؟.. اننى أحب رجلا يكبرنى فى السن كثيرا ، ويرفض أبواى أن أعاشره بعد الآن .. انه يائس حزين .. وأنا مثله أيضا ، يائسة حزينة .. فماذا أصنع ؟! »

وتنشط الفتاة فى البحث عن قواعد للحياة العاطفية تسير على سننها ، وتتقصى فن الحب كي تنجح فى حياتها .. كامرأة !.. ففى أخبار تلك الصحف والمجلات تلتقى بصور حية لخيالاتها ، فى تلك المرحلة من حياتها . فهى تقرأ عن ذلك المغامر الجسور الذى سلب قلب امرأة ، دون أن يردعه عن ذلك وازع من ضمير أو خلق !.. وتطالعها الصحيفة بقصة عاشق ولهان يحوم حول منزل حبيبته ، ويبيت الليل ساهرا تحت نافذة حجرة نومها !.. ثم تقرأ قصة تلك الفتاة التى أوقعت الفتى فى شرك غرامهـــا حتى جن بها حبا ، واذا بها تتركه فريسة لواعج غرامه ، وتهجره الى رجل آخر !.. وكذلك تطالع ما يكتب عن مدى ما تحدثه الأنانية والشهوات ، من مسخ فى تصرفات الرجل والمرأة على السواء !.. وتختلف التفصيلات ، وتتباين الصور ، ولكن النهاية واحدة ، وختام الرواية واحد فيها جميعا : فاما حب متبادل عنيف ، ينتصر فى النهاية على كل ما يعترض سبيله من صعــاب وعقبات .. واما حب متبادل عنيف ، ينهزم أمام العقبات .. واما حب عنيف ، ولكنه غير متبادل ، يقود الحبيب التعس المهجور الى قضـــائه المحتوم !

أرأيتم الآن الى أى حد من السذاجة تكون عليه تلك الفتاة التى تصدق كل تلك الخزعبـــلات ؟.. وهل عرفتم الآن سبب رواج تلك الصحف ، والقصص ، التى تؤلف المادة الرئيسية للقراءة ، عند الفتيات المراهقات على اختلاف طبقاتهن ، بين عاملات ، وقرويات ، وطالبات ؟!

عفاء على الحب .. وزهدا فى الرجال !

◆ ان الفتاة ، فى تلك السن ، تتخيل الحب سحرا تمتد عصـــاه الى الأشياء ، فتغير معالمها فى طرفة عين ، وما تكاد تلك العصا السحرية تلمس الصعاب ، حتى تدكها دكا ، ولو بلغت الجبال علوا وطولا وعرضا !.. والذى يحدث لفتاتنا دائما ، أن الحب الذى تصادفه فى عالم الحقيقة ، لا ينطبق على الحب المثالى الذى كانت تتخيله فى برج أحلامها العاجى !

فهذه « ايفون » تعمل فى أحد المصانع الكبيرة ، وتسمع من زميلاتها اللواتى يكبرنها فى السن ، كلاما كثيرا عن الحب .. فيوما تسمع فيه مدحا ، ويوما تسمع فيه قدحا يثير الاشمئزاز .. فاذا بهـــا وقد عراها الاضطراب ، وأحست بأنها متأرجحة بين عاملين قويين : عامل يصور لها الحب بغيضا ، كريها .. وعامل آخر يصوره لها مثاليا ، يختلف عن الواقع والحقيقة اختلافا عظيما !

٠٠ وهذه « جينيت » تظن أنها قد قررت مصيرها ، وحزمت أمرها بلا تردد ٠٠ فهى تريد مواجهة الحياة ، والتمتع بملذاتها ، وبعــدها ٠٠ الطوفان !٠٠ ويشجعها على تنفيذ نواياها ما تسمعه فى المذياع ، مما لا يجوز سماعه لفتاة فى مثل سنها ، وما تقرأه فى الكتب ، مما لا تجوز قراءته لمثلها ٠٠ وبعد ذلك ، الى المغامرات رابطة الجأش ، ثابتة الجنان ! ٠٠ ففى هذه المرحلة الخطيرة ، تظن نفسها قادرة على كل شىء !

أما « سيمون » فهى على النقيض من « جينيت » تماما ، اذ أنها عولت على العزوف عن الحب ، والتنازل عنه الى الأبد ، لان الحب الذى تتخيله لا وجود له فى عالم الحقيقة ٠٠ فهى تريد ان تمنح قلبها لرجل مثالى ، ومن طراز ممتاز ، يصعب العثور عليه بين الرجال !٠٠ فأما وهذا الحب المثالى غير موجود ، فعفاء على الحب ، وزهدا فى الرجال ٠٠ الى آخر أيام الحياة !

تلك المتناقضات الجسيمة بين الخيال والحقيقة ، والتى تشــتعل فى نفوس فتياتنا فى سن المراهقة ، كثيرا ما تكون وخيمة العواقب ، لانهــا تخل بتوازنهن ، وتوقعهن فى اضطراب شديد !٠٠ فالفتاة فى حاجة الى مرشد يهديها ، ويخرجهــا من ظلام تلك العواطف والخيــالات المضطربة المتناقضة ، فى تلك المرحلة التى تتحول فيها حياتها العاطفية من أقصى اليمين الى أقصى اليسار !

لا تسخروا من فتياتكم المراهقات !!

◆ والآن لنتساءل : ماذا يستطيع الوالدون صنعه لفتياتهم فى هــذه المرحلة ؟ ٠٠ أنهم يستطيعون فعل الكثير ، اذا تقدموا اليهن بنصح يصوغونه فى قالب سليم ، ومنطق مستقيم ٠٠ واذا هم أدركوا ادراكا صحيحا عنف الأزمة النفسية التى تجتزنها ، وعالجوها بصبر ، وأناة ، وبعد نظر ٠٠ بهذا وحده ينجحون فى مهمتهم ، وتنجو فتياتهم من آثار تلك الأزمة الخطيرة !.

اما اذا سخروا منها وهزأوا بها كما تفعل غالبية الآباء والامهات ، فى كثير من الأحيان ، فان العاقبة تكون وخيمة بلا جدال !

ولنضرب لذلك مثلا : هذه فتاة يعلم أبواها أنها تجتاز هذه المرحــلة النفسية ، فيوجهان اليها القول الآتى :

« دعى هذه السخافات وفكرى فى دروسك ٠٠ فهناك أمور كثيرة يجب أن تشغل بال فتاة فى مثل سنك ٠٠ غير ذلك الأمر الذى يسمونه الحب ! »

ثم ما تلبثان تسمع أمها وهى تقول :

« هذه الخيالات والأوهام سوف تتبدد يوما يا ابنتى ! •• فعندما تكبرين وتتزوجين ، وتقضين بضعة أسابيع فقط فى صحبة زوجك ، سترين ان الرجل لا يستحق عناء هذا التفكير ، وتلك الخيالات والأوهام ! »

فماذا تكون النتيجة ؟ •• ان النتيجة الحتمية لهذه الحماقة هى أن تنطوى الفتاة على نفسها ، وتصبح سرا مغلقا على أبويها اللذين لن يستطيعا بعدئذ النفاذ الى أعماق شعورها بعد أن صدماها فى أحلامها وخيالاتها المثالية الممتعة ، وهى ما تزال بعد فى مرحلتها الاولى من الحياة !

أما الام الحكيمة فتخاطب ابنتها بعبارات مقنعة تهدىء من روعها ، كأن تقول لها مثلا :

« لا يا صغيرتى •• ان معجزات الحب لا تتحقق من تلقاء نفسها •• فللحب العظيم الذى تتخيلينه شروط ، يمليها ويحتمها : منها أنه يجب أن يكون متبادلا تبادلا قويا بين الحبيبين ، حتى يتمكنا من السيطرة على الخلافات التى لا مفر من وقوعها بين الرجل والمرأة !•• فاذا أردت السمو بتلك الرغبة التى تستشعرينها •• فعليك ان تمزجيها بحب عظيم ! »

الأم •• تحمل العبء الأول !

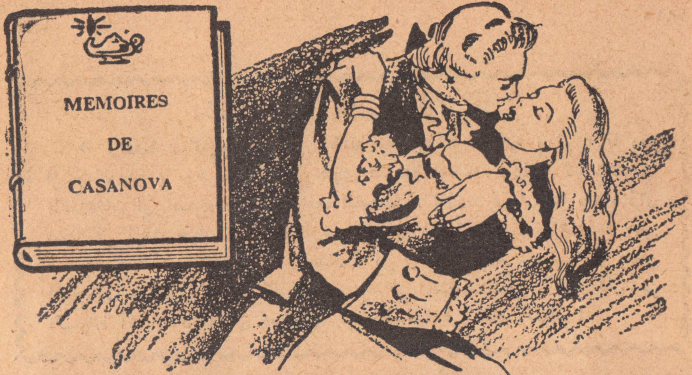
◆ وتشعر الفتاة المراهقة برغبة قوية فى أن تقرأ كل شىء ، وان تعرف كل شىء •• فهى لا تقتنع بأن هناك أشياء لا تستساغ قراءتها أو معرفتها لانها تثير الغرائز ، بل هى تعتقد ان الكبار يعمدون الى اخفاء معالم الحياة الحقيقية عنها ، فى الوقت الذى ترى هى فيه ، أنه قد أصبح لها الحق فى معرفة كل شىء •• ومن ثم لا تقبل ان تعامل معاملة القصر الضعفاء ، المحتاجين الى حماية !

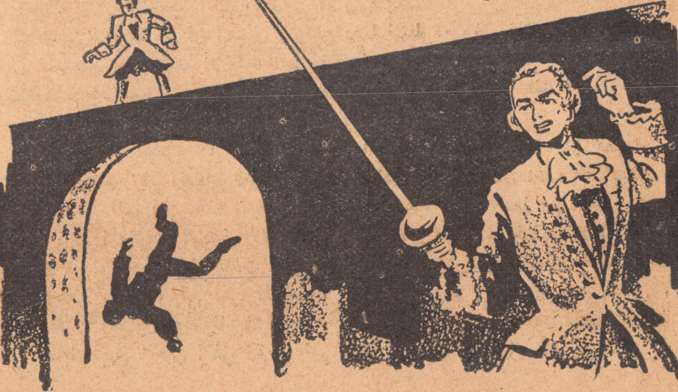
وينحصر واجبنا - فى هذه الحالة - فى ان نوضح لها فى هدوء ، الأسباب التى يعزف من أجلها بعض الأشخاص - حتى الكبار منهم - عن قراءة بعض الكتب ، أو مشاهدة بعض الروايات •• وان اعراضهم عنها لا يقوم على قصور منهم ، أو ضعف فيهم ، انما مبعثه هو رغبتهم فى الابتعاد عنها ، لانهم يرون فيها متلفة لعقولهم ، ومفسدة لنفوسهم ، وعاملا من عوامل اختلال توازنهم الروحى ، والانتقاص من احترامهم لأنفسهم ! •• فبهذا التعليل ، نستطيع ان نقنعها بالاقلاع عن قراءة الكتب الفجة ، أو مشاهدة الروايات التى تتنافى مع الخلق الطيب والذوق السليم !

وهنا نتساءل : « هل فى مقدور المشرفات على تربية الفتيات انارة الطريق أمامهن ، فى هذه الحقبة من الزمن ؟ » •• ان المشرفات على تربية الفتيات

هن الامهات بطبيعة الحال . وهن ولا شك قادرات على عمل الكثير فى هذا المضمار .. فاذا وجهت الام نشاط ابنتها الى كتب الادب الحديثة ، والدراسات التى عالجت المشاعر الانسانية الكبيرة ، والصداقات البريئة المنزهة ، بل والى الحب الطاهر أيضا ، فان مجهوداتها ستأتى بأبرك الثمرات . ذلك ان الفتاة تستعذب حنان الامومة وعطف الابوة ، ويلذ لها الاصغاء الى الأبوين والقاء نفسها فى أحضانهما !.. والمهم هنا هو أن يوضح الآباء والامهات لبناتهم حقيقة العواطف والميول فى الطبيعة الانسانية ، وحقيقة معناها .. وكيف تولد المشاعر ، وكيف تضعف وتقوى ! .. وقد بحثت المجتمعات النسائية فى العالم كل هذه المشاكل وكتبت عنها .. فاذا يسرنا لفتاتنا سبيل الاطلاع عليها ، لأمكننا ان نحارب الخيالات والأوهام التى تستحوذ عليها ، والتى تشوه أمامها معالم الحقائق الانسانية !

وفى العدد التالى ، أقدم لك الجزء الثانى والأخير من هذا البحث القيم


MEMOIRES
DE
CASANOVA



الحظ ٠٠ فى خدمة كازانوفا !

◆ رافقنا « كازانوفا » فى الحلقة الماضية الى تركيا ، ثم عدنا معه الى (كورفو) ، حيث تدله فى هوى عشيقة قائده ، ورأينا كيف شاءت المصادفات أن يصبح ياورا لزوجها الضابط ، فازداد قربا منها ، وما زال ملحا فى ابداء حبه لها ، دائبا فى التغلب على ترفعها وتجاهلها ، حتى استجابت له فى النهاية ٠ وتصادف أن رحل زوجها لمشـــاهدة بعض المناورات البحرية ، وتركه ليلحق به فى اليوم التالى ، فما كان من السيدة الا أن دعته الى موافاتها فى مخدعها فى تلك الليلة !

الدواء الوحيد ٠٠ للحب !

◆ لم أتردد فى تتبع تعليماتها بدقة متناهية ، فاذا بنا نحظى بخلوة كان مقدرا لها أن تظل خمس ساعات ٠٠ وكنا فى شهر يونيو ، والحر قائظ ٠ واحتويتها بين ذراعى ، وضممتها الى صدرى ، فقالت :

ـ يجب أن نكبح جماح الحب بيد قوية ، وأن نضحك منه رغم ما فى ترويضنا اياه من ظلم عات ، فبهذا نوقفه عند حده ، ونرضى رغباتنا فى الوقت ذاته !

ـ يا لك من قاسية أيتها الحبيبة ! ٠٠ انك تكتوين بنار الهوى ، ومع ذلك تحرمين نفسك من الدواء الوحيد الذى يسكن مشاعرك المشبوبة ٠٠ أواه ، يا نور قلبى ! ٠٠ ان الحب ليضاعف من وجودى ، ويبعث فى نفسى ضياء الأمل فى أن أموت بتأثير النشوة التى أيقظتنى الآن منها !

ـ أرانى مدفوعة الى أن أصدق ، ولكن دعنا ننتظر ٠ وفى خلال فترة الانتظار، تعال نستمتع بالتفاهات الأولية التى نلقاها على هامش الحب ! ٠٠ واذا كانت ليلتنا هذه جد قصيرة ، فلنخفف عن نفسينا لوعة غدنا بتدبير لقاء آخر ٠٠

ـ واذا كشف أمرنا ؟

ـ وهل نحن نجعل منه سرا ؟ ٠٠ ان السماء والطبيعة لا بد أن تحمياه ، فليس من جريمة فى اندماج قلبين فى حب صادق ٠٠ لقد كان الحب اله كيانى ، مذ فطنت الى نفسى فى هذا الوجود ٠٠ وما من مرة رأيت فيها رجلا الا وهزنى الطرب ، اذ أرى فيه النصف الآخر من نفسى ، وكأننى ما خلقت الا له ، وما خلق الا لى ! ٠٠ ومن ثم تاقت نفسى الى الزواج ، فى شوق العذراء التى تملأ قلبها أحلام المراهقة فى سن الخامسة عشرة ٠٠ ولم أكن أدرى ما الهوى ، ولكنى كنت أتصوره مقترنا بالزواج ٠٠ وبذلك ، لك أن تتصور مدى الصدمة التى أصبت بها ، حين أغفل زوجى أمر سعادتى ، وهو يجعل منى امرأة ! ٠٠

كان خيالى أبهج من الحقيقة التى فاجأنى بها زوجى ، وكانت النتيجة الطبيعية لذلك ، أن أصبحنا صديقين حميمين ٠٠ وزوجين متباعدين فى الوقت ذاته ! ٠٠ كان يرضيه أن يجدنى طوع رغباته ، ولكن الفتور الذى كان يلقاه منى فى سويعات النشوة ، لم يلبث أن زهده فى تلك النشوة ، فقل تردده على مخدعى !

وذكرت لى أنها حين تنبهت الى حبى لها ، راحت تزيد ناره تأججا ، اطمئنانا منها الى ما بدا لها من أنها لن تحبنى قط ٠٠ حتى اذا شعرت بالحب يقتحم قلبها اقتحاما ، اشتدت جفوة وقسوة ، انتقاما منى لانتصار حبى على فؤادها ٠٠ ولم تلبث مقاومتها أن انهارت بفضل صبرى والحاحى ٠٠ واستطردت تقول : « وبعد القبلة الأولى ، لم أعد مسيطرة على نفسى ٠٠ فقد أذهلنى الأثر الذى أحدثته قبلة واحدة ، وشعرت على الفور بأن سعادتى مرتبطة بسعادتك ٠٠ وقد ازددت الليلة يقينا من هذا » !

وقضينا الليلة فى مناجاة ونشوة ، حتى انبثق ضوء النهار ، فانتزعت نفسى من بين ذراعيها فى أسف ، لألحق بزوجها ٠٠ وما كان ليخطر لها ببال أننى ساجد فى كيانى قوة تمكننى من أن أنشط لواجبى بعد تلك الليلة !

أحزان كازانوفا !

◆ وانقضى بعد ذلك عشرة أيام أو اثنا عشر يوما ، لم نطفىء خلالها ذرة من ظمئنا العاطفى الذى كان يلهب جوانحنا ! ٠٠ ثم وقع ذلك الحادث الاليم ٠٠ فقد قربتنى اليها ذات ليلة حتى أوشكت كل الحجب أن تنزاح عن طريق حبنا ، واذا بها فى اللحظة العارمة ، تقصينى عنها ٠٠ فاندفعت كالمجنون أهيم على وجهى ، واذا بى أصادف غانية كانت تعرفنى ، فنادتنى ٠٠ ولم تكن الشهوة ، ولا جمال المرأة ، ولا الوهم ٠٠ وانما كان الضعف والغضب هما اللذان دفعانى الى أحضانها !

وفى الصباح التالى ، دعتنى مدام « ف ٠٠ » الى مخدعها ، وبادرتنى قائلة : « لن أكتم عنك يا حبيبى أننى شعرت بأسى عميق ، بعد أن غادرتنى فى الليلة الماضية ، اذ فطنت الى ما سببته لك من لوعة وضنى ٠٠ ولم يغمض لى جفن فى انتظار عودتك ، ولكنى لم أر ضوءا فى نافذتك ٠٠ وعندما أرسل زوجى فى الصباح يدعوك ، فوجدوك لا تزال تغط فى نومك ، شعرت بالحزن يملأ قلبى ، لا عن غيرة - فأنا واثقة من أنك لا يمكن أن تحب سواى - وانما عن اشفاق من أن تكون قد أصبت بضرر ما ٠٠ واذ سمعتك قادما ، عاودنى الهناء ، اذ شعرت بأن فى وسعى أن أثبت لك ندمى وأكفر عن قسوتى ٠٠ ولكننى حين رأيتك ، فطنت الى تغير اعتراك ٠٠ ان روحى تقرأ على محياك امارات الذنب ٠٠ فصارحنى اذا كنت قد خذلت حبنا » !

وكم من مرة وجدت نفسي فى مثل هذا الموقف أمام امرأة ، فعرفت كيف أروغ

وأهدىء من هواجسها .. ولكنى أمام هذه الفاتنة لم أجرؤ على الكذب .. فصارحتها بما جرى .. ولم تغضب ، بل تقبلت توبتى قبولا حسنا !

ولكن الأمر لم ينته عند هذا الحد .. فبعد ثلاثة أيام ، احسست باعراض مرض خبيث .. وأسرعت بعرض نفسى على أحد الاطباء ، فوعدنى بأن يبذل جهده .. على أن يستمر العلاج لمدة شهرين . وما كان أشد كربى وأحزانى ! .. ولم أجد بدا من أن أصارح معبودتى والحسرة تفرى فؤادى ! .. وكان القدر لم يكتف بهذه النكبة ، اذ رزأنى بأشد منها .. فقد اضطررت الى مبارحة دار المسيو « ف .. » ، وعدت ياورا للمسيو « د . ر . » مرة أخرى .. وكان هذا ايذانا بانقطاع الصلة بينى وبين فاتنتى ، اذ أعرضت عنى !

وما لبثنا فى نهاية سبتمبر سنة ١٧٤٥ أن رحلنا الى البندقية ، فغادرت (كورفو) معدما ، خالى الوفاض ، مضعضع الحواس !.. وما أن هبطت الى البر فى البندقية ، حتى سعيت الى دار مدام « أوريو » ، فألفيتها خاوية . وعلمت أن السيدة تزوجت من مسيو « روزا » ــ وقد رويت فى الجزء الاول من مذكراتى مدى صداقتى لهما ــ ومن ثم ذهبت الى دار مسيو « روزا » حيث استقبلنى الزوجان فى حفاوة بالغة ، وعلمت من مدام « أوريو » أن « نانيت » تزوجت ونزحت مع زوجها الى (قشطالة) بأسبانيا ، فى حين أن أختها « مارتون » زهدت فى الدنيا ، وغدت راهبة .. وقد تلقيت من الاخيرة خطابا تعلن لى فيه غفرانها لاغوائى اياها ، وتعدنى بأن تصلى من أجلى كى يغفر الله لى !

وسعيت بعد ذلك الى الاستقالة من الخدمة العسكرية . وما لبثت أن حصلت على اذن من وزير الحربية بذلك ، فبادرت الى خلع الزى العسكرى ، والاقامة مع شقيقى « فرنسوا » . وكان لا بد لى من أن أبحث عن عمل بعد قليل ، فاستغللت ما كنت قد تلقيت على يدى الدكتور « جوتسى » من دروس فى العزف على الكمان، وانضممت الى فرقة موسيقية فى مسرح « سان صمويل » .. ورحت أرتقب تطورات الحظ ..

ولم أجسر ، خلال هذه الفترة ، على الظهور فى الأوساط الراقية .. ولكنى اعتدت أن أنطلق مع أفراد الفرقة عقب العمل ــ فى كل ليلة ــ لنعيث فى أرجاء المدينة فسادا ، ونقوم بمغامرات عجيبة .. فكنا أحيانا نتسلق أبراج الكنائس وندق الاجراس ، أو نفك « الجندولات » من عقالها ، ونتركها للتيار .. الى أن كانت ليلة من ليالى الكرنفال فى سنة ١٧٤٥ ..

فى تلك الليلة ، قصد « كازانوفا » وزملاؤه ، بعد الفراغ من المسرح، الى مشرب بساحة « الصليب المقدس » ، فاذا به خاو الا من ثلاثة رجال وسيدة ، جلسوا يشربون ويسمرون فى مقصورة خاصة ، فتقدم منهم رئيس الفرقة ، وزعم أنه موفد من مجلس العشرة ــ وهو الهيئة الحاكمة

التى كانت تتحكم فى مصائر أهل البندقية ـ وان على الرجال أن يسلموا أنفسهم ! ٠٠ بينما تولى كازانوفا وزميل له أمر السيدة ٠ ونقلت الفرقة الرجال الثلاثة الى مكان ناء ثم عادوا فقادوا السيدة الى نزل ، وطلبوا شرابا وعشاء ٠٠ وأخذوا يمرحون ! ٠٠ وفى الصباح التالى ، قدم الرجال الثلاثة شكوى الى مجلس العشرة عما حدث ٠٠ وكان أن أعلن المجلس عن مكافأة لمن يرشد الى المعتدين ، فكفت الفرقة عن مغامراتها !

حنان كازانوفا ٠٠ على الشيوخ !

◆ فى منتصف ابريل سنة ١٧٤٦ ، حضرت زفافا لفتاة احدى أسر الطبقة الحاكمة ، وعزفت على الكمان مع الفرقة الموسيقية التى كانت تحيى الحفلات الراقصة ثلاثة أيام تباعا ٠٠ وفى نهاية الرقص ـ فى اليوم الثالث ـ ألح على التعب ، فانصرفت قبل مطلع النهار بساعة ٠ وفيما كنت أهبط السلم ، رأيت أحد أعضاء مجلس الشيوخ يهم بأن يستقل « الجندول » ، فاذا برسالة تقع منه بينما كان يخرج منديله ٠ وسارعت بالتقاطها وتقديمها اليه ، فأصر على أن يصحبنى فى جندوله ٠ وان هى الا دقائق ، حتى التفت يسألنى أن أدلك له ذراعه اليسرى ، اذ أحس فيها بألم طارىء ! ٠٠ ولكن الألم سرى فى كل جانبه الأيسر ، فلم يعد يستطيع حراكا ٠ وأدركت أنه أصيب بنوبة شلل مفاجئة ، فأسرعت أصرخ فى الملاح أسأله أن يعرج على أقرب نقطة فى طريقه ، ثم هرعت ألتمس جراحا عدت به الى « الجندول » حيث قام بحجامة للشيخ الكبير ٠٠ ومزقت قميصى ليتخذ منه ضمادات ، ثم رافقت الشيخ الى قصره ، ووجدتنى بحكم الظروف قائد الموقف ، فأمرت الخدم باستدعاء طبيب ٠٠ ومكثت بجوار سرير المريض ، أعنى به ٠٠

وجاء الطبيب فقام بحجامة جديدة للشيخ ٠ ثم أقبل اثنان من أقاربه فهم منهما كازانوفا أن الرجل من كبار ساسة جمهورية البندقية ، يدعى « براجادين » ٠ وما لبث الرجل أن أبدى رغبته فى أن يظل كازانوفا وحده الى جواره ٠ وأخذ الطبيب يتردد عليه ، ولكن الدواء الذى وصفه له ، أصابه بحمى جعلت كازانوفا يضرب بتعليمات الطبيب عرض الحائط ، ويعالجه بنفسه ، الأمر الذى ضاعف من ثقة «براجادين» فيه ، وفى استياء الطبيب واعراضه عن المضى فى العلاج !

كازانوفا ٠٠ الساحر !

◆ وهكذا وجدتنى طبيبا لعضو من أبرز أعضاء مجلس شيوخ البندقية ٠

وأعترف بأننى كنت شديد الاغتباط بذلك ٠ واستطعت بما التزمته من تنظيم لتغذية المريض ، أن أدفعه قدما نحو الشفاء !

وأبى الشيخ الجليل أن يصدق أن ما أبداه كازانوفا من مهارة فى علاجه ، وما لاح خلال أحاديثه من معرفة ودراية ، كانت من ثمار العلم وحده ، فان صغر سن كازانوفا لا يوحى قط بأنه وجد من فسحة العمر ما يكفى لتحصيل كل هذه العبقرية ! ٠٠ وذهب الى أن الشاب ولا بد كان يمتلك قوة سحرية خفية ، فاستغل كازانوفا هذا الاعتقاد ، وراح يذكيه فى نفسه وفى نفس صديقين حميمين له – من أعضاء مجلس الشيوخ أيضا ، وكانا يقيمان فى القصر نفسه – فلجأ الى الدجل لاقناعهم بأنه يستطيع أن يكشف الغيب ويتنبأ بالمستقبل !!

المغامر الأعظم ٠٠ يجد له أبا !

◆ أرى من واجبى أن أعترف بصراحة بأننى كنت أخدعهم ، واننى لم أعاملهم بأمانة وصدق ٠ ولكننى أناشد القارىء أن لا يتعجل الحكم على ، فان من يعرف الدنيا ويفهم روح المجتمع ، لا شك سيلتمس لى الاعذار ٠٠ لاسيما واننى كنت فى العشرين من عمرى ، ذكيا وموهوبا ٠ ورغم ذلك لم أبلغ اذ ذاك الا مركز عازف الكمان !٠٠ ثم اننى كنت خليقا بأن أفقد صداقة وعطف ثلاثة من علية القوم كهؤلاء ، لو اننى آثرت أن أكون أمينا معهم !

وفى اليوم الذى قدر فيه لمسيو «براجادين» أن يغادر القصر ليحضر اجتماع مجلس الشيوخ – لأول مرة منذ ابلاله من المرض – قال لى : « اننى مدين لك بحياتى ٠٠ لقد أرسلك الله بلا شك لتكون ملاكى الحارس ومنقذى، وقد عرفت فيك ما يجعلنى أقدرك ، وأجعلك منى بمنزلة الابن ٠٠ فلو شئت أن تتخذنى أبا ، لعاملتك حتى مماتى كما ينبغى أن أعامل ابنا من دمى ولحمى ٠٠ وقد أفردت لك جناحا فى قصرى، وسيكون لك خادم خاص ، و « جندول » ومقعد حول



مائدتى ، وعشرة جنيهات فى الشهر ، وهو المبلغ الذى كنت أتلقاه من أبى وأنا فى سنك . وليس عليك سوى أن تستمتع بالحياة كما تشاء ، وأن تتخذنى مرشدا وناصحا كلما أعوزك الرأى » !

وحين انتهى من حديثه ، ألقيت بنفسى عند قدميه ، معبرا عن شكرى ، فأنهضنى واحتوانى بين ذراعيه ، فى حنان الاب . ووعدته بأن أحبه وأطيعه .. واحتضننى رفيقاه فى القصر - مسيو « داندولو » ومسيو «باربارو» - وأقسمنا جميعا بأن نصون الود الى الأبد !

وهكذا ابتسم لى الحظ وأولانى السعادة . ولو أننى انتهجت سبيل الاعتدال والقصد ، لتوطد مستقبلى على أسس عزيزة متينة .. بيد أننى كنت مفطورا على الاندفاع ، وحب اللهو ، والاعتداد باستقلالى ، فلم أشأ أن أخضع للقيود التى كان يحتمها على مركزى الجديد ! .. وكان لى من شبابى ، ووسامتى ، وما توفر بين يدى من المال ، ما ضاعف هذا الاندفاع منى .. وما شجعنى على الاسراف والانغماس فى المقامرة !

وتعرفت يوما الى نبيل بولندى شاب يدعى « زافويسكى » - سأعود الى ذكره فى جزء تال من مذكراتى - عرفنى بدوره بكونتس حسناء ، فتحت وزوجها لى أبواب قصرهما .. واطمعنى ما كانت تبديه لى الكونتس من ود،فرحتأتهورفى المقامرة على مائدتهما ، حتى جاءت ليلة خسرت فيها خمسمائة جنيه ، لم أكن أملك منها شيئا ، فوعدت بشرفى أن أدفع الدين فى الصباح التالى ..

وتولانى كرب ما بعده كرب .. واشتد همى حين أقبل الصباح التالى ، ولما أجد مخرجا من هذا المأزق .. وأدرك ولى نعمتى ، مسيو «براجادين» ، ما أعانيه ، فلم يزل بى حتى أفضيت اليه بأمرى ، مختتما حديثى بأنى لن أحتمل أن أعيش حتى أرى الفضيحة تحيق بى ، والعار يصمنى لعجزى عن الوفاء بوعد الشرف. وأصغىفى انتباه ، ثم تحول يسرىعنى ، مؤكدا بأن الدين الذىكان سببا فى شقائى ، لن يلبث أن ينزاح عن عاتقى !

وفيما كنت أجلس الى مائدة الغداء مع الاصدقاء الثلاثة فى ذلك اليوم ، أقبل خادم يحمل رسالة وطردا صغيرا الى مسيو « براجادين » . واذ قرأ الخطاب ، أشار الى فتبعته الى حجرة مكتبه ، وهناك دفع الى بالطرد ، فوجدته - اذ فتحته - يتضمن أربعين جنيها . وضحك وهو يلمح دهشتى ، ثم أسلمنى الخطاب ، فقرأت فيه : « ليتأكد مسيو كازانوفاأن لعبنا بالأمس لم يكن سوى مجرد تسلية ، فهو ليس مدينا لى بشىء ، بل ان زوجتى لترسل اليه هذا المبلغ مقابل نصف ما خسر من جيبه ، اذ كانت شريكة له فى اللعب » !

وقال لى : « اذا لعبت مرة أخرى ، على وعد ، فلا تدفع »

ـ ولكن هذا يؤدى الى فضيحة تودى بشرفى !

ـ ان هذا أدعى الى أن لا تعد اذا وجدت أنك عاجز عن الدفع ٠٠ وفى هذا انقاذ لشرفك ولمالك ٠

واتبع درسه لى بأن راح يلقننى كيف ينبغى أن أتفادى الخسارة فى اللعب !

وبعد ثلاثة أشهر أو أربعة ، لقننى درسا آخر ٠٠ اذ حدث أن وفد على البندقية رجل فرنسى تقدم الى الحكومة بالتماس تعيينه مفتشا لجيوش الجمهورية ٠٠ واذ تعرفت به ، قدمته الى مسيو « براجادين » الذى وعده بأن يساعده ٠

وفى ذات يوم ، وقعت فى ضائقة ، فطلبت من مسيو « براجادين » مائة جنيه ، ولكنه أشار على بأن أسعى الى اقتراضها من ذلك الفرنسى ٠٠ بيد أن الرجل راح يعتذر فى أسلوب معسول ٠٠ حتى اذا جاء اليوم الذى عرض فيه طلبه على مجلس الشيوخ ، حمل مسيو « براجادين » لواء المعارضة ، وأثار حماسة الاعضاء ، بأن ردد أن من العار أن يعهد الى أجنبى بمثل هذا المنصب فى جيش (البندقية) !

وراح الفرنسى يطلق لسانه فى كل مكان بأن معارضة مسيو « براجادين » انما انبعثت عن رفضه أن يقرضنى المائة جنيه ٠٠ ولم ينل هذا من سمعة ولى نعمتى ، ولكنها نبهت القوم الى أهمية مركزى ، فأصبحت مقصد أصحاب الحاجات !

خاطئة ٠٠ تعترف لكازانوفا !

◆ وفى أوائل أكتوبر سنة ١٧٤٦ ، كنت أسير وقناعى على وجهى ، حين لمحت سيدة شابة تغادر مركبا غريبا عن المدينة ، وقد بدت عليها الحيرة ٠ وألفيتنى مدفوعا اليها بقوة خفية ، فاقتربت منها وسألتها عما اذا كانت بحاجة الى أية خدمة ؟ ٠٠ وفى استحياء قالت أنها تريد الاستفسار عن بعض أمور عميت عليها ، لأنها غريبة عن المدينة ٠٠ فدعوتها الى مقهى قريب، رافقتنى اليه بعد تردد ، فقدتها الى مقصورة خاصة ، حتى اذا خلونا فيها ، رفعت نقابى ، فخففت نقابها حتى ظهر نصف وجهها ٠ واستطعت أن أتبين أن لها أنفا دقيقا ، وعينين جميلتين، وفما بديعا ٠وكانت ملامحهاتنم عن حسن ، ونبل ، وأسى ، امتزجت معا فكان لها فتنة ساحرة لا سبيل الى وصفها !

وبعد أن جففت الحسناء دموعا كانت تفيض من عينيها ، ذكرت لى أنها من أسرة نبيلة ، من مدينة « ك ٠٠ » ، وأنها هاربة من أسرتها ، سعيا وراء شاب من (البندقية) أغواها ، وقضى عليها بشقاء أبدى !

قلت : « وهل جئت تناشدينه أن يقوم بالواجب ؟ ٠٠ هل وعدك بالزواج ؟ »

ـ بل سجل وعده كتابة ، وهذا ما أغرانى على أن أمهد له سبيل التسلل الى دارنا دون أن يشعر به أحد ٠٠ فاستغل ثقتى أشنع استغلال ٠٠



وركت اطمئنها حتى وثقت بى ،واذ ذاك أخرجت من صدرها ورقة تضمنت وعدا من « زانيتو ســـتيفانى » الى الكونتيسة الشابة « ا ٠ س ٠ » ، [illegible] خلال شهر واحد ٠٠

وأدركت أن ليس للورقة أية قيمة ، فقد كنت أعرف الشاب ٠٠ كان موظفا فى حكومة البندقية ، وكان وغدا نذلا، ولكنه كان الوارث الوحيد لأم غنية !

وهتفت الفتاة ضارعة اذ رأت أنى أعرفه ، كى أصحبها الى داره ، فقلت لها : «اننى لن أتوانى عن أن أفعل كل ما تطلبينه ، ولكنى أسألك ان تمنحينى كل ثقتك، وأن تأخذى بنصحى ٠٠ لست أرى جدوى من الذهاب الى داره ٠ لقد ألحق بك أبلغ الضرر ٠٠ ولو أننا وجدناه فى داره ، فمن المحتمل أن يسىء استقبالك ٠٠ أما اذا لم يكن فى البيت ، فقد لا ترحب بك أمه ٠ ثقى بى ، وتأكدى أن الله قد أرسلنى كى أساعدك ، وانى لأعدك بأن آتيك بنبأ «ستيفانى» غدا ٠ ولا أنصحك بأن تدعيه يعلم بوصولك الى (البندقية) قبل أن أتجسس أمره »

– يا الهى ! ٠٠ والى أين أذهب الليلة ؟

وكنت أعرف أرملة أمينة ، تقية ، أفردت فى مسكنها حجرتين تؤجرهما للنزلاء ٠ فما زلت بالكونتيسة الشابة حتى قبلت أن أقودها الى هناك ٠ وفيما كنا فى « الجندول » ، مضت تروى لى تفصيلات مأساتها ٠٠ فذكرت أن الشاب التقى بها فى زفاف حضرته بصحبة أمها ، وما لبث أن عرف بيتها ، فأخذ يتسلل كل ليلة ليقف تحت نافذتها يناجيها ، ويقسم أغلظ الايمان على حبه ، ويمنحها المواثيق على صدق نيته فى الزواج منها ٠ وكان كلما دعته أن يتقدم لأسرتها ، ينتحل شتى المعاذير ٠٠ ثم راح يغريها بأن تفر خلسة معه ، مؤكدا انه لن تنقضى أيام ثلاثة على فرارها ، حتى يصل الى أسرتها ما يؤكد أنها قد غدت زوجة له ، ثم يعودان بعد أن تهدأ الضجة فيزوران أهلها ويسترضيانهم !

واستطردت الفتاة : « والآن ما جدوى الندم يا سيدى ؟! ٠٠ لقد اعمانى

الهوى ، فترديت •• وافقته على كل شىء •• وأعطانى الورقة التى سجل فيها تعهده بالزواج ، فسمحت له بالتسلل الى غرفتى ، وأسلمته نفسى ، واثقة من صدقه واخلاصه ! •• وتركنى على أن يوافينى فى الليلة التالية لنفر معا ، ولن تستطيع أن تتصور مدى حيرتى وخوفى [illegible] وعلمت أنه غادر المدينة بعد أن وصمنى بعار أبدى •• ومن ثم هربت من دار أهلى بعد يومين وسرت على قدمى أربعا وعشرين ساعة ، حتى عثرت على مركب قادم الى (البندقية) •• ومع أن ظروفى كانت توجب على بألا أثق فى رجل ، ولا أطمئن الى شاب ، الا أن قوة خفية أوحت لى أن أركن اليك » !

وتمالكت أنفاسها ، وعادت تقول ضارعة : « هذه قصتى يا سيدى ، ولكنى أضرع اليك ألا تقسو فى حكمك على •• لقد كنت طيلة حياتى صالحة ، تقية ، عفة •• وكنت الى شهر مضى بريئة ، طاهرة •• وما أحسب الا أن الدمع السخين الذى أذرفه ليل نهار ، كفيل بأن يمحو زلتى •• لدى الله على الاقل ! •• اننى اسلمك زمامى ، وأدعو الله ألا يحدث ما يجعلنى أندم على ذلك » !

وعاودت جهودى لأبعث الطمأنينة فى نفسها ، وقلت لها ان خداع «ستيفانى» لها ، وهجره اياها فى نذالة ، لم يكونا سوى حلقتين من تدبير خبيث ، وانها يجب أن تركز أفكارها فى ان تثار لنفسها • وارتجفت المسكينة ، وأخفت وجهها فى راحتيها •

تحريض •• على الثأر !

◆ وبلغنا النزل، فأسلمتها الىالسيدة الطيبة، وأمرتلها بعشاء ،وأوصيت صاحبة المسكن بان تجيب كل طلباتها ، ثم استأذنت السيدة فى الانصراف على ان أوافيها فى الصباح التالى ••

وما أن بارحتها ، حتى يممت شطر دار « ستيفانى » فعلمت أنه كان بالفعل فى مدينة (ك ••) وعاد الى البندقية ، ولكنه لم يلبث ثلاثة أيام حتى رحل ثانية ، منذ أربع وعشرين ساعة ، ولم يدر أحد مقصده أو شيئا عن رحلته ••

وذهبت الى الفتاة فى الصباح الباكر ، فوجدتها ما تزال فى مخدعها ، وقد أوصدت الباب دونها •• فظللت أنتظرها حتى نهضت من نومها ، وفتحت بابها ، واذ ذاك استأذنت فى الدخول ، وأفضيت اليها بما علمت ••

وتبدى الأسى عميقا على محياها •• وأعربت عن يقينها من أن « ستيفانى » ولا ريب قد عاد الى (ك ••) ، فأبديت لها استعدادى لأن أرحل خلفه

لأدركه ، وأرشده الى مكانها . ولكنها خشيت أن يكون قد تبين فرارها ، فاتخذ [illegible] عرفت أنها تقضى أوقات فراغها فى القراءة والموسيقى . فما أن غادرتها ، حتى بادرت الى [illegible] الكتب ، وقيثارة ، ثم عدت اليها بها . وشعرت باغتباط ومتعة غريبة وأنا أتلقى شكرها ، وأرى التأثير الذى تركه فى نفسها ما أظهرت من اهتمام بالغ بها ، زعزع الفكرة السيئة التي كان « ستيفانى » قد تركها فى نفسها ـ بفعلته ـ عن الرجال !

وفى اليوم الثالث ، سألتنى فى غمرة ما كانت تضفيه على من آيات الشكر والعرفان ، عما يدعونى الى أن أبدى لها كل هذه الرعاية والعطف ، بدلا من أن أسيء الظن بها .. فقلت ان ما دعانى الى ذلك ، هو عين ما دعاها الى أن تطمئن الى حين تقدمت اليها ، برغم أنها لم تكن تعرفنى ، ورغم اللثام الذى كان يعلو وجهى ..

واستطردت قائلا : « كان من السهل أن أحدس أنك حسناء فى محنة ، فلما رأيت شبابك ، ونبلك ، وأساك ، شعرت بقوة خفية تدفعنى الى أن أساعدك .. وكان طابع الصدق الذى لازم كلماتك الأولى كفيلا بأن يجعلنى لا أرتاب قط فى قصتك .. ثم ان الشعور بالشرف والرغبة فى محو العار ، يبرران فرارك من أهلك .. ان الجبان الذى خدعك لا يستحق أن يتزوج منك ، بل يجب أن يدفع حياته جزاء جرمه ! »

ـ هذا حق ، وأرجو أن يثأر لى أخى

وعلمت أن لها أخا ضابطا فى خدمة البابا .. فقلت لها :

ـ تخطئين اذا ظننت أن « ستيفانى » يستحق أن ينازل أخاك .. انه جبان لن يجرؤ على أن يعرض نفسه لأية ميتة شريفة نبيلة !

واذ كنت أتكلم ، مدت يدها الى أطواء ثيابها ، فأخرجت شيئا تأملته ، ثم وضعته على المنضدة .. وكان هذا الشيء خنجرا طوله خمسة عشر سنتيمترا !

« يتبع »



« أبو للو » .. يساعد البشر !

◆ قدمت لك فى الحلقة الماضية من أساطير القدماء « أبوللو » ابن « زيوس » ، كبير الآلهة ، ورويت لك كيف نفاه أبوه الى الأرض ليقوم بخدمة البشر ، بعد أن تحدى ارادته التى شاءت أن تنهى حياة ابنه «أيسكولابيوس» على الأرض، غيرة منه، لنبوغه فى الطب، واقبال الناس على التماس الشفاء لديه ! .. كما رويت لك أولى خدمات « أبوللو » للبشر، وكيف ساعد « أدميتوس » ملك (فيراى) على أن يفوز بيد الفتاة «الكيسيتس» ، التى كان يتوق الى الزواج منها !

.. فتعال نتابع تاريخ « أبوللو » على الارض ..

« هرقل » .. يتغلب على اله الموت !

◆ لم يمض وقت طويل على زواج «أدميتوس» من محبوبته «الكيسيتس» حتى دب السقم فى نفسه ، ووقع فريسة المرض ، وشارف على الموت . ولم يقف « أبوللو » مكتوف اليدين أمام هذا الخطر الداهم الذى يتهدد « سيده » ، ملك (فيراى) .. فقد تدخل لاقناع ربات الحظ الثلاث بانقاذ «أدميتوس» من الهلاك ، فقبلن بشرط أن يتقدم أحد للموت بدلا منه . ولكم ذهل الملك وتولاه العجب ، حين لم يجد واحدا من محاربيه المشهورين بالشجاعة ، أو من أفراد بطانته الذين كانوا يتفانون فى الزلفى اليه ، على استعداد لأن يفتديه ، ويقدم حياته ضحية على مذبح الوفاء والاخلاص ! .. عندئذ ، عرضت زوجته « ألكيسيتس » نفسها ، ولكن أدميتوس اعترض على ذلك . الا انه لم يستطع أن يحول بينها وبين ربات الحظ ، اذ أخذنها عوضا عنه !

وبينما الساحة الكبرى تضج بالعويل والبكاء ، وفى اليوم الذى تقرر أن تشيع فيه الملكة الى مقرها الاخير ، اذا بهرقل يحضر الى قصر أدميتوس ، فيستقبله هذا بالترحاب ويكرم وفادته .

وما ان علم « هرقل » سبب أحزان الملك وأهل بيته حتى أشفق عليهم ، ونشط للعمل .. فأبدى استعداده لمنازلة اله الموت (ثاناتوس) .. ومن ثم خرج الى المكان الذى أقيم فيه القبر ، وهناك تقابل مع اله الموت وتغلب عليه ! ..

وهكذا عادت « ألكيسيتس » ثانية الى منزلها وبعلها !
وقبل ان يترك أبوللو خدمة أدميتوس ، منحه الخلود والحياة الأبدية ، ث
(طروادة) !٠٠ واستوى اله الموسيقى ... منفيا مثله الى الأرض لبناء حوائط
يعزف ألحانا كلها وحى والهام ، فاذا بالاحجار الضخمة تتحرك من تلقاء نفسها وراح
لتحتل مكانها طبقا للتصميم المرسوم !

يخلص الناس من شرور كثيرة !

◆ ولما أنهى أبوللو فترة اقامته على الارض ، قفل راجعا الى جبل الاوليمب ، ليستأنف مباشرة أعماله المعتادة ٠ ومن مكانه المبجل ، أخذ يغمر الناس ـ الذين شاركهم الحياة حينا من الزمان وكابد شقاءهم ـ بنظراته العطوفة ٠ وتلبية لتضرعاتهم ، بسط عليهم حمايته ، وخلصهم من شرور كثيرة ٠ ومن الخدمات التى اداها للبشر ، قتله الأفعوان المتوحش « يوثون » ٠٠ ولم يكن أحد ليجسر على الاقتراب من هذا الوحش الذى كان يحرس الكهف المقدس لكاهن (دلفى) ٠٠ ولكن أبوللو هاجم الوحش دون خوف أو وجل ، وقضى عليه بسهامه الذهبية !

أبوللو ينكب فى صديقه !

◆ وبقدر ما كان أبوللو موفقا فى الحرب ، كان عديم التوفيق فى الصداقة ! ٠٠ فقد كان يحب شابا رائع الجمال اسمه « هواكينثوس » ، ابن ملك اسبرطة « أموكلاس » ، فى الوقت الذى كان يزاحمه فى حبه « زيفوروس » اله الرياح الغربية ، ويحقد عليه بسببه !٠٠ وفى ذات يوم ، كان أبوللو يلهو مع الشاب بالاقواس ، فانتهز « زيفوروس » الفرصة ليوجه اليه ضربة قاصمة فى صميم مشاعره ٠٠ اذ أطاح بقرص حديدى كان قد قذفه أبوللو فى اتجاه معين ، الى الاتجاه الذى كان يقف فيه الصبى ، فأصابه فى رأسه ، وخر مغشيا عليه والدماء تسيل منه بغزارة ٠ وعبثا حاول أبوللو وقف هذا السيل من الدماء ٠٠ فقد جاد صديقه ، وفى ثوان قليلة ، بآخر أنفاسه بين ذراعيه !٠٠ وتخليدا لذكرى الصبى الميت ، حول أبوللو دماءه الى أزهار أطلق عليها اسم صرخة الحزن « آى » !

شجرة الحزن ٠٠ والأسى !

◆ وأراد أبوللو أن ينسى مصير « هواكينثوس » المفجع ، فاتخذ من صياد شاب يدعى « كوباريسوس » صديقا جديدا له ٠ بيد ان تلك الصداقة انتهت أيضا نهاية محزنة ٠ ذلك ان « كوباريسوس » قتل غزال أبوللو المحبوب عن غير قصد ، فتملكه حزن شديد لما يعرفه عن مكانة هذا الحيوان لدى صديقه أبوللو ، وراح يذوى ويذبل ٠٠ الى أن مات ٠ وعمد أبوللو ـ تخليدا له ـ الى تحويله لشجرة من أشجار السرو (أى شجرة الحزن والأسى) ، معلنا

ان هذه الشجرة سوف تظلل « من الآن فصاعدا » ، قبور الذين كانوا يتمتعون بحب زملائهم فى الانسانية ، ابان حياتهم على الارض !·· ولقد [illegible] على [illegible] صديقه ! بعد [illegible] بين المقابر ، [illegible]

الشمس ·· تغازل الندى !

◆ مضى أبوللو هائما على وجهه ، بعد أن وورى صديقه التراب ، واخذ يتنقل من مكان الى آخر ، عسى أن يجد السلوى فى فقد صديقه · وفى احد الأيام ، كان يسير فى احدى الغابات ، فالتقى بابنة رب النهر «بينيوس» ··وهى حورية رائعة الجمال تدعى « دافنى » · وما أن رآها أبوللو حتى وقع صريع هواها على الفور ، وحاول أن يقترب منها فى هدوء ولطف ، حتى لايثير مخاوفها · ولكن الحورية لمحته ، فكانت تبتعد عنه ، كلما حاول الاقتراب منها · ولجأ أبوللو الى كلمات الغزل ـ عسى أن يثير عواطف الفتاة ـ فأخذ يلقى على مسامعها بأرق مايحفظه من ألفاظ الغرام وعبارات الحب · وبدأت الصغيرة تجد من نفسها ميلا الى استعذاب تلك الكلمات الحلوة ، الناعمة ، وبدا أنها على وشك أن تستجيب · الا انها ثابت الى رشدها فى اللحظة الاخيرة ، وانطلقت تعدو بكل قواها ، هاربة منه !

وشعر أبوللو بالألم يعصر نفسه من صد « دافنى » وهروبها ، الا انه لم يستسلم للهزيمة ، فأخذ يطاردها · وبالرغم من خفتها وسرعة حركاتها ، فقد لحق بها أبوللو وكاد يمسك بها على ضفة النهر ، لولا أنها صاحت بأعلى صوتها : « ادركنى يا أبت ·· انقذنى ·· امسخنى أو دعنى أغوص فى الأرض » !·· وفى الحال ، تحولت الى شجرة غار باسقة الفروع ، مخضرة الأوراق !·· وعندما لحق بها أبوللو ، وبسط ذراعيه ليضمها اليه ، اذا به يطبق على جذع شجرة خشن !·· لم يكن قد لاحظ ان العذراء الفاتنة قد اختفت الى الأبد عن ناظره ·· وحين تجلت له الحقيقة المرة ، وأدرك ما حدث لحبيبته ، غمره الحزن ، وأخذ يجمع أغصانا خضراء من الشجرة ، صنع منها تاجا وضعه على جبينه ليذكره دائما بالفتاة الغادرة !·· ومنذ ذلك الوقت وشجرة الغار من الأشجار المقدسة لديه ·· واتخذت الجوائز التى تمنح الى الشعراء والموسيقيين صورة أكاليل من أوراق الغار !

وقصة أبوللو ودافنى تصور لنا أثر الشمس (أبوللو) فى الندى (دافنى) ·· فقد سلب الندى لب الشمس بجماله ، فهامت به الشمس وأخذت تحوم حوله ، محاولة الاقتراب منه · واذ خاف الندى من حرارة « المحب الولهان » ، آثر الفرار · فلما أدركته الشمس ، ولمسته باشعتها المستعرة ، تبخر واختفى ، دون ان يترك وراءه أثرا ، عدا الخضرة ، فى نفس البقعة التى كان يتلألأ فيها ، ببهائه وصفائه ونقائه !

أمين سلامة



الصراع بين (أثينا) .. و (اسبرطه)

◆ بلغنا معا عصر الاغريق ، فى هذا الكتاب الرائع الذى وضعه المؤرخ والصحفى الفرنسى « رينيه سيديلو » ، وسرد فيه تاريخ العالم فى أسلوب يجعله قصة مسلية مستساغة . واليوم ننتقل الى فصل جديد ، يروى لنا فيه المؤلف الصراع بين (أثينا) و (أسبرطه)

مولد الديمقراطية

◆ كان النظام السياسى لاسبرطه غريبا ، اذ كان يتألف من ملكين يليان الحكم بالوراثة ، ويقومان بمهام الرئاسة الدينية ، والقضاء ،وقيادةالجيش،تحت رقابة دقيقة من حكام ينتخبهم الشعب . والى جانب هؤلاء ، كان ثمة مجلس للشيوخ ، وجمعية تشريعية تتألف من جميع المواطنين بكامل عددهم . وعلى الرغم مما اتخذته (أسبرطه) من احتياطات ، فانها لم تكن وطيدة الأسس والاركان، بل كانت تحمل فى أطواء كيانها بذور الانهيار . كانت تحرم تملك الذهب والفضة ، فيتحايل المواطنون على ذلك بتهريب أموالهم الى الخارج . وكانت تعتبر الأرض ملكا للدولة فتحرم رهنها وبيعها ، ولكنها لم تقو على منع النبلاء من رهن ما تحت أيديهم من الأرض ، والنزول عن حقوقهم فيها لسداد ديونهم ، ولم تقو كذلك على تفادى قيام قلة ـ أو أقلية ـ من الاغنياء الذين أخذوا يبسطون نفوذهم .

ومع أن المسافة بين (اسبرطه) و (أثينا) لم تكن تتجاوز مائة ميل ، الا أن الفارق بينهما كان كبيرا ، ينم عن الطابع الفردى الخاص لكل مدينة من مدن الاغريق . وكان هذا الفارق يتمثل فى الأوضاع السياسية ، والعادات ، والمثل

العليا • اذ كانت (اسبرطه) تعيش للحرب ، فى حين كانت (أثينا) تعيش على التجارة • ولقد تقلبت (أثينا) بين الملكية والارستقراطية والاستبداد قبل أن تستقر فى النهاية فى أحضان الديموقراطية ، التى صارت مثلا أعلى للعالم على مر العصور • وقد نمت (أثينا) فى فجر وجودها وترعرعت ، بفضـــل نشاط أصحاب الحرف والصناع من أهلها • واستطاع نبلاؤها أن يقصـــوا ملوكها ليستأثروا بالحكم ، بيد أن تيار الديموقراطية كان أقوى من أن يقفوا فى وجهه • وظهر من قانونييها « دراكو » ، الذى وضع فى سنة ٦٢١ قبـــل الميلاد ، قانونا للعقوبات ، لم يكن يعيبه سوى قسوته فى القصاص • وما لبث « صولون » أن أدخل عليه تعديلات ـ فى سنة ٥٩٤ ق • م ـ قضى بها على كافة الحقوق التى كانت تميز فريقا من الناس دون آخر بحكم المولد ، كما ألغى نظام الرهن فى مقابل الدين ، والقبض على المدين وتسخيره الى أن يفى بدينه • وقسم الناس الى أربع طبقات ، لا بحسب مولدهم ، وانما تبعا لثرواتهم •• وهكذا كان « صولون » صاحب الانقلاب الذى اعترف بنفوذ الاغنياء •• كما أنه أوجد التحكيم الودى بين الخصوم فى القضايا المدنية • ولكن « بيزيستراتس » ـ الذى خلفه فى سنة ٥٦١ ق•م• ـ ألقى القانون جانبا ، وحكم حكما ديكتاتوريا ، فصادر الاراضى من النبلاء ، وقسمها • وعرف كيف يخمد الفتن ، وجعل من (أثينا) أحد المراكز العمرانية والثقافية لليونان •

آلهة •• يشتركون فى حكم أثينا !

◆ ولقد خلفه بعد قرن من الزمان ، ديكتاتور آخر ، لم يدم حكمه أكثر من خمس عشرة سنة ، الا أن اسمه خلد فى تاريخ الديموقراطية الاثينية • فتحت حكمه ولدت كلمة « الديموقراطية » ، وفى عهده ازدهرت وبلغت أوجها • ووجدت هيئات ممثلة للشعب تسن القوانين وتقرها بالأصوات ، وكان الموظفون الذين يتولون تطبيقها يختارون بالانتخاب أو بالاقتراع الذى كان يعتمد على الحظ والنصيب ، فكان فى ذلك شىء من اشراك الآلهة فى حكم المدينة !

ملهمة الجنس البشرى !

◆ وظلت (أثينا) أستاذة وملهمة للجنس البشرى : أولا ، بوصفها مثالا للعبقرية الفكرية التى بقى أثرها فى حضارات العالم أكثر من ألف ســـنة • وثانيا ، بوصفها مثالا للحرية : حرية التعاون بين أفراد الشعب وطبقاته •• هذا التعاون الذى قام عليه ازدهار التجارة ، وبالهامه أسست الشركات والمصارف •• وانتشرت حرية القول والكتابة والفكر ، فأدت الى ظهور التحف الرائعة ،

أدبية كانت أو علمية أو فنية ! ٠٠ ثم حرية العبادة التى بعثت أروع أساطير عهود الوثنية ! ٠٠ ومع أنها حاولت أن تكون مثالا للمساواة أيضا ـ اذ لم تكن تفرق بين النبلاء والغوغاء ـ الا أنها لم تستكمل هذه المساواة ، لأنها كانت تفرق بين المولودين من آباء أثينيين وبين الاجانب ٠ ولم تقو على كبح جماح الرق ، اذ دفعتها اليه الضرورات الاقتصادية ٠ كذلك لم تقو على منع الحزازات التى تنشأ بين الطبقات ، فقام الصراع بين كبار ملاك الارض ،وأصحاب السفن، وتجار السواحل ، والفلاحين والرعاة من أهل الجبال !

الظلام ٠٠ بعد النور !

◆ وقدر لها أن تثرى ، فاستخرجت الفضة من مناجم (لوريوم) مسخرة فى ذلك الرقيق ، وساد أسطولها البحار ، وفرضت رسوما لا تتجاوز اثنين فى المائة على الواردات ! ٠٠ وما لبثت جزر بحر (ايجه) أن لاذت بحماها ، وغدت حليفة لها ، تخضع لزعامتها ، وتقدم اليها الجزية ، وتتعامل بعملتها النقدية ، وتستخدم ما فرضته من وحدات للوزن والقياس ، وتعتنق مذاهبها الفكرية ونظمها الاجتماعية ، وعاداتها وتقاليدها ٠ وبهذا أصبحت (أثينا) امبراطورية فى الواقع ٠ ولكن ثراءها لم يعم كل شعبها ، بل استأثرت به أقلية ، بينما كان الفقر يستشرى بين الاغلبية ، لم يجد فى مقاومته تشجيع الهجرة وانشاء المستعمرات ، ولا محاولات وضع نظم للاعانات المالية والمساعدات والمعاشات التى تقدمها الدولة للافراد ٠ بل ان النتيجة الوحيدة لهذه النظم انحصرت فى اثقال الميزانية وارباكها ، مما استتبع زيادة الضرائب التى كان أغلبها يفرض على أقلية أخذت تضمحل رويدا ٠ وحاولت المدينة أن تعالج هذه الحال بالتوسع فى الحروب ، فلم يؤد هذا الا الى دمارها !

حروب ٠٠ لا يفيد منها الا تجارها !

◆ وهكذا قدر لأثينا ان تموت ، ولكنه كان موتا بطيئا ، أليما ٠ اذ أخذت تنغمس فى الفساد ، والفوضى ، والرشوة ٠ واضطهدت العباقرة من أبنائها ، فمات « ملتيادس » فى السجن ، وكاد يلقى « ثيمستوكليس » نفس المصير لولا ان فر الى الخارج ، واضطهد « أرستيد » وعذب ، وأجبر « سقراط » على شرب السم ، وأعدم « بيركليس » ٠

واخذت الهيئة التشريعية تسعى للاستيلاء على سلطات الحكومة ٠ واستحال على الهيئة التنفيذية ان تقوم بوظائفها ، وضعف الشعور بالواجب والحرص على مصلحة الدولة ٠

وعندما حاولت (اثينا) ان تبذل محاولة أخيرة للنهوض ، بحافز من تحذير « ديموستينس » ، كان الوقت المناسب قد فات ، اذ كانت القبائل البربرية - أو الهمجية - تدق أبوابها !

والواقع ان الشطر الأكبر من التاريخ الاغريقى ، كان تسجيلا لسطو مدن على مدن أخرى بدافع من الحسد ، مما أشعل حروبا لا نهاية لها فى سبيل التفوق والسلطان ، الذى لم يكن يدوم لأكثر من فترات قصيرة . وفى هذه الحروب المستمرة ، كانت (اسبرطة) تحتفظ بالتفوق فى البر ، و (أثينا) - بفضل اسطولها - بالتفوق فى البحر

وليس من نفع كبير يرجى من وراء الاسهاب فى سرد تفصيلات تلك الحروب . على ان (اسبرطة) استطاعت ان تفرض سيادتها على جزر (البلوبونيز) ، فى حين فرضت (أثينا) سلطانها على بحر (ايجه) ، حوالى سنة ٤٥٩ ق.م . وقامت فترة سلام اعترفت فيها كل للاخرى بنطاق نفوذ لا تعتدى عليه ، واتفقتا على نظام للتحكيم فيما ينشب بينهما من خلاف . بيد ان كلا من الغريمتين كانت ترمق الاخرى بعين الحذر والتربص . وكان المتفق عليه ان يمتد أجل الصلح والسلام ثلاثين عاما ، ولكنهما نقضتا الاتفاق قبل هذا الأجل ، فقامت بينهما حرب جديدة فى سنة ٤٢١ ق.م . لم يفد منها سوى تجار الحروب ، كما هى العادة دائما !

« يتبع »

محتويات الكتاب



اقرأها بنصها الكامل فى العدد الجديد من « مطبوعات كتابى » الذى يصدر قبيل منتصف نوفمبر الحالى



ركن فى حديقة القصر الجمهورى بعابدين ، يتجلى فيه جمال فن المعمار
(تصوير الاستاذ يوسف عبد الشهيد المحامى بالمنيا)



أوراق الخريف

لوحة للفنان الانجليزى « ميليه » ، بمتحف (مانشستر)